

مجلة قاريونس العلمية

تعنى بمختلف فروع المعرفة الإنسانية والتطبيقية
تصدر باللغة العربية

1993



السنة السادسة
العدد الأول والثاني

منشورات جامعة قاريونس
بنغازي

مجلة قاريونس العلمية

تعنى بمختلف فروع المعرفة الإنسانية والتطبيقية

تصدر باللغة العربية



مجلة قاريونس العلمية

تعنى بمختلف فروع المعرفة الإنسانية والتطبيقية

تصدر باللغة العربية

المراسلات والمقالات: مجلة قاريونس العلمية - جامعة قاريونس

ص.ب: 1308 مبرق 40175 هاتف: 20148

حسن يوسف الموشي

محتويات العدد

السنة الرابعة / العدد 261







بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـة

عزيــزي القـارىء

يطيب لنا ونحن نولج أبواب السنة السادسة من عمر هذه الدورية، التي تجاهد في أن تكون إحدى لبنات المعرفة الهادفة، أن نضع بين يدك عدداً جديداً نأمل أن ينال رضاكم ويلبي رغبة بعض قرائها الذين يسعدنا دوماً أن نكون معهم للعمل سوياً من أجل توفير مادة علمية جديدة يستحق ما نبذله من جهد حتى تتمكن من مسايرة ما يجري من حولنا. وستتابع أسرة التحرير إصدار أعداد هذه المجلة بفضل تعاونكم ومساهماتكم العلمية التي نعتز بها دائماً.

والله الموفق

أسرة التحرير

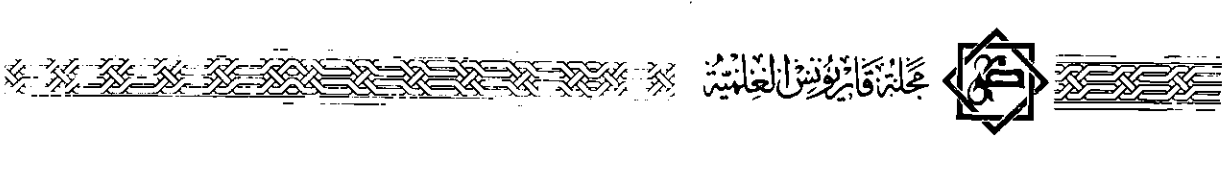
شروط النشر في المجلة

- أن يكتب البحث بلغة عربية سليمة وأسلوب جيد.
- أن يكون البحث قد كتب حديثاً ولم يسبق نشره.
- أن تتوافر في البحث الموضوعية والمنهج العلمي في البحث والتوثيق.
- يجب ألا تزيد صفحات البحث عن (20) صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة.
- يتم تقييم البحوث التي ترد إلى المجلة من قبل متخصص وفقاً للأسس المتبعة، والبحوث لا تعاد إلى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تنشر.
- أن يتضمن البحث اسم كاتبه ثلاثياً، ومعلومات عن مجال تخصصه.
- أن يذكر الباحث ثبتاً بالمراجع التي رجع إليها في بحثه.
- البحوث والمقالات تعبر عن وجهة نظر أصحابها.

مقالات مجلة قاريونس العلمية

العدد الأول والثاني سنة 1993 م

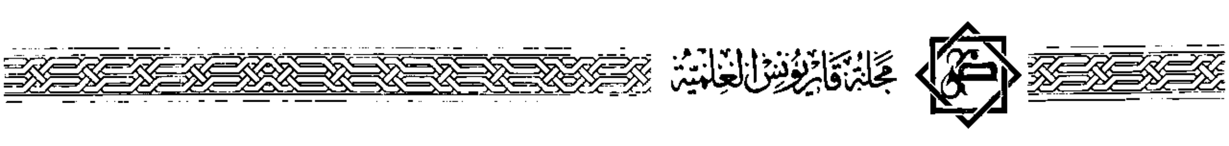
1 ـ تحليل سلاسل التطرفات المناخية بمحطة أرصاد طرابلس لاستخدامها في التخطيط والإدارة البيئية
2 ـ ديوان شعري مخطوط بين أبي نواس والبازياري
3 ـ تميم: تحركها وسياستها في العراق والخليج العربي في صدر الإسلام
4 ـ الصحة العقلية والنفسية للطفل وأثرها على مختلف أنماط السلوك
5 ـ معايير تقييم الترجمة
6 ـ تطور الكتابة ونشر الكتاب في الدولة الإسلامية
7 ـ نباتية المعري بين الزهد والتكفير
8 ـ الطب البيطري: نشأته وتطوره
9 ـ القيمة العلمية لمصادر تفسير القرآن وتأويله
10 ـ التغيرات الهيكلية وأثرها على وضع وتنفيذ السياسات العامة في ليبيا
11 ـ الاختلافات في الأداء أو التحصيل العلمي لطلبة جامعة قاريونس حسب الكليات


مجلة قاريونس العلمية

تحليل سلاسل التطرفات المناخية بمحطة أرصاد طرابلس لاستخدامها في التخطيط والإدارة البيئية

د. أمحمد عياد مقيلي

قسم الجغرافيا، جامعة الفاتح


مجلة قاريونس العلمية

مقـــدمــــة:

تشهد الأحوال الجوية تغيرات كبيرة من مكان إلى آخر ومن يوم إلى آخر ومن فصل إلى آخر في المكان الواحد، تبعاً لتباين درجة العرض، والارتفاع والتضاريس، وتوزيعات اليابس والماء، ونتيجة للتغيرات التي تحدث في زاوية سقوط الإشعاع الشمسي، ولاختلاف خصائص الكتل الهوائية المرتحلة. فلقد سجل العالم أعلى درجة حرارة في سبتمبر (الفاتح) سنة 1921 بمنطقة العزيزية الواقعة جنوب طرابلس، إذ بلغت درجة الحرارة العظمى 57.8 درجة مئوية، أما أدنى درجة حرارة فقد سجلت بمحطة أرصاد فوستك Vostic بالقارة القطبية الجنوبية (52.7 ـ) درجة مئوية. أما أكبر كمية للأمطار السنوية فقد وصلت إلى 2646 سم بمنطقة تشيرابونجي Cherrapunji بشمال شرق الهند، في حين لم تسجل محطة أرصاد وادي حلفا بشمال السودان نقطة مطر واحدة على مدى 19 سنة. والرياح كذلك متغيرة في السرعة والاتجاه، فهي تتغير من ساكنة تماماً إلى رياح هوجاء تقتلع الأشجار على اليابس، وتسبب في ارتفاع أمواج البحر وانتقالها بطاقة تدميرية هائلة على منشآت الشواطىء، كما تؤدي إلى جنوح السفن وتحطمها. إن أعلى سرعة للرياح تم رصدها حتى الآن وصلت 370 كم في الساعة على قمة جبل واشنطون. أما أكبر كتلة برد فقد وزنت 751 جراماً سقطت على كوفي فيل Coffe Ville بولاية كانساس الأمريكية[1].

وعليه فإن التخطيط السليم لمواقع المنشآت الهندسية كالكبارى والسدود،

والطرق، والمصانع، والموانىء وأبراج التنقيب عن النفط وإنتاجه في عرض البحر، وكذلك المواد التي تبنى منها، يتطلب المعرفة المسبقة لأحجام الظواهر المناخية والهيدرولوجية المحتمل حدوثها في المستقبل القريب والبعيد. فبدون معرفة مسبقة عن احتمالية وقوع فيضان بحجم معين، يقع المخطط الهندسي في حيرة من أمره، فقد يبالغ في حجم الفيضان المتوقع حدوثه ويصمم لبناء سد لحجز المياه بحجم أكبر من اللازم، فتصبح كلفته الاقتصادية كبيرة جداً ولا يمكن تحملها، أو قد يبخس تقدير حجم الفيضان المتوقع حدوثه ويصمم لمشروع أصغر من الحجم اللازم لاحتواء مياه الفيضان، فيتهدم السد ويتسبب في غرق المناطق التي صمم من أجل حمايتها.

لذا، فإن احتمالية كل من أحجام الفيضانات وتكراراتها تعتبران من المعلومات الضرورية التي لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار عند التخطيط لحجم البناء ومتانته، والموقع المناسب الذي يجب أن ينشأ عليه.

والتطرف في درجات الحرارة يعتبر هو الآخر من المخاطر الطبيعية على الإنسان والبيئة. فالصقيع القارص يعرقل نشاطات الإنسان اليومية ويسبب الكثير من المتاعب والمعاناة والخسائر الاقتصادية، في حين أن الحرارة المفرطة تسبب هي الأخرى مضايقة نفسية وجسمية للإنسان، بالإضافة إلى تجفيف التربة والبحيرات والمزروعات، وزيادة في مخاطر إضرام النيران في الأحراش والغابات والمنشآت. لهذا فإن التخطيط السليم يتطلب توفر معلومات مسبقة عن احتمالات تطرفات الحرارة، حتى يستطيع المخطط التوصل إلى قرارات علمية سليمة بخصوص التكلفة الاقتصادية للمشروع (الحجم المناسب)، وضمانات الأمان (مواد البناء، ومجالات التمدد والانكماش، والموقع المناسب). فالكباري مثلاً تعتبر في غاية الحساسية لتطرفات الحرارة، وتبعاً لمدى التغير الحراري، يجب أن يترك مجال مناسب للتمدد في الحرارة العالية وللانكماش في الحرارة المنخفضة. إن كثيراً من الكباري التي تبنيها الشركات الأجنبية في دول المناطق المدارية سرعان ما تتصدع وتتهالك، لا لشيء إلا لأنها بنيت على مقاييس أوروبية حيث الحرارة منخفضة، ولم تأخذ في اعتبارها طبيعة العروض المدارية التي تشهد



ارتفاعات كبيرة في الحرارة خلال الصيف. كما لا يفوتنا ذكر أن التطرف في مجال الرؤية، وسرعة الرياح هي من الأمور التي تهم الطيران والإبحار. أما حوادث الصقيع والفيضانات والجفاف فهي في الأمور التي تهم المزارع قبل غيره؛ لهذا فإن معرفة تكرار حدوث تلك الظواهر وأحجامها المتوقعة تساعد في اتخاذ القرارات والإجراءات الوقائية المناسبة في متسع من الوقت قبل حدوث الكارثة.

وأخيراً لا يفوتني تسجيل كلمة شكر وامتنان للأخ عدنان إبراهيم قطوسة وللأخوات سنية محمد عزيز، ومفيدة محمود شلابي، ومفيدة سليمان عربي بقسم المناخ والبحوث بالأرصاد الجوية على المساعدة التي قدموها لي في تجميع البيانات من سجلات المناخ، وفي تبويبها ومن طباعة المخطوط.

تفسير مفهوم التكرار **Return Period**:

في الدراسات المناخية والهيدرولوجية كثيراً ما يستعمل مفهوم فترة التكرار ليعني طول المدة (بالسنوات) المتوقعة، حتى تتكرر الظاهرة في نفس المكان بنفس الحجم أو أكبر منه[2]. افرض أنه تم تقدير فترة التكرار لدرجة الحرارة 45 درجة مئوية ووجد أنها تساوي 20 سنة، فماذا يعني ذلك؟ إن تكرر حدوث درجة الحرارة 45 درجة مئوية مرة كل عشرين سنة يعني أنها تحدث 5 مرات كل 100 سنة، وهذا بدوره يعني أن احتمال حدوث درجة الحرارة بهذا الحجم أو أكبر منه خلال أي سنة من السنوات القادمة يساوي 5 في المائة.

أما إذا حسبت فترة التكرار ووجد أنها تساوي 50 سنة، فإنه يتوقع في هذه الحالة حدوث تلك الدرجة مرتين خلال 100 سنة، أي أن الاحتمال يساوي 2 في المائة. إنه احتمال ضعيف جداً، أليس كذلك؟ ولكن إذا حسبت فترة التكرار ووجد أنها تساوي، 2 فإن هذا يعني توقع حدوث تلك الدرجة مرة كل سنتين، أو خمسين مرة خلال 100 سنة، فالاحتمال كبير في هذه الحالة ويساوي 50 في المائة.

بعض الدراسات السابقة:

يرجع الكثير من الفضل في تطوير نظرية تحليل القيم المتطرفة Extreme Value Analysis إلى الباحث Cumbel، الذي قام خلال الأربعينيات من هذا القرن بالعديد من الأبحاث على السلاسل الزمنية الهيدرولوجية المتعلقة بالفيضانات النهرية. لقد وجد أن التوزيعات التكرارية لسلاسل التطرفات السنوية محدبة Skewed، ويصعب استعمالها في عمل تنبؤات مستقبلية، وللتغلب على تلك المشكلة، طور Cumbel ورقة رسم بيانية تشبه إلى حد كبير التوزيع النصف لوغاريتمي، وظيفتها تحويل البيانات لكي تتمشى مع توزيع الخط المستقيم، ومن ثم عرف هذا التوزيع باسمه [3] Cumbel Distribution.

وفي سنة 1957 أعد الباحث Alexander بحثاً بخصوص تقدير مياه الفيضانات النهرية وفترات تكراراتها واحتمالاتها، متناولاً كذلك إمكانية استعمال نظرية القيم المتطرفة في التصاميم الهندسية، لما لها من علاقة بسلامة الإنشاءات[4].

أما الباحثان Baker and Quayle، فقد قاما بحساب فترات التكرار واحتمالاتها بالنسبة للظواهر المترولوجية والبحرية التالية: ارتفاعات الأمواج البحرية، درجات حرارة سطح البحر، سرعات الرياح، الرؤية، وملوحة البحر[5].

وفي بريطانيا استعمل الباحثان Hopkins and Whyte نظرية القيم المتطرفة في تحليل سلسلتي تطرفات الحرارة العالية والمنخفضة في شبكة من محطات الأرصاد متألفة من 200 محطة موزعة على الجزر البريطانية، وتم التوصل إلى إعداد خرائط توزيعات لفترة التكرار مرة لكل 50 سنة[6]. وفي بريطانيا قام الباحث Hardman وآخرون بدراسة تطرفات الرياح[7]، وقام Jenkinson بدراسة تطرفات الأمطار[8]. وفي أستراليا قام الباحث Dury بدراسة تطرفات درجة الحرارة في 166 محطة، وتوصل إلى إعداد خرائط توزيعات لفترات التكرار التالية: 1.58، 5، 20، 100 سنة[9].

الهدف من الدراسة :

مما تقدم يتضح أن أسلوب تحليل القيم المتطرفة يسمح بتقدير احتمالات تكرار القيم المتطرفة في العناصر المناخية والهيدرولوجية، ليصير بالإمكان استخدام تلك المعلومات في تقدير درجة الثقة والأمان في المشاريع الإنشائية المستقبلية، واستعمالها كذلك في التخطيط الأمثل لإدارة البيئة.

لذا رأى الباحث تطبيق هذا النموذج الإحصائي على سلاسل بيانية لثلاثة عناصر مترولوجية بمحطة أرصاد طرابلس، وهي: درجات الحرارة العظمى السنوية، والسرعات القصوى للرياح، والأمطار السنوية لكبريات الكميات اليومية. والهدف من التحليل في هذا المجال هو تقدير الحجم المتوقع أن تصله الظاهرة المدروسة أو تفوق خلال فترة محددة بالسنوات، وهذا بدوره يمكّن من التنبؤ المستقبلي باحتمالية تكرر حدوث الظاهرة، بنفس الحجم الذي حدثت به في السابق أو أكبر منه.

النمـوذج :

البيانات المستعملة في هذا البحث متمثلة أساساً في ثلاث سلاسل زمنية لمحطة أرصاد طرابلس، تم تجميعها من سجلات المناخ بإدارة الأرصاد الجوية وهي:

سلسلة الحرارة العظمى السنوية للفترة 1924 ـ 1989.

سلسلة الرياح القصوى السنوية للفترة 1964 ـ 1990.

سلسلة الأمطار السنوية لكبريات الكميات اليومية للفترة 1940 ـ 1990.

وتم ترتيب البيانات في الجداول (1، 2، 3) بالشكل التالي:

العمودان الأول والثاني يحتويان على تاريخ حدوث الظاهرة، والعمود الثالث يحتوي على الكمية أو السرعة أو الدرجة بالنسبة للأمطار، والرياح

والحرارة على التوالي. في حين يحتوي العمود الرابع على البيانات وهي مرتبة تنازلياً، أما العمود الخامس فهو يحتوي على ترتيب القيم من 1 لأكبر القيم في السلسلة إلى n لأصغرها، وفي حالة تكرر نفس القيمة لأكثر من مرة يعطى الترتيب المتوسط للجميع. ويحتوي العمود السادس على فترة التكرار بالسنوات، أما العمود الأخير فهو يحتوي على احتمالية تكرار القيمة كنسبة مئوية (راجع الملحق).

هذا وتحسب فترة التكرار (T) بالمعادلة التالية[10]:

$$T = (n + 1) / M \quad \ldots\ldots (1)$$

حيث إن: T = فترة التكرار بالسنوات.
n = عدد سنوات السجل.
M = الترتيب الرقمي.
1 = ثابت.

كما تحسب احتمالية تكرار الظاهرة بنفس الحجم أو أكبر منه بالمعادلة التالية:

$$p = 100M / n \quad \ldots\ldots (2)$$

وبعد حساب فترات التكرار (T) بالمعادلة رقم (1)، يصبح من السهل التوقيع البياني لسلسلة القيم السنوية ضد فترات التكرار، ويستخدم في ذلك توزيع Cumbel الاحتمالي لوحة رقم (1).

كما توجد طريقتان يمكن بواسطتهما رسم خط الانحدار الذي يمثل توزيع القيم، الأولى تتم بواسطة معادلة الانحدار البسيط، والثانية تتم بواسطة النظر،

علماً بأن الفرق بين الطريقتين ضئيل جداً عندما يكون توزيع البيانات متجانساً ومتقارباً على امتداد مستقيم. وفيما يلي شرح موجز لطريقة معادلة الخط المستقيم:

$$Y = \bar{Y} + K\sigma \quad \ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots (3)$$

حيث إن: ـ

Y = القيمة المقدرة.

$\bar{Y}$ = متوسط القيم.

σ = الانحراف المعياري.

K = معامل تكراري.

ولتقدير القيمة Y بالمعادلة رقم (3) لا بد من حساب المتوسط الحسابي للقيم ($\bar{Y}$)، والانحراف المعياري (σ) بالمعادلتين التاليتين:

$$\bar{Y} = Y / N$$

$$O = \sqrt{[\Sigma Y - (Y)^2 / N]\ N - 1}$$

Annual floods on ______

Drainage area ______ sq mi. Period ______

التكرار بالسنوات

لوحة رقم (1) توزيع غامبل



أما معامل التكرار (K)، فهو متغير حسب طول فترة التكرار (T) ويقدر من جدول رقم (1):

جـدول رقـم (1)

المعامل التكراري (K) بالنسبة للقيم الكبرى

T	K
5(*)	0.788
10	1.417
20	2.020
50	2.802
100	3.387
200(**)	3.670
300	4.000
500	4.420
1000	5.000

إن رسم خط الانحدار يعتبر ضرورياً جداً؛ لأنه يسهل تقدير فترة التكرار بسرعة عن طريق خط متحرك من قيمة (Y) (المطلوب تقدير فترة تكرارها) حتى يتقاطع مع خط الانحدار، ومن هناك ننزل بخط عمودي حتى يتقاطع مع القاعدة حيث توجد قيمة (T) التي نبحث عنها (انظر اللوحات رقم 2، 5، 7).

(*) قيم المعامل (K) لفترات التكرار من 5 إلى 100 سنة مأخوذة من Bruce and Clark[11].

(**) قيم المعامل (K) لفترات التكرار من 200 إلى 1000 سنة مأخوذة من Chow[12].

أما النسب المتحصل عليها من تطبيق المعادلة رقم (2) على بيانات السلاسل الزمنية، فيتم توقيعها ضد القيم الأصلية على أوراق رسم عادية، ليتم الحصول على احتمالات تكرار الظاهرة بنفس الحجم أو أكبر منه إذا تم التحرك من العمود الأيسر، وبأقل من الحجم إذا تم التحرك من العمود الأيمن (لوحات رقم 3، 6، 8).

تفسير النتائج :

أولاً ــ الأمطار:

تختلف شدة الأمطار من وقت لآخر تبعاً لاختلاف الظروف الجوية المسببة في سقوطها، وتتباين مع ذلك الأضرار التي يمكن أن تسببها للإنسان والبيئة. فالأمطار المنهمرة المصاحبة لعواصف البرق والرعد الشديدة، أو المصاحبة للجبهات الهوائية الباردة والانخفاضات الجوية، تسبب في مشاكل لا حصر لها من بينها:

1 ــ فيضانات الأنهار وما يترتب عنها من خسائر مادية وبشرية.

2 ــ انجراف التربة الزراعية وتهديم الطرق، وتقصير العصر الزمني للسدود نتيجة ترسب التربة المنجرفة داخلها.

3 ــ عدم مقدرة مجاري الصرف المائية بشوارع المدن على التخلص من المياه الزائدة، خاصة إذا كانت الطرق غير نظيفة ومملوءة بالمخلفات والأتربة، حيث تؤدي إلى اختناق المجاري وتعطيل حركة السير.

لهذا فإن معرفة فترة التكرار واحتمالية سقوط أمطار بككمية معينة أو أكبر يعتبر في غاية الأهمية بالنسبة لمهندسي المدن، والسدود، والطرق، والزراعة. ففي كثير من جهات طرابلس، لا تكاد تصر عاصفة مطر واحدة بدون أن تنغلق مجاري صرف مياه الأمطار، لأن سعة الأنابيب غير متناسبة مع كميات الأمطار، ومع كميات المخلفات التي سرعان ما تتجمع عند فوهات المصارف المائية، وتؤدي إلى اختناقها، فتفيض الطرقات بالمياه وتتعطل حركة السير.

وعليه فمن بداية المشروع الهندسي لإنشاء الطرق، لا بد من معرفة حجم

الأنابيب الذي يتناسب مع كميات الأمطار المتوقع حدوثها خلال فترات تكرار مختلفة. وعند التخطيط لبناء سد لحجز مياه الأمطار، يجب معرفة مساحة الحوض الطبوغرافي الذي تتجمع فيه مياه الأمطار، واحتمالات سقوط الأمطار بكميات مختلفة للتمكن من حساب أحجام المياه المتجمعة عند نقطة السد، وبناء على تلك المعلومات يمكن تصميم الخزان بسعة مناسبة لاحتواء أكبر كميات من الأمطار المتوقع سقوطها في المستقبل.

لنفرض أن سقوط 60 مم من الأمطار أو أكثر خلال 24 ساعة يسبب مشكلة، فما فترة التكرار والاحتمالية لهذه الكمية؟ من اللوحة رقم (2) يتضح أن فترة التكرار تساوي 3 سنوات، أما احتمالية تكرر نفس الكمية أو أكبر في المستقبل فيتحصل عليها من اللوحة رقم (3)، وذلك بالتحرك رأسياً بداية من كمية المطر 60 مم حتى يتم التقاطع مع المنحنى، ومن هناك يتم التحرك إلى اليسار لكي نجد قيمة الاحتمال عند نهاية الخط وهي حوالي 35% . أما احتمال سقوط 40 مم أو أكبر فهو 60 % ، في حين أن احتمال سقوط 80 مم أو أكبر لا يتجاوز 13% . أما كمية المطر المقابلة لاحتمال 50 % ، أي المتوقع أن تسقط مرة كل سنتين، فهي في حدود 47 مم.

ثانياً ــ الريــاح:

تهب الرياح استجابة لانحدار الضغط الجوي، من منطقة الضغط المرتفع باتجاه الضغط المنخفض، كما تزداد السرعة مع زيادة الانحدار. ويقصد بانحدار الضغط أو تدرجه Pressure Cradient الفرق بين الضغط المسجل على نقطتين واقعتين على منسوب واحد مقسوماً على المسافة، وتبعاً لذلك تختلف سرعة الرياح من ساكنة إلى هوجاء بقوة تدميرية هائلة. فهي تؤدي إلى اقتلاع الأشجار وتخريب المباني على اليابسة، وتؤدي إلى جنوح السفن، وتحطيم منشآت السواحل كالموانىء وأبراج التنقيب عن النفط وإنتاجه. إن قوة الاحتكاك الناتجة عن تلامس الرياح بسطح ماء البحر تؤدي إلى ارتفاع الأمواج (لوحة رقم 4)، وتحركها بسرعة كبيرة وبطاقة تدميرية هائلة.

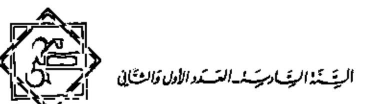
كمية المطر (مم)

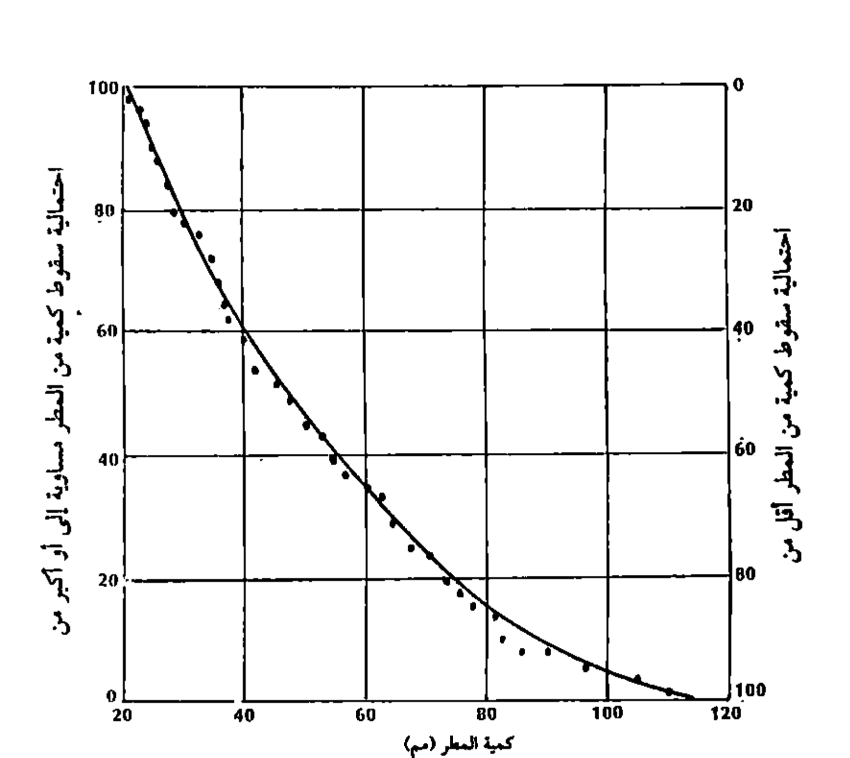
120 100 80 60 40 20

1.01 1.1 1.2 1.3 1.4 1.5 2 3 4 5 6 7 8 9 10 20 30 40 50 100 200

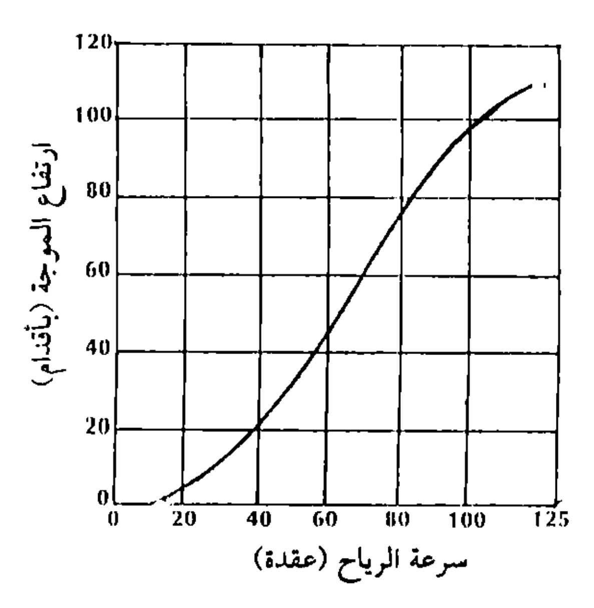
فترة التكرار (بالسنوات)

لوحة رقم (2) المنحنى التكراري لكبريات الأمطار السنوية
بمدينة طرابلس





لوحـــة رقـم (3) احتمالات كميات الأمطار الممكن حدوثها في 24 ساعة خلال موسم المطر في طرابلس



لوحـــة رقم (4) العلاقة بين سرعات الرياح وارتفاع أمواج البحر (5)

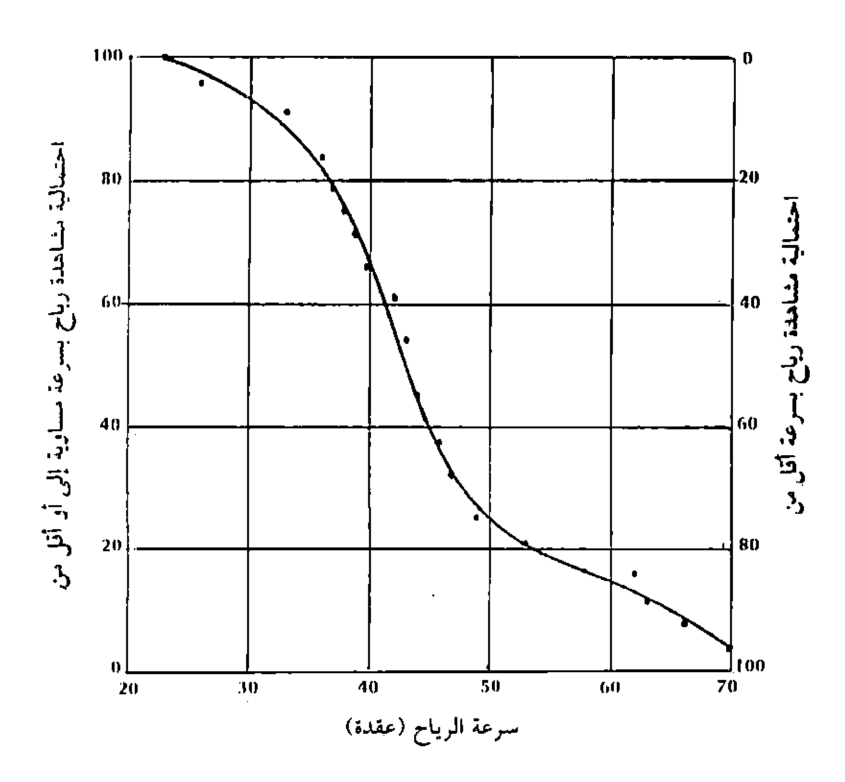
لذا فإن الرياح الهوجاء تعتبر من المخاطر الطبيعية التي يجب دراستها، ومعرفة فترات تكرارها واحتمالاتها، حتى تؤخذ بعين الاعتبارات عند التخطيط لإنشاء الموانيء ومنشآت السواحل الأخرى، وكذلك المطارات وأبراج أسلاك الكهرباء، والاتصالات الهاتفية، والمحطات السنتيمترية. فلو أخذت معلومات الرياح بعين الاعتبار عند إنشاء المحطات السنتيمترية، لما تحطمت تلك الأبراج وتعطل الإرسال المرئي عن جهات سبها والجفرة خلال الفترة 4، 5 من شهر الماء) يونيو 1991 م، ولما تحطم حاجز الأمواج بميناء طرابلس جراء عاصفة شهر (الحرث) نوفمبر سنة 1987 م.

إن اللوحة رقم (5) تبين فترات التكرار المقابلة لسرعات الرياح المختلفة. فعلى سبيل المثال، إن فترة تكرار الرياح بسرعة 50 عقدة هي 3.5 سنة. أما تكرار الرياح بسرعة 60 عقدة فهو 9 سنوات، لنرى ما هي احتمالات تكرر هذه السرعات أو أكبر منها خلال أي سنة من السنوات في المستقبل.

التكرار بالسنوات

لوحة رقم (5) المنحنى التكراري لسرعات الرياح السنوية القصوى بمدينة طرابلس

من خلال اللوحة رقم (6) يتضح أن احتمالية هبوب رياح بسرعة 50 عقدة أو أكبر تساوي 23٪، أما احتمالية هبوب رياح بسرعة 60 عقدة فهي تساوي 12٪ فقط. أما السرعة المتوقع أن تحدث مرة كل سنتين، أي باحتمال قدرة 50٪، فهي تساوي 43 عقدة.



لوحـــة رقم (6) احتمالات سرعات الرياح الممكن مشاهدتها في طرابلس

ثالثاً ــ الحـــرارة:

الحرارة المفرطة تعتبر هي الأخرى من المخاطر الطبيعية التي تسبب في حدوث خسائر مادية بالغة كإضرام الحرائق في الغابات والمنشآت، وتجفيف التربة والمزروعات، كما تكبد السكان مصاريف مالية باهظة في التبريد، وتعطل وسائل النقل والمواصلات، بالإضافة إلى ذلك تسبب في مضايقة نفسية وجسمية كضربات الشمس والإجهاد الحراري، خصوصاً لدى الأطفال وكبار السن وذوي العاهات الصدرية وأمراض القلب.

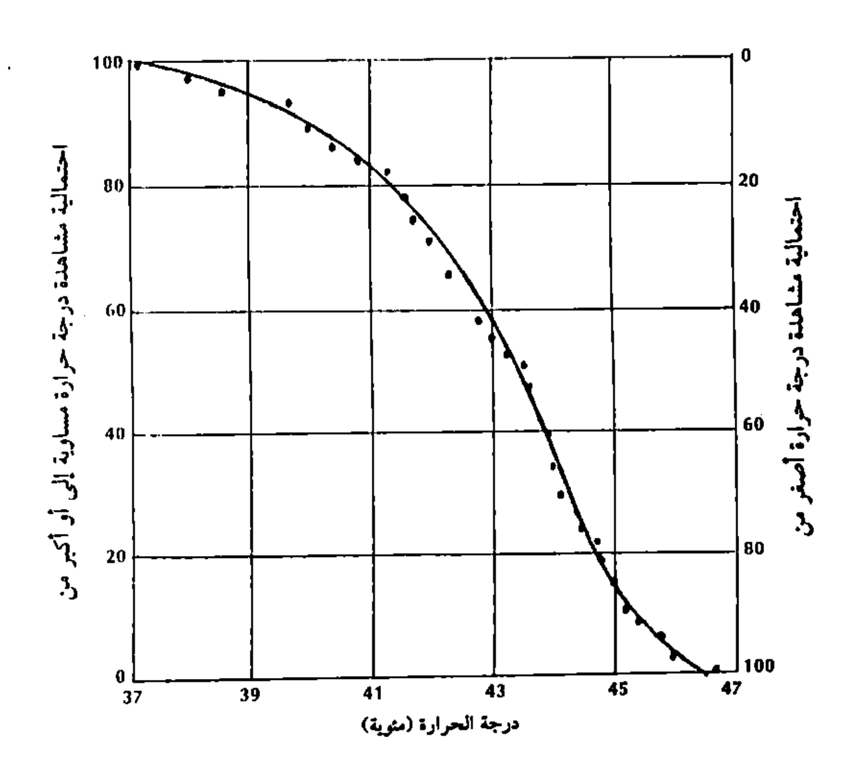
لذا فإن المعلومات المتعلقة بالتطرفات الحرارية تعتبر في غاية الأهمية بالنسبة للتخطيط السليم في مجالات الإنشاءات الهندسية، والصحة، والزراعة، والمياه، وحماية البيئة، والمواصلات. . . . . الخ.

ومن تحليل تطرفات الحرارة المسجلة بمدينة طرابلس (لوحة رقم 7، 8) يتضح ما يلي: إن درجة الحرارة المتوقع حدوثها مرة كل سنتين باحتمال 50% هي 43.5 درجة مئوية، أما احتمال مشاهدة درجة الحرارة 44.5 درجة مئوية فهي 20% ، واحتمال درجة الحرارة 45.0 درجة مئوية يساوي 51% أو مرة كل 7 سنوات تقريباً. أما درجة الحرارة المتوقع مشاهدتها مرة كل 100 سنة فهي تساوي 47.8 درجة.

درجة الحرارة (مئوية)

فترة التكرار (بالسنوات)

لوحة رقم (7) المنحنى التكراري للدرجات الحرارة العظمى السنوية بمدينة طرابلس



لوحـــة رقـم (8) احتمالات الحرارة العظمى السنوية بمدينة طرابلس

المراجـع

(1) «Statistics for geography teachers». Journal of Geography. Vol. LXVI. No. 1. 1967. P. 6.

(2) Chow, Ven. T. «Frequency Analysis» In V.T. Chow (ed.) Handbook of Applied Hydrology. Mc-Graw-Hill. New York. 1964. P. 8.

(3) Gumbel, E.J. «Probability Interpretation of the Observed Return Periods of the Floods». Trans. Am. Geophs. UN. Vol. 1. 1941. P. 836; Also, Gumbel, E.J. «The Retrun Period of Flood Flows». ANN. Math. Stat. Vol. 12, 1941. P. 163; Gumbel, E.J. «Statistic Bureau of Cal Theory of Extereme Value and Some Pratical Application». U.S. National Standrads Appli-Math. Senses (33). 1954.

(4) Alexander, G.N. «Floods Low Estimation, Probability and the Return Period». The Institution of Engineers, Australia, 1957. (Oct-Nov).

(5) Baker, S.E. and R.G. Quayle. «Extermes of the Marinners». Weather Log, Vol. 15, No. (5), 1971. P. 265.

(6) Hopkins, J.S. and K.W. Whyte. «Exterme Temperatures Over United Kingdom for Design Purposes». Met. Mag. Vol. 104. 1975.

(7) Hardman, C.E; N.C. Helliwell, and J.S. Hopkins. «Externe Winds. 1971». Clinato. Mem. Meteorol. Office. No. 50A. 1973.



(8) Jenkinson, A.F. «Frequency Distribution of the Annual Maximum (or Minimum) Value of Meteorological Elements. Q.J.M.S. Vol, 81. 1955. PP. 15%8-171.

(9) Dury, G.H. «High Temperature Extremes in Austrialia». A.A.G. Vol. 62. No. (3). 1972. P. 388.

(10) Gumbel, E.J. 1954. Op-Cite; Also, Chow, V.T. 1951. «A General Formula For Hydrologic Frequency Analysis». Trans. Am. Geophys. Un. Vol. 32. 1951.

(11) Bruce, J.A. and R.H. Clark. Introduction To Hydrometeorology. Pergman Press Oxford. 1966.

(12) Chow, V.T. 1951. Op-Cite.


مجلة قاريونس العلمية



ملحق

جـــدول رقـــم (1)
تحليل قيم الأمطار المتطرفة بمدينة طرابلس
للفترة (1940 ـ 1990 م)

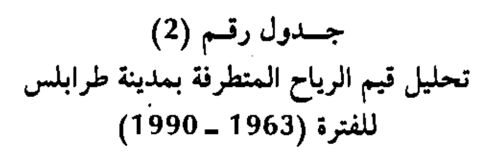
السنة	الشهر	الكمية (مم)	الترتيب التنازلي	الترتيب الرقمي	فترة التكرار	الاحتمال %
1940	9	65.2	110.8	1	52.00	1.9
1941	1	37.2	105.8	2	26.00	3.9
1942	11	25.7	97.0	3	17.30	5.8
1943	11	53.8	86.4	4	13.00	7.8
1944	1	65.1	83.2	5	10.40	9.8
1945	11	73.6	83.1	6	8.60	11.7
1946	12	64.1	81.5	7	7.40	13.7
1947	1	27.9	77.9	8	6.50	15.6
1948	11	40.6	75.8	9	5.70	17.6
1949	11	57.0	73.6	10	5.20	19.6
1950	10	86.4	71.5	11	4.70	21.5
1951	12	28.4	71.1	12	4.30	23.5
1952	12	24.6	68.9	13	4.00	25.4
1953	12	38.0	65.2	14	3.70	27.4
1954	12	46.7	65.1	15	3.40	29.4
1955	10	50.5	64.9	16	3.20	31.4
1956	12	20.6	63.1	17	3.00	33.3

تابـع

السنة	الشهر	الكمية (مم)	الترتيب التنازلي	الترتيب الرقمي	فترة التكرار	الاحتمال %
1957	1	42.3	60.8	18	2.80	35.2
1958	11	71.5	57.0	19	2.70	37.2
1959	12	26.0	25.0	20	2.60	39.2
1960	12	105.8	53.8	21	2.40	41.1
1961	4	24.0	53.0	22	2.30	43.1
1962	1	37.3	50.5	23	2.20	45.0
1963	9	39.0	49.6	24	2.10	47.0
1964	1	34.8	47.9	25	2.00	49.0
1965	1	23.3	47.1	26	2.00	50.9
1966	12	83.1	46.7	27	1.90	52.9
1967	12	28.6	42.3	28	1.80	54.9
1968	10	47.9	41.8	29	1.79	56.8
1969	10	81.5	40.6	30	1.73	58.8
1970	9	33.1	39.0	31	1.67	60.7
1971	10	28.8	38.0	32	1.62	62.7
1972	3	30.5	37.3	33	1.57	64.7
1973	11	49.6	37.2	34	1.52	66.6
1974	3	41.8	36.1	35	1.48	68.6
1975	11	47.1	35.9	36	1.44	70.5
1976	1	55.0	55.0	37	1.40	72.5
1977	11	35.0	34.8	38	1.36	74.5
1978	11	53.0	33.0	39	1.33	76.4

تـــابـــع

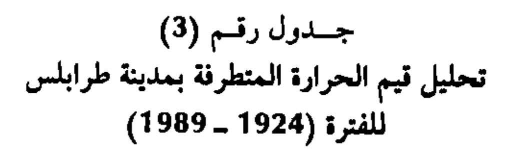
السنة	الشهر	الكمية (مم)	الترتيب التنازلي	الترتيب الرقمي	فترة التكرار	الاحتمال %
1979	9	77.9	30.5	40	1.30	78.4
1980	11	110.8	28.8	41	1.26	80.3
1981	2	20.7	28.6	42	1.24	82.3
1982	11	60.8	28.4	43	1.20	84.3
1983	10	35.9	27.9	44	1.18	86.2
1984	12	68.9	26.0	45	1.15	88.2
1985	12	36.1	25.7	46	1.13	90.1
1986	10	64.9	24.6	47	1.10	92.1
1987	11	97.0	24.0	48	1.08	94.1
1988	12	83.2	23.3	49	1.06	96.0
1989	1	71.1	20.7	50	1.04	98.0
1990	11	75.8	20.6	51	1.01	100.0


جـدول رقـم (2)
تحليل قيم الرياح المتطرفة بمدينة طرابلس
للفترة (1963 ـ 1990)

السنة	الشهر	السرعة عقدة/ ساعة	الترتيب التنازلي	الترتيب الرقمي	فترة التكرار (سنوات)	الاحتمال %
1963	2	23	70	1.0	29.0	3.6
1964	10	26	66	2.0	14.5	7.1
1965	12	38	63	3.0	9.7	10.7
1966	10	70	62	4.5	6.5	16.1
1967	10	53	62	4.5	6.5	16.1
1968	1	62	53	6.0	4.8	21.4
1969	1	44	49	7.0	4.1	25.0
1970	6	37	48	8.0	3.6	28.6
1971	12	33	47	9.0	3.2	32.1
1972	2	48	46	10.5	2.8	37.5
1973	1	62	46	10.5	2.8	37.5
1974	2 ـ 3	63	44	12.5	2.3	44.6
1975	5	44	44	12.5	2.3	44.6
1976	1	43	43	15.0	1.9	53.6
1977	11	47	43	15.0	1.9	53.6
1978	11	43	43	15.0	1.9	53.6
1979	4	46	42	17.0	1.7	60.7
1980	10	46	40	18.5	1.6	66.1
1981	1	36	39	20.0	1.5	71.4

تابع

السنة	الشهر	السرعة عقدة/ ساعة	الترتيب التنازلي	الترتيب الرقمي	فترة التكرار	الاحتمال %
1982	2	36	39	20.0	1.5	71.4
1983	12	43	38	21.0	1.4	75.0
1984	2	40	37	22.0	1.3	78.6
1985	1	49	36	23.5	1.2	83.9
1986	10	39	36	23.5	1.2	83.9
1987	11	66	33	25.5	1.1	91.1
1988	1	40	33	25.5	1.1	91.1
1989	9	38	26	27.0	1.0	96.4
1990	1	42	23	28.0	1.0	100.0



جدول رقم (3)
تحليل قيم الحرارة المتطرفة بمدينة طرابلس
للفترة (1924 ـ 1989)

السنة	الشهر	درجة الحرارة	الترتيب التنازلي	الترتيب الرقمي	فترة التكرار (سنوات)	الاحتمال %
1924	5	42.5	46.7	1.0	67.0	1.5
1925	6	44.0	46.0	2.5	26.8	3.0
1926	5	42.8	46.0	2.5	26.8	3.0
1927	7	44.1	45.7	4.0	16.7	6.0
1928	6	39.6	45.6	5.0	13.4	7.5
1929	4	37.2	45.4	6.0	11.1	9.0
1930	7	40.3	45.2	7.5	8.9	11.3
1931	7 ـ 6	43.0	45.2	7.5	8.9	11.3
1932	6	43.6	45.0	10.5	6.3	15.9
1933	6	41.5	45.0	10.5	6.3	15.9
1934	8	44.7	45.0	10.5	6.3	15.9
1935	9	40.8	45.0	10.5	6.3	15.9
1936	6	39.7	44.8	13.0	5.1	19.6
1937	9	41.8	44.7	14.5	4.6	21.9
1938	9	43.7	44.7	14.5	4.6	21.9
1939	9	42.0	44.6	16.0	4.1	24.2
1940	5	41.8	44.5	17.0	3.9	24.2
1941	7	45.4	44.4	18.0	3.7	27.2
1942	6	44.4	44.1	19.5	3.4	29.5
1943	7	44.8	44.1	19.5	3.4	29.5

تـــابع

السنة	الشهر	درجة الحرارة	الترتيب التنازلي	الترتيب الرقمي	فترة التكرار	الاحتمال %
1944	8	44.0	44.0	23.0	2.9	34.8
1945	8	45.6	44.0	23.0	2.9	34.8
1946	8	41.3	44.0	23.0	2.9	34.8
1947	9	42.8	44.0	23.0	2.9	34.8
1948	7	42.3	44.0	23.0	2.9	34.8
1949	6	38.6	43.9	26.0	2.5	39.3
1950	5	38.0	43.8	27.5	2.4	41.6
1951	5	43.2	43.8	27.5	2.4	41.6
1952	8	43.8	43.7	29.0	2.3	43.9
1953	6	44.0	43.6	31.0	2.1	46.9
1954	7	45.2	43.6	31.0	2.1	46.9
1955	7	45.0	43.6	31.0	2.1	46.9
1956	7	46.0	43.5	33.5	2.0	50.7
1957	6	43.6	43.5	33.5	2.0	50.7
1958	6	42.2	43.2	35.0	1.9	53.0
1959	8	45.7	43.0	36.5	1.8	55.3
1960	7	41.6	43.0	36.5	1.80	55.3
1961	10	38.0	42.8	38.5	1.70	58.3
1962	7	44.5	42.8	38.5	1.70	58.3
1963	8	42.3	42.5	40.5	1.60	61.3
1964	8	42.5	42.5	40.5	1.60	61.3
1965	7	44.0	42.4	42.0	1.57	63.6
1966	7	44.6	42.3	43.5	1.54	65.9

تـــابـــع

السنة	الشهر	درجة الحرارة	الترتيب التنازلي	الترتيب الرقمي	فترة التكرار	الاحتمال %
1967	6	45.0	42.3	43.5	1.54	65.9
1968	8	43.8	42.2	45.5	1.47	68.9
1969	6	45.2	42.2	45.5	1.47	68.9
1970	6	41.6	42.0	47.5	1.41	71.9
1971	6	43.9	42.0	47.5	1.41	71.9
1972	9	43.6	41.8	49.3	1.35	75.0
1973	6	44.7	41.8	49.3	1.35	75.0
1974	6	42.4	41.6	51.5	1.30	78.0
1975	6	43.0	41.6	51.5	1.30	78.0
1976	8	43.5	41.5	53.0	1.26	80.3
1977	9	46.0	41.3	54.5	1.22	82.5
1978	6	46.7	41.3	54.5	1.22	82.5
1979	6	39.9	40.8	56.0	1.19	84.8
1980	6	45.0	40.4	57.0	1.17	86.3
1981	6	43.4	40.3	58.0	1.15	87.8
1982	9	41.3	40.0	59.0	1.13	89.3
1983	8	44.1	39.9	60.0	1.11	90.9
1984	8	42.0	39.7	61.0	1.09	92.4
1985	7	40.0	39.6	62.0	1.08	93.9
1986	6	40.4	38.6	63.0	1.06	95.4
1987	6	44.0	38.0	64.5	1.04	97.7
1988	7	45.0	38.0	64.5	1.04	97.7
1989	9	43.5	37.2	66.0	1.01	100.0

ديوان شعري مخطوط بين أبي نواس والبازياري

د. مصطفى الحدري
جامعة قاريونس - كلية الآداب


مجلة قاريونس العلمية

ظهرت في سورية كتب تراثية كانت من مدخرات بعض الطوائف الباطنية كديوان المنتجب العاني المتوفى نحو سنة 400 هـ، وديوان المكزون السنجاري المتوفى سنة 368 هـ. ويبدو أن الديوان الذي تقوم حوله هذه الدراسة كان من مدخرات هذه الطائفة. وقد زعم ناسخوه أنه من شعر أبي نواس الحسن ابن هانىء المتوفى سنة 198 هـ، وأنه أحد الأولياء الصالحين أو العارفين بأسوار الديانة. وقد نشر هذا الديوان سنة 1992 م تحت عنوان «ديوان شعري مخطوط بين أبي نواس والبازياري»، وذلك بعد أن قدم له وحققه الشاعر عبد الحسنين خضر من طرطوس على الساحل السوري.

والحقيقة أنني لم أسمع بأسم البازياري إلا عرضاً من صديقي الشاعر حامد حسن الذي كان يعمل في مجلة أسامة التابعة لوزارة الثقافة السورية، وذلك منذ سنة 1972 م عندما أنشدني هذا البيت:

هيهات يدخل في القيامة مؤمن   ناراً وإن يدخل فقير مخلد

فظننت أنه يقصد الأديب الشاعر الذي يعرف بكلمة «كشاجم»، فقد كان بازياريا فيما يقال ـ أي مربياً للبزاة وأمثالها من الصقور ـ غير أني لم أجد هذا البيت ولا هذا النفس الشعري في مطبوعة ديوانه البيروتية القديمة.

وسأحاول في هذه المقالة أن أعرف العصر الذي قيل فيه الشعر الذي في هذا الديوان، وأن أثبت أو أنفي علاقته بأبي نواس والبازياري، ضارباً بسهم من التخمين الذي ربما كان مصيباً، ومصححاً بعض ما في النص المطبوع من هفوات.

ورأيت أن المحقق قد حاول أن يكون منصفاً عندما جعل هذه الأشعار ما بين أبي نواس والبازياري. ولا يعني ذلك أنه محق، فربما كانت هذه الأشعار من نظم أبي نواس، وربما كانت من نظم البازياري، وربما كانت لغيرهما. ومن الطريف أن قصر المخطوطات الثلاث التي اعتمد عليها المحقق على نسبة هذه القصائد إلى أبي نواس. وقد انساقت الدكتورة أحلام الزعيم وراء هذا الوهم، فزعمت أن هذه القصائد من شعر أبي نواس، وذلك في دراستها التي قدمتها عنه إلى الجامعة.

وقد رفض محقق الديوان أن تكون هذه الأشعار التي في الديوان من كلام أبي نواس، وذلك لأن البحتري المولود سنة 206 هـ أي بعد وفاة أبي نواس بثماني سنين مذكور في متن الديوان، ولأنه لم يجد من الأبيات المشتركة ما بين هذا الديون والشعر المعروف لأبي نواس إلا بيتاً واحداً كان الشاعر صاحب هذا الديوان قد اقترح على نديمه أن يغنيه وهو من شعر أبي نواس، وذلك في قوله:

غنى بيت ابن هانيء ولقد   كنت له قبل ذاك مقترحا
يا صاح لا أترك المدام ولا   أقول فيها بقول من نصحا

ومن باب الإنصاف للحقيقة وجدت روح أبي نواس ترفرف على القصيدة التي مطلعها:

تذكر القلب أيام الصبا فصبا   إلى الشبيبة والعهد الذي ذهبا

فهي تشبه قصيدة (يا خاطب القهوة الصهباء) الموجودة في ديوان أبي نواس، ووجد الديوان يطفح بالقصائد الخمرية اللواطية التي يطفح بها شعر أبي نواس.

ورجح محقق الديوان أن تكون قصائده من شعر البازياري، وحار في معرفة هذا البازياري، فذكر عدداً من الرجال جلّهم من المحدثين كان كل منهم يلقب بالبازياري، أو ينسب إلى البازيار، وهي من كلمتي (باز) و (يار) الفارسيتين وتعنيان صاحب الصقر أو مربي البازي. وارتاح إلى أن هذا البازياري هو أبو علي المنجم الذي كان في عصر سيف الدولة الحمداني، وقد توفي بحلب سنة

352 هـ، وربما كان ولده إبراهيم ابن أحمد صاحب هذا الديوان في توجه للمحقق أيضاً.

وأنا في سبيل مناقشة هذا القول وتمحيصه، وقد اعتمد المحقق فيه على ما ورد في إحدى قصائد الديوان من قول الشاعر:

وهــو ينــاديني فــي خفيــة   يــا بــازيــاري أمــا تحتســي؟

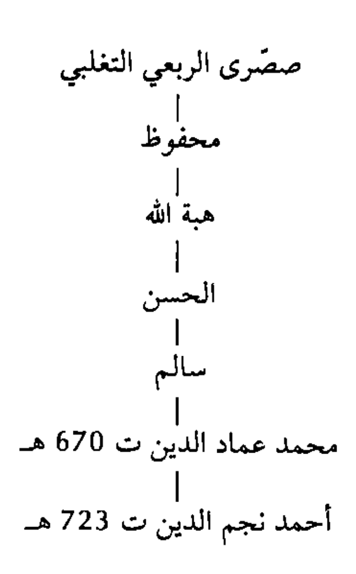
وكلام متن الديوان من أوثق الأدلة، ولا يرد إلا بقرينة بينة. ولو جاء هذا الكلام في الديوان بلا قرينة تعارضه لأخذناه بالتسليم، ولكن ورد في حاشية الديوان المخطط قصة نثرية يبدو أنها منقولة من كلام الشاعر، يفهم منها أن الشاعر يقول تلك القصيدة على لسان صاحب له، وأن هذا الصاحب هو البازياري. وقد اختلفت النسخ الخطية في ضبط نسبته ما بين البازياري والبازبازي!.

وما رجحه المحقق من كون هذا البازياري هو أبا علي المنجم أو ولده مردود بظواهر متعددة منها: أن هذا الديوان يرجع إلى فترة بعد القرن الرابع للهجرة.

ومن هذه الظواهر ما ذكر في إحدى حواشي الديوان المحفوظ من أن الشاعر قد صحب في دمشق اثنين من كبراء رؤسائها، أحدهما العزيز الصصري والثاني هو العماد القلانسي، والعزيز الصصري تصحيف أصله العز بن صَصَّرى، وقد وجه إليه الشاعر بقصيدته التي مطلعها:

مولاي عز الدين ماذا أصنع   ما صدق ودي عندكم لا ينفع

وأنا لم أعرف هذا الرجل على وجه التحديد، ولكني عرفت رجالاً من آل صصرى كانوا قضاة ومحدثين في دمشق من رجال القرنين السابع وبداية الثامن للهجرة النبوية، وهذه شجرة نسب من عرفته منهم:



ومما يرجع بعصر الشاعر إلى القرن السابع للهجرة ـ أو قل إلى النصف الأول منه ـ ما نراه في إحدى القصائد من قوله: [من الطويل]:

فما العيشُ إلا في ارتشافِ كؤوسها　　　وما الدهرُ إلا بالمليكِ المعظَّمِ

والمليك المعظم هو تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين، وهو آخر سلاطين الدولة الأيوبية في مصر. قتله المماليك بدسيسة من شجرة الدر سنة 648 هـ. وهذا يؤكد لنا أن الشاعر قد عاش وكان رجلاً في النصف الأول من القرن السابع.

وعلى هذا فإن علياً المذكور في إحدى القصائد بقول الشاعر: [من الوافر]:

تهز الثوب من طرب وسكر　　　كما هزت مدائحنا عليا

ليس هو سيف الدولة الحمداني ـ كما توجه للمحقق ـ وإنما هو أمير أو ملك كان في القرن السابع، وأظنه علي بن عز الدين أيبك الذي كان سلطاناً إسمياً على دولة المماليك، من سنة 656 هـ إلى أواخر سنة 657 هـ. ولا يمكن أن يكون المقصود بكلمة علي هو سيف الدولة؛ لأن سيف الدولة من رجال القرن

الرابع للهجرة، إلا إذا كانت بعض قصائد الديوان مأخوذة من نظم شعراء عدة، أحدهم من القرن الرابع للهجرة.

ومن الأدلة الأخرى التي تبين أن هذا الديوان ليس من صنيع القرن الرابع، وإنما يرجع إلى فترة متأخرة عن هذا التاريخ إلحاح الشاعر على المحسنات البديعية للفظية ولا سيما الجناس كالغنى والغناء، وهذا النوع من البديع اللفظي من طراز العصرين الأيوبي والمملوكي، وإنا لنجد بعض هذه المحسنات بذاتها في ديوان عرقلة الكلبي، الذي كان دمشقياً من رجال القرن السادس للهجرة.

وقد عجبت لما زعمه المحقق من كون الشاعر الذي ينسب إليه هذا الديوان ذا خلق كريم، وكأنه خدع بقوله:

وإن تشأ فابلني تعثر على رجل   مطهر القلب من غش ومن خبث

كيف يكون كذلك وهو يفخر بالعلاقة الجنسية الشاذة ويتباهى بالمخازي وانظر معي إلى قوله عن الساقي:

فـإذا خـر للجبيـن مـن السكـر   وصريعاً نجا بما أنت راجي

وانظر إلى رغبته الجامحة في العدوان الجنسي على الأطفال بقوله:

ابـــن ثمـــان وأربـــع غنـــج   لغيـر تلـك الفعـال مـا صلحـا

وعجبت أيضاً لما زعمه المحقق من أن الشاعر يدعو إلى ارتشاف الخمرة الروحية، التي زعمت بعض أبيات الديوان أن الأنبياء قد ارتشفوها، وذلك في قول الشاعر:

ألا تحسبوها بنت الكرم هذه   منزهة عن قول أهل التدانيا
بها اهتدى نوح وشيث وصالح   ولــوط وداود وهــود وإدريســا

(كذا). ولي حول هذه المسألة كلام أهمه أن ما ورد في النسخ المخطوطة الثلاث يمكن أن يكون من كلام الشاعر صاحب الديوان، ولكن ما تنفرد به إحدى النسخ ربما كان مدسوساً على الديوان، وهذا ما أتوقع حدوثه، بل قد رأيت فيما تفردت به إحدى النسخ قوله:

فلما أبحت الصبر ما قد جعلته له فتية أوجدت بالعضو للضبي

(كذا). فمن هذا الضبي؟ لعله شاعر ينسب إلى بني ضبة! ولعله مصحف عن «الصب».

وعلى كل حال فإن الخمرة التي يتغنى بها هذا الديوان هي الخمرة الحقيقية وليست هي الخمرة الروحية، وانظر معي إلى قوله:

اسقنيها حتى تراني لفرط الـ ـسكر قد كدت في السراويل أخرا

فأية خمرة روحية هي التي تدعو شاربها إلى أن يحدث في ثيابه!! هذا مجون حقيقي بعيد عن الرمز الصوفي ولا يدل بأية حال على معان علوية، بل يدل على قائل ساقط النفس خال من المروءة، بل هو على استعداد لأن يغير ديانته ويعتنق النصرانية من أجل الخمرة. ألا ترى إلى قوله:

فإن تك عندنا أصخت حراماً فدونكها على دين المسيح

ومن الظواهر التي تدل على أن هذا الديوان يرجع إلى عصر الأيوبيين والمماليك وأواخر الحروب الصليبية تذمر الشاعر من سيطرة غير العرب على مقاليد الأمور، وذلك حيث يقول:

في جيل عصر به استطالت علم الموالي يد العبيد

ونرى تذمره من الأتراك الذين كانوا يتكون منهم عسكر الأيوبيين، ومن بعد كان منهم الجيل الأول من حكام المماليك، ويظهر هذا في قوله:

زربي النصارى واترك الأتراكا لذي ملوكا للسرور ملاكا

وربما كان هذا المذهب في الخلاعة والمجون رد فعل سلبياً على الحروب الصليبية وهو يعبر عن الانهزام الداخلي لدى فئة من الناس.

وقد شعر المحقق بتفاوت النسج الفني ما بين قصائد الديوان وأشياء منه. واعتقد أن هذا التفاوت راجع إلى أن بعض الشعر الذي في الديوان منحول. وأنا أميل إلى أن بعض الشعر قد أدخل في الديوان وليس منه، ولعل بعضه لناظمين

غير متمكنين في فن الشعر بالقصيدة التي تفردت بها إحدى النسخ الخطية ومطلعها:

إليك أشتكي يا رياح الوصب بقلب كئيب له مكتئب

وذكر فيها أنها لأبي الناس ليست من الطراز العام لقصائد الديوان، بل تدل على قائل مغرم باللعب بالشطرنج أكثر من غرامه بالشعر. ووجد المحقق فيما تفردت به إحدى النسخ بيتين من شعر عكاشة بن عبد الصمد العمي المتوفى نحو سنة 175 هـ، وأن هذا ليدل على أن ما في الديوان من شعر قد يكون لعدة شعراء لا لشاعر واحد.

ومجمل ما نجده في الديوان من خلاعة ومجون ـ بالإضافة إلى انتسابه إلى عصر الأيوبيين والمماليك ـ ليدل على أن هذا الديوان ربما كان كتاب «سلافة الزرجون في الخلاعة والمجون» لنور الدين الأسعردي المتوفى سنة 656 هـ، فهو في الخلاعة والجون، وينسب إلى العصر الذي توقعنا أن الديوان مؤلف فيه، وقد نص المؤرخون على أنه مجموع من شعر الأسعردي وشعر غيره، وكذلك حال هذا الديوان.

أما تحقيق الديوان وشرحه فقد بذل فيهما المحقق ما بذل، ولي تعليقات أورد بعضها ليستفيد منها من يريد، وسأثبت منها بعض ما كتبته على حواشي نسختي من مطبوعة الديوان، وسأقتصر على بعض ما في الأوراق الأولى منه.

ـ قال الديوان في ص 97: [من الخفيف]:

تُكْسبُ المرءَ حمرةَ الخدّ إذ تسـ ـلبُ عن وجهه قِناعَ الحياءِ

والذي في الأصل «يكسب المرء» وهو صحيح فلا حاجة إلى تغييره.

ـ وقال في الصفحة نفسها:

فما شربتّها فليس يجمع في صَدْ رِك بينَ الهمومِ والصهباءِ

ويتوجه لي أن تكون كلمة «يجمع» بالبناء للمجهول، والذي أراه أشعر أن تكون بالبناء للمعلوم، وهي لم تضبط في المطبوعة بإحدى الصورتين.

ـ وقال في ص 99: [من الكامل]:

راحٌ إذا امتطتِ الأكـفَّ فـإنهـا   تَجِبِ النفوسُ إلى مدى سرائها

وقد حركت الباء بالكسر من كلمة «تجب» وكأن الفعل مجزوم وقد حرك بالكسر لالتقاء الساكنين. وجزم جواب «إذا» وارد في الضرورة، غير أن جملة هذا الفعل في محل رفع خبر للحرف المشبه بالفعل، والصحيح رفع «تجب» وتحريكه بالضم، وهو من الوجيب بمعنى الحركة والاضطراب.

ـ وقال في الصفحة نفسها:

خضبَ المدامُ بنانَها بشعاعِه   لمـا جنتـه فتـاب عنـدَ جنـائهـا

وأنا في شك من كلمة «فتاب» إذ لا مكان للتوبة هنا، وأظنها مصحفة تصحيف سماع عن «خطاب».

ـ وقال في ص 101: [من البسيط]:

يغني بزهرِ الربى والعشبِ والسُّحْبِ عن   نفحِ العبيرِ وعن بُسْطٍ وعن حُجُبِ

وقد قال المحقق في الحاشية: إن كلمة (نفح) غير موجودة في الأصل، ولا يستقيم الوزن بدونها. اهـ. قلت: بزيادة كلمة (نفح) قد اختل البيت وإن وافق وجهاً مرجوحاً من الصواب؛ لأن صدر البيت يكون بهذه الصورة على وزان:

يغني بزهـ	ـر الربى	والعشب.. والسْـ	ـسُحْبِ عن
مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فاعلن

وتأتي عروضه بهذا الشكل تامة غير مخبونة، والمعهود في العروض هذه أن تكون مخبونة؛ أي بصورة «فَعِلُنْ»، ويستقيم البيت على هذا الوجه المعهود بإسقاط كلمة «نفح»، ونقل كلمة «عن» إلى أول العجز، فيصبح مصرعاً بهذا الشكل: [من البسيط]:

يغني بزهر الربى والعشب والسُّحُبِ   عن العبيرِ وعن بسطٍ وعن حُجُبِ

ـ وقال في ص 102:

إذا تأملتَ ساقينا وقهوتنا وقد طفا فوقها من لؤلو حَبَبِ

والصواب فيما يتوجه لي «وما طفا فوقها».

ـ وقال في ص 103: [من الكامل]:

عُذّبَتْ مراشفُ ثغره لكن أرى رَشَفاتِ بسمهِ ألذَّ وأعذبا

وأنا في شك من «مراشف ثغره»، وذلك لأنها ومراشف مبسمه شيء واحد، فكيف يكون التفاضل بينهما، وأرى أن كلمة «ثفره» محرفة عن «كأسه».

ـ وقال في ص 105: [من الخفيف]:

واجتلاء الشموسِ من أكؤسِ الصهبا ءِ ليلاً على وجوه الثقاتِ

والصواب أن يكتب البيت هكذا:

واجتلاء الشموس في أكؤسِ الصَّهْـباءِ ليلاً على وجوه الثقاتِ

ـ وقال في ص 106:

فالغنا سعدي وبُرْدُ التصابي سابغُ الذيلِ والزمانُ مؤاتِ

والصواب أن تكتب الكلمة الأخيرة بصورة «مؤاتي» أي بإعادة الياء، وذلك لأنها لا تبدل في كلمة القافية تنويناً ساكناً. وقد فرط من المحقق مثل هذا في كلمتي «راجي»، و «راجي» (ص 116). وفرط قريب من هذا في كلمات أخرى كقوله: «كالأقاح» وهو يريد «كالأقاحي».

ـ وقال في ص 112: [من الخفيف]:

وإذا ما شربت كاساتها خلت بأن البلادَ لي ميراثا

والأقرب إلى الصواب:

وإذا ما شربتُ كاساتِها خِلْـ ـتُ ....

وأنا في شك من كلمة «بأن» لأنها هنا قد نصبت الاسم والخبر وهما البلاد

وميراثا، وهذا غير جائز في اللغة العربية الكثرى، وقد ورد في لهجة من قال: [من الرجز]:

يا ليت أيامَ الصبا رواجعا

وله وجه من القياس مجمل إن وأخواتها على الفعل الناصب للمفعولين، وهو في اللهجة الكثرى محمول على الفعل الذي ينصب مفعولاً به مقدماً ويرفع فاعلاً مؤخراً. وأنا أستبعد أن يكون الشاعر قد لجأ إلى هذه الضرورة ونطق بهذه اللهجة، وأتوقع أن كلمة «بأن» مصحفة عن «رِحاب» أو عن كلمة أخرى مقاربة لهذا المعنى ولهذه الصورة الكتابية.

ـ وقال في ص 113 في مطلع قصيدة: [من الطويل]:

فقوما اصرفا بالصرف همي وافتحا   بكاساتها باباً إلى اللهو مرتجا

وقد رجح المحقق أن الجزء الأول من هذه القصيدة ضائع، فاقترح بيتاً يكون مطلعاً، وصدراً آخر له. والذي يبدو لي أن البيت الذي أثبته المحقق هو أول القصيدة، ولكنه تعرض لشيء من التحريف، وأظن صوابه بهذه الصورة:

ألا فاصرفا بالصرفِ همّي وافرُجا   . . . .

ـ وقال في ص 116:

ربمــا نــال مــا يــؤمِّلــهُ   رب التأني وخاب رب اللجاجِ

والشطر الأول من هذا البيت بهذه الصورة من المنسرح، والثاني على وزان:

رب التأذ	ني وخاب	ربّ اللجاجِ
مستفعلن	مَفْعُلات	مستفعلاتن

وهذا وجه من المنسرح غير معهود، ولا سيما ضربه، والصواب فيما أعتقد هو: [من الخفيف]:

ربمــا نــالَ مــا يــؤمِّلــهُ ربْ   بُ التأني وخابَ ربُّ اللجاجِ

ـ وقال في ص 117 : [من الطويل]:

ولا تبك أطلالاً محت عرصاتِها الغـ ـوادي فلاحت كالكتاب المشنَّجِ

والصواب هو:

ولا تبك أطلالاً محت عرصاتها الـ ـغوادي . . . .

ـ وقال في ص 118 : [من الطويل]:

سأشربها ملُ الكؤوس وأرتجي لذنبي كريماً بابه غير مرتج

والصواب: «سأشربها مِلْءَ الكؤوسِ».

ـ وقال في ص 119 من قصيدة على البحر السريع:

فكيفَ والكاسْ يأتي بها ذو نكهة كالمسك إذ فاحا

والتفعيلة الثانية من هذا البيت قد جاءت بصورة «فاعلاتن»، وهذا غير معروف في السريع، فوزان الصدر هكذا:

فكيف والـ	ـكأس يأتي	بها
متفعلن	فاعلاتن	فَعَلْ

والذي في الأصل هو كلمة «يحيي» في مكان «يأتي»، وقد قرأها المحقق بصورة «يجي» وإذا قرئت الكلمة بصورة «يحيي» أي يقدم التحية استقام البيت وصح وزنه.

ـ وقال في ص 121 : [من البحر المجتث]:

وبدا الصبحُ كَرُهْـ ـبان تبدوا في مسوحِ

والصواب:

وبدا الصبحُ كَرُهْبا نِ تبدوا في مسوحِ

ــ وقال من القصيدة نفسها في ص 122:

إن يكـــنْ للخمـــرِ ديـــنُ   المصطفـــى غيـــرَ مبيـــح

والصواب:

إن يكـــن للخمـــر ديـــن الـ   ـمصطفى . . . .

ــ وقال في ص 123: [من مجزوء الرمل]:

فـــاستمـــع نصحـــي ولا   تصـــغ إلـــى تفنيـــد لاح

وقد جاء الصدر من هذا البيت بهذه الصورة على وجه يمكن أن يكون من المديد، والعجز غير سليم، والصواب:

فـاستمـــع نصحـــي ولا تصـ   ـــغ إلـــى تفنيـــد لاحـــي

ــ وقال في ص 126: [من الطويل]:

تريكَ شعاعَ الشمسِ طلعةُ كأسِها   إذا بـرزت والليـلُ أقتـمُ أَقْـوَخُ

وقال المحقق في الحاشية: «في الأصل: إذا برزت فالليل أقتم أقبخ» كذلك في ن 2 وفي ن 3: أنتخ، وكلها لا صحة لها. والصحيح ما أثبتناه، يقال: ليلة قاخ أي مظلمة سوداء. اهـ. قلت: وليس الصحيح ما أثبته، وإذن الصحيح ما ورد في بعض النسخ الخطية من قوله «أَفْتَخ» أي واسع عريض. وقد ذكر الشاعر هذا المعنى وأورد عبارة فيها ما يقارب هذا اللفظ في البيت الأخير من ص 127 [من الطويل] حيث قال:

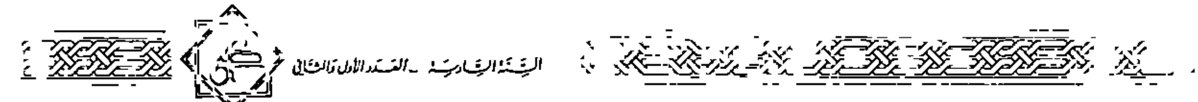
مدامٌ نعيدُ الليلَ صبحاً كؤوسُها   إذا شُعْشِعَتْ والليلُ في حُلَلٍ فُتْخِ

وفتخ هنا جمع فتخاء وهي مؤنث أفتخ.

المصــادر والمـراجــع

1 ــ الأعلام للزركلي، 11 مجلدة. ط. بيروت.
2 ــ ديوان شعري مخطوط بين أبي نواس والبازياري. تح عبد الحسنين خضر ـ المطبعة الجديدة ـ دمشق 992 م.
3 ــ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ـ مجلدان ـ ط. مصر ـ 1299 هـ.
4 ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ـ مجلدان ـ ط. استامبول ـ 1360 هـ.


مجلة قاريونس العلمية

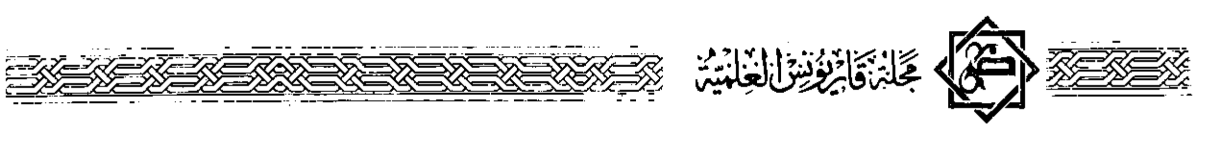


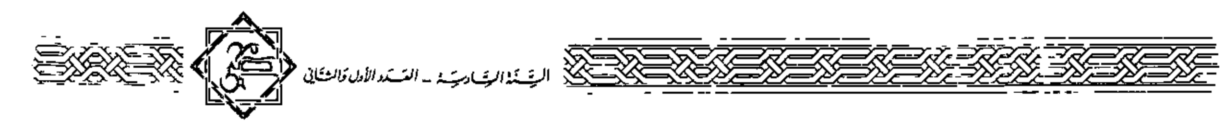
تميم تحركها وسياستها في العراق والخليج العربي في صدر الإسلام

د. يحيى الجبوري

أستاذ بقسم اللغة العربية

كلية الآداب ـ جامعة قاريونس


مجلة قاريونس العلمية



منــازل تميـــم :

تعد تميم من كبريات القبائل التي سكنت الجزيرة العربية، وكان لها دور خطير في حياة الجزيرة في الجاهلية والإسلام[1]. وأبرز مساكن تميم صحراء الدهناء ببادية البصرة، والدهناء واد يحدده الهيثم ابن عدي فيقول: «الوادي الذي في بلاد بني تميم ببادية البصرة في أرض (بني سعد) يسمونه الدهناء، يمر في بلاد بني أسد فيسمونه منعج، ثم في غطفان فيسمونه الرُّمَّة، وهو بطن الرمة»[2].

ونزلت تميم اليمامة، واليمامة كما يقول الهمداني «حَجْر»[3] وهي مصرها ووسطها وموطن الأمراء، ثم «جَوّ» و «الخِضْرِمة» و «العِرْض» واد بها من أعلاها إلى أسفلها وفيه قرى، وتعتبر اليمامة أكبر مقاطعة نجدية اهتم بها الباحثون

---

(1) استوطنت تميم في بلاد نجد، ثم نزلت نحو اليمامة، وسكنوا بين اليمامة وهجر، وتوغل بنو سعد بن تميم نحو الجنوب فسكنوا رمل يبرين مجاورين عبد القيس في قطر، ومضت طائفة منهم إلى عمان (معجم ما استعجم ـ البكري 1/90). وقد جاورت تميم في اليمامة بني حنيفة وحاضرة اليمامة (الحجر) (البكري 1/85، ومختصر كتاب البلدان ص 28). وقد حدد الأخنس بن شهاب التغلبي الشاعر موطن تميم في قصيدة له بين قف ورملة في قوله: (انظر المفضليات 2/3):

وصــارت تميــم بيــن قــف ورملــة ... لهــا مــن جبـال منتـأى ومـذاهـب

(2) ياقوت ـ معجم البلدان (الدهناء).

(3) هي قرب مدينة الرياض الحالية.

القدماء حتى قيل إن نجداً من «اليمامة»[4]. ومن اليمامة حَجْر وجو والعِرْض ووبرة وبَيْسَان وبُرْقة ضَاحك وتُوْضِح: وهي كثيب رمل أبيض من كثبان حمر بالدهناء قرب اليمامة، وهي من قرى قَرْقَرى وهي زروع ليس بها نخل، والمِقْرَاة، ووادي مران.

وقَرْقَرى أربعة حصون: حصن لكندة وآخر لتميم وحصنان لثقيف[5]. وكذلك الوَشْم موضع باليمامة يشتمل على أربع قرى، وبين الوشم وقراه مسيرة ليلة، وبينها وبين اليمامة ليلتان[6]. وفي اللسان: الوشم بلد ذو نخل به قبائل من ربيعة ومضر دون اليمامة قريب منها يقال له وَشْم اليمامة[7]. وفي الوشم (أُثَيفِيَة) وهي بلدة ولد بها جرير، قال ياقوت: ؛ «أثيفية تصغير أثفية القدر، قرية لبني كليب بن يربوع بالوشم من أرض اليمامة وأكثرها لولد جرير. . . وبها كان جرير، وبها له مال، وبها منزل عُمَارة بن عقيل بن بلال بن جرير»[8].

ونجد تميماً في القرن السادس تحتل مناطق واسعة من بلاد نجد وجزءاً من البحرين واليمامة[9]، وتنحدر منازلها نحو الجنوب إلى صحارى الدهناء، وتصعد إلى الشمال الشرقي نحو الفرات. وقد جاورت من القبائل بني أسد في الشمال، وباهلة وغطفان في الجنوب الغربي، وبطون من عبد القيس وبني حنيفة في الشاطىء الشرقي والجنوبي، وبكر وتغلب في الشمال[10].

وكانت بلاد تميم ممراً لتجارة الفرس الآتية من الشمال نحو الجنوب إلى هجر وبلدان الخليج العربي والبحر الهندي وبالعكس. وكانت الفرص مواتية

---

(4) عمر رضا كحالة ـ جغرافية جزيرة العرب ص 214.

(5) ياقوت ـ معجم البلدان (حرف القاف).

(6) المصدر السابق 1/121.

(7) لسان العرب مادة (وشم).

(8) ياقوت (ثيفية).

(9) يبدو أن سكن تميم في البحرين قديم جداً يرجع إلى قرب ميلاد المسيح، ففي رواية أن سابور ذا الأكتاف أتى البحرين وفيها قوم من تميم فأوقع بهم وأمعن في قتلهم. انظر الطبري 3/67، ومروج الذهب 1/158 ـ 159.

(10) دائرة المعارف الإسلامية (تميم).

لقبائل تميم للسطو على هذه القوافل وسلبها، فقد وافق أن بعث وهرز من اليمن إلى كسرى عيراً انتهبها بنو يربوع الذين حرضهم صعصعة بن ناجية المجاشعي، وقد عرفت هذه الحادثة بيوم المشقر[11].

وكانت تميم بمنجاة من عدوان الفرس أو انتقامهم على الإغارات وسلب لطائمهم لبعدهم عن أرض فارس، فقد أراد كسرى الانتقام من تميم حين أغاروا على لطيمته وانتهبوها، فقيل له: «إن بلادهم بلاد سوء، إنما هي مفاوز وماؤهم من الآبار»[12].

ويبدو أن تميماً سكنت تهامة في فترة متقدمة من العصر الجاهلي، ووثبت على البيت، فاجتمعت عليها العرب وأجلتها عن تهامة[13]. يسوق المرزوقي رواية حول الحزن ودور تميم فيه، يقول: «كانت قريش تنطلق من مكة إلى (دُوْمَة الجَنْدَل) فإذا أخذوا طريق الحَزْن فما كانوا يحتاجون لحماية أية قبيلة حتى يرجعوا، كان ذلك بسبب مضر . . . وعندما يغادرون الحزن أو يذهبون إلى الحزن يردون مياه كلب، وكانت كلب حلفاء بني تميم، ولذلك فما كانوا يقلقونهم»[14].

وإذا علمنا أن الطريق الموصل من مكة إلى الحزن كان تحت سيطرة القبائل المضرية، وأن الحزن نفسه كان ملك تميم[15]، استطعنا أن نعرف أن نفوذ تميم لا يقتصر على اليمامة وهجر وأواسط نجد بل يمتد شمالاً حتى دُوْمَة الجندل.

وكان نفوذ تميم في سوق دومة الجندل يرجع إلى حلفها مع كلب (قُضَاعة). أما سوق المُشَقَّر فقد كان بإمرة رجل من تميم[16]، ولعل ذلك يعود إلى صلة تميم بالفرس. وكانت المشقر قاعدة مهمة للحكم الفارسي. وقد

(11) الطبري 1/748، 984، وابن الأثير ـ الكامل 1/204، 209.

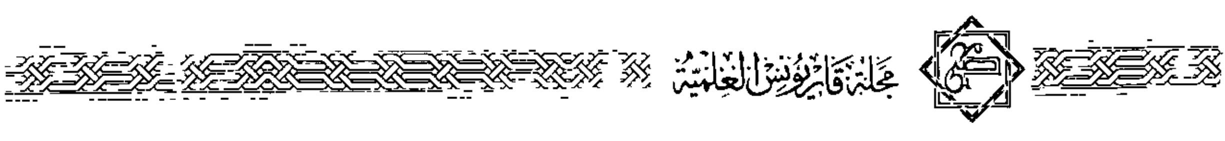
(12) الطبري 1/984، وابن الأثير 1/209.

(13) الأغاني 10/19 ط. ساسي.

(14) الأزمنة والأمكنة 2/162، وانظر مكة وتميم ـ كستر ترجمة يحيى الجبوري ص 15.

(15) انظر: Von Oppenheim - Kaskel: Die Beduinen 111, 164 عن مكة وتميم الترجمة العربية ص 16.

(16) ابن حبيب ـ المحبر ص 265.



استطاعت تميم أن تسيطر على هاتين السوقتين، سوق دُومة الجندل وسوق المشقر، وعلى الطريق المؤدية إليهما، وقد أمّنت بذلك الحماية للقوافل القرشية الآتية من مكة نحو هذين الطريقين[17].

ومن هذا نستطيع أن نتعرف على مسرح تميم في الجاهلية، هذا المسرح الشاسع الذي يشمل معظم نجد ومنطقة الحزن ضارباً إلى دومة الجندل شمالاً ومتجهاً نحو الشرق حيث بادية البصرة فمنطقة الدهناء فالمشقر جنوباً، فمنطقة هَجَر متوغلة في رمل يَبْرِيْن ملتقية في عُمَان ومجاورة لقبائل الأزد، أما من الغرب فيتجهون من اليمامة نحو البطاح حيث بنو يربوع ومنازل مالك ابن نويرة (وكانت تميم وبنو أسد أقرب القبائل التي ارتدت إلى المدينة ولذلك بدأ بهم المسلمون وتوجه إليهم خالد بن الوليد)[18]، ويصل نفوذهم نحو مكة. لقد كانت اليمامة هي مركز تميم، ولكن نفوذها وتحركاتها كانت تشمل منطقة وسط الجزيرة وشرقيها بخاصة[19].

وإذ جاء الإسلام وتأسست الكوفة والبصرة، نجد تميماً تنزل هاتين المدينتين ويكون لها شأن فيهما أي شأن. فأما الكوفة فيذكر أن تميم الكوفة أقل بقليل من تميم البصرة، وأبرز أسرة نزلت الكوفة هي أسرة زُرَارة بن عُدُس، ويعدون بيوتات العرب وذوي الشرف والنسب العريق الذين نزلوا الكوفة: آل زُرارة بن عُدُس من تميم، وآل ذي الجَدَّيْن من ذهل بن شيبان، وآل حذيفة بن بدر الفَزَاريين من قيس عيلان، وآل الأشعث بن قيس من كِندة[20].

كانت الكوفة في مبدأ أمرها معسكراً للجند ـ وكذلك البصرة ـ تحشد فيها الجيوش لتوجه لفتح الأقاليم الشرقية، ولذلك فقد روعي في تقسيمها الاعتبارات

---

(17) انظر مادة: دُومة الجندل في دائرة المعارف الإسلامية.

(18) النعمان عبد المتعال ـ شعر الفتوح الإسلامية ص 44.

(19) انظر مسرح تميم في الخارطة.

(20) ابن رشيق ـ العمدة 183/2، وأبو الفرج ـ الأغاني 105/17، وابن الفقيه ـ كتاب البلدان ص 173.




الحربية فقسم جند الكوفة أول الأمر إلى أعشار، ويبدو أن نظام الأعشار كان قديماً معروفاً منذ زمن الرسول ﷺ[21]، وتوزيع الجند إلى أعشار حسب انتماءاتهم القبلية يسهل المهمة الحربية في سرعة الاستنفار وتوزيع الفيء والعطاء.

ولا نعلم عن أعشار الكوفة شيئاً، إذ سرعان ما كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب بتعديل نظام الأعشار، فأقره عمر، فاستأنس سعد بفريق من ذوي الرأي والمعرفةِ بالأنساب فحولوا أعشار الكوفة إلى أسباع، وكانت الأسباع على هذا النحو[22]:

1 ــ كِنانة وحلفاؤها من الأحابيش وغيرهم وجديلة (فَهْم وعَدْوان).
2 ــ قُضَاعة وبَجِيلة وخَثْعم وكِندة وحضرموت والأزد.
3 ــ مَذْحِج وحِمْيَر وهَمْدان وحلفاؤهم.
4 ــ تميم والرِّباب وهوزان.
5 ــ أسد وغطفان ومحارب والنَّمِر وضُبَيعة وتغلب.
6 ــ إيَاد وعَكّ وعبد القيس وأهل هَجَر والحمراء.

ولم يذكر الطبري السبع السابع، واجتهد ماسنيون أنه لقبيلة طيء[23] معتمداً على تصنيف القبائل في زمن علي بن أبي طالب في الكوفة[24].

ثم عُدِّل هذا التصنيف قبيل وقعة الجمل، كانت\تميم في سبع مع قريش وكِنانة وأسد والرِّباب ومُزَينة[25]. وحين ولي زياد الكوفة سنة خمسين من الهجرة جعل الكوفة أرباعاً على هذا النحو[26]:

(21) الطبري 3/8، وانظر إحسان النص ـ العصبية والقبلية ص 219.
(22) الطبري 3/151.
(23) خطط الكوفة ص 11.
(24) الأخبار الطوال ص 155، وإحسان النص ص 220.
(25) ماسينيون ص 11.
(26) الطبري 3/152، والعقد الفريد 5/8، وماسينيون ص 15 ـ 16.

1 ــ تميم وهَمْدان.
2 ــ ربيعة وكِنْدة.
3 ــ مَذْحِج وأسد.
4 ــ أهل المدينة (قريش وكنانة والأزد وبَجِيلة وخَشْعم وقيس عيلان ومزينة).

وقد وهم ماسينيون[27] حين سمى الربع الرابع (أهلَ العالية) فأهل العالية خمس من أخماس البصرة، وهو يقابل ربع أهل المدينة بالكوفة[28]. ولا نعرف بالتفصيل الدوافع التي جعلت زياداً يعمل هذا التغيير، ويبدو أنه كان ينظر إلى القبائل من حيث نسبها وسكنها في الجاهلية، فقد رد القبائل إلى فروعها، فألحق قبائل قُضاعة ومَهْرة وحضرموت بكندة، وألحق حمير بهَمْدان، والأشعر وطيء بمَذْحِج، وقد لاحظ أن مجموعة من القبائل المضرية واليمنية كانت تسكن الحجاز في الجاهلية مثل قريش وكنانة والأزد وبَجِيلة وخثعم وقيس عيلان ومزينة، فجعلها في ربع أهل المدينة. ولعل زياداً أراد أن يجمع بين القحطانية والعدنانية ليزيل العداء القبلي ويخفف من شأن العصبية.

وقد جعل زياد على كل ربع رئيساً، ولا يشترط في هذا الرئيس أن يكون من القبيلة نفسها، فقد جعل خالد بن عرفطة العذري مولى بني زهرة على ربع تميم وهَمْدان، وجعل قيس بن الوليد بن عبد شمس على ربع ربيعة وكندة، وأبا بردة بن أبي موسى الأشعري على ربع لمَذْحِج وأسد. وجعل زيادَ بن عمرو بن حريث المخزومي على ربع أهل المدينة[29].

وقد نزل بجوار تميم أحلافهم من الدَّيْلَم، فقد كان مع رستم يوم القادسية أربعة آلاف يسمون (جند شاهنشاه)، فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أحبوا ويحالفوا من أحبوا ويفرض لهم في العطاء، فأعطوا ما سألوا وحالفوا زُهْرة بن حَوِيّة السعدي من بني تميمٍ، وأنزلهم سعد بحيث اختاروا وفرض لهم ألف ألف،

(27) خطط الكوفة ص 16.
(28) الطبري 5/329.
(29) الطبري 4/199.

وكان لهم نقيب يقال له دَيْلم، فقيل حمراء ديلم[30]، وقيل: إن هؤلاء الحمراء سألوا عن أمنع قبائل العرب، فقيل لهم تميم، فحالفوهم وصاروا في عدادهم[31].

وهكذا فإن استقرار القبائل في الكوفة قد تم وفق الأسس القبلية حيث نظر إلى صلات النسب والأحلاف التي عقدت بين القبائل، فاختطت القبائل منازلها المحددة لها، واجتمع شمل أبناء القبيلة في وحدة سكنية فرضتها طبيعة الظروف الحربية العسكرية، فعاشت الكوفة لذلك ومنذ أول تأسيسها حياة قبلية.

ويلاحظ في تأسيس الكوفة أن القبائل اليمنية كانت أكثر عدداً من القبائل النِزَارية، فيقدر المؤرخون[32] تعداد القبائل اليمنية باثني عشر ألفاً، والقبائل النزارية بثمانية آلاف، وقد لاحظ المؤرخون أيضاً أن السيطرة والسيادة في الكوفة كانت للقبائل اليمنية المتحضرة مثل مَذْحِج وهَمْدان وكِندة[33]. وقد ضمت الكوفة عناصر يمنية وحجازية متحضرة إلى جانب قبائل أعرابية شديدة البداوة من رعاة الإبل أهل الوبر، وخاصة من بني دارم التميميين وجيرانهم قبيلة طيء[34].

أما البصرة التي مُصِّرت قبل موقعة القادسية في عام 14 هـ على الأرجح[35]، فقد كان لتميم فيها النصيب الأوفى، جاءت جماعات من بني تميم مع عتبة بن غزوان وسويد بن قطبة الذُهَلي مع جموع من بكر بن وائل، ثم صارت جموع تميم تتوافد على البصرة وتستقر فيها[36]. وكانت البصرة منطلقاً إلى الأهواز وفارس ومَيْسان، وكان لتميم السبق في فتح خراسان، فقد أوكل إلى سيد تميم الأحنف بن قيس بفتح خراسان، وعقدت له الراية وصار والياً على خراسان، وكان لقرب منازل تميم من البصرة أن نزحت من اليمامة وهَجَر والبحرين إلى البصرة واتخذتها موطناً ومستقراً، وكان في طليعة القبائل التي نزلت البصرة عند

(30) البلاذري ـ فتوح البلدان ص 279.

(31) الطبري 1/261 ط. ليدن، يوهان فك ـ العربية ص 17 ـ 18، وماسينيون ص 11.

(32) البلاذري ـ فتوح البلدان ص 276، ياقوت ـ معجم البلدان 7/267.

(33) ولهوزن ـ الدولة العربية.

(34) ماسينيون ـ خطط الكوفة ص 12، 13.

(35) الطبري 3/89، وفتوح البلدان 2/425.

تمصيرها قبائل من تميم وربيعة والأزد، وكان لغلبة هذه القبائل الثلاث وكثرتها العددية وقلة تنوع القبائل أن جعل البصرة تقسم إلى أخماس، بينما كثرة تنوع القبائل دعاهم أن يقسموها إلى أسباع، أما أخماس البصرة فهي:

1 ــ تميم وضَبَّة والرِّباب[37].
2 ــ عبد القيس[38].
3 ــ بكر بن وائل[39].
4 ــ الأزد[40].
5 ــ أهل العالية (وهم قريش وكنانة وقيس عيلان والأنصار وطوائف من قبائل أخرى)[41].

وكان لقبيلة تميم[42] المكانة الكبيرة والشأن الرفيع في البصرة، فهم مؤسسو البصرة الحقيقيون، ويلاحظ شارل بلا[43] أن الطبقة الفكرية والسياسية والدينية في القرن الأول الهجري هي في غالبيتها من تميم، وتميم هي التي أعطت البصرة طابعها السني.

وكما حالف الديلم التميميين ونزلوا في جوارهم في الكوفة، فقد انضم الأساورة إلى تميم في البصرة، ذكروا أن سياه الأسواري كان على مقدمة يَزْدَجِرْد،

---

(36) ياقوت ـ معجم البلدان 1/638، البلاذري 2/419، ابن الفقيه ـ البلدان ص 188.

(37) يقع خمس تميم في الجنوب الغربي من البصرة حتى نهر الأساورة جنوباً، وتمتد منازلهم إلى المربد غرباً وهناك جبانة بني مازن من تميم. الطبري 1/3122.

(38) في شرقي البصرة عند نهر معقل ودار الرزق.

(39) في الشمال والشمال الغربي من البصرة.

(40) في الجنوب الغربي قرب وادي العقيق.

(41) نزلوا في الجنوب الشرقي من البصرة، ونزلت ثقيف قرب المسجد الجامع إلى الجنوب. انظر الطبري 4/478، 559، 5/330، ونصر بن مزاحم ـ وقعة صفين ص 131.

(42) الملاحظ أن القبائل المضرية تتمثل في خمس تميم وخمس أهل العالية، أما القبائل الربعية فتتمثل في خمس بكر بن وائل وعبد القيس، ويمثل القبائل اليمنية خمس الأزد.

(43) الجاحظ ص 53.

فلما رأى ظهور الإسلام وعز أهله أرسل إلى أبي موسى يعرض عليه الدخول في الإسلام وأن يقاتل العجم المشركين، وإن وقع خلاف بين العرب لا يشتركون فيه، وأن ينزلوا حيث شاءوا، وأن يكونوا في العطاء. فكتب أبو موسى إلى عمر فوافق على جميع ما سألوا. فسألوا عن الأحياء أي الأحياء أقرب نسباً إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل بنو تميم، فخالفوهم، ثم خطت لهم خططهم فنزلوا، وحفروا نهرهم الذي يعرف بنهر الأساورة[44]. وقال المدائني: أراد شيرويه الأسواري أن ينزل في بكر بن وائل مع خالد بن المعتمر وبني سدوس، فأبى سياه ذلك، فنزلوا في بني تميم، ولم يكن الأزد بالبصرة ولا عبد شمس، ثم انضم إلى الأساورة السيابجة وكانوا قبل الإسلام بالسواحل، وكذلك الزط وكانوا بالطفوف يتبعون الكلأ، فلما اجتمعت الأساورة والزُّطّ والسَّيَابِجة تنازعتهم بنو تميم فرغبوا فيهم، فصارت الأساورة في بني سعد، والزُّط والسبابجة في بني حنظلة[45].

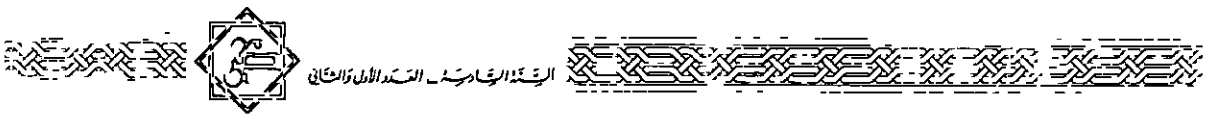
أما دُور تميم في البصرة فتقع في الجنوب الغربي من المدينة، وإن حدود منطقتهم امتدت إلى (الجَبَّانِ) مقبرة البصريين، ويقال إن مالك بن مسمع البكري انقض من سكة المربد على بني العدوية من تميم وحرق ديارهم[46].

وكان جلّ سكان البصرة من تميم وهم قبائل، منهم بنو سعد وبنو العنبر ومالك بن العنبر ومجاشع ونهشل والهُجَيْم والفُقَيم والغدان ومازن والهجريون وبنو عسل وبنو العم. وكان بنو العم في الأهواز ثم انتقلوا إلى البصرة أيام عمر بن الخطاب وارتبطوا بتميم، ويرى بعضهم أن أصلهم كالمدفوع[47]. أما بنو سعد فتدخل فيهم عشيرة قُلَيْب، وفي مالك بن العنبر يدخل عامر، وفي عداد مجاشع شُعَيراء وعامر بن زيد، وفي نهشل بهر بن ربيعة ورزام وكعب بن شقرة، وفي الهجيم بنو العنبر بن عوف، وفي الفُقَيم أبان بن دارم الكُرْدُوسَان[48].

---

(44) البلاذري ص 366 ط. رضوان.
(45) البلاذري ص 366 ـ 367.
(46) نقائض جرير والفرزدق ص 731 إبريل 1908.
(47) الأغاني 3/257 ط. دار الكتب.
(48) الحياة الأدبية في البصرة ص 78 ـ 79.

خريطة منازل القبائل العربية قبيل الإسلام



وكذلك مدت تميم نفوذها في خراسان، كانت البوادر الأولى لفتح خراسان في زمن عمر بن الخطاب، وفي زمن عثمان بن عفان توغل المسلمون في خراسان وثبتوا أقدامهم، وبخاصة إبّان ولاية عبد الله بن عامر على البصرة، فقد عقد هذا ألوية الجيوش لرؤساء قبائل البصرة البارزين، وفي طليعتهم الأحنف بن قيس وعبد الله بن خازم السلمي وقيس بن الهيثم السلمي[49]، وقد تم فُتح أكثر خراسان على يد القبائل البصرية وإن شاركت القبائل الكوفية بجزء من هذه الفتوح ففتحت بَلْخ[50]. ولم يستوطن العرب في خراسان إبّان هذه الفترة وإنما كانوا يكتفون بالفتح ثم يعودون أدراجهم بعد أن يتركوا حامية منهم في تلك البلدان، حتى إذا كان زمن زياد في البصرة عام 35 ه؛ نجد القبائل تستوطن بلاد خراسان وتستقر فيها، وكانت سياسة زياد في إضعاف المعارضين للحكم الأموي أن هجَّر عام 51 هـ مع الربيع بن زياد خمسة وعشرين ألفاً بعيالهم من أهل البصرة ومثلهم من أهل الكوفة فأنزلهم دون النهر بخراسان[51]، ويبدو أن مجموعات من قبائل البصرة كانت ترحل إلى خراسان، فصارت الغلبة لهذه القبائل هناك في حين كان عدد الكوفيين يقل بالتدريج. وقد أدى فتح خراسان من قبل القبائل البصرية أن جعلت خراسان تابعة للبصرة، وكان والي البصرة عبد الله بن عامر هو الذي يعين ولاتَها زمن عثمان، وفي العصر الأموي نجدها تلحق بأمير البصرة تارة، أو تفرد بوال مستقل تارة أخرى.

ومن مراجعة النصوص التاريخية نجد أن الغلبة العددية في خراسان للقبائل المضرية ثم لربيعة ثم صار للأزد شأن في ولاية المهلب بن أبي صفرة عام 78 هـ[52]، وفي ولاية قتيبة بن مسلم تظهر القبائل المضرية على مجموع القبائل هناك، وأكثر هذه القبائل من تميم[53]، ويذكر الطبري ثبتاً بأعداد المقاتلة وقبائلهم

(49) الطبري 3/244 وما بعدها، والبلاذري 3/499 وما بعدها.
(50) الطبري 3/245.
(51) الطبري 3/507 و 4/107، والبلاذري 3/507.
(52) النقائض 1/365.
(53) الطبري 3/276.

في خراسان إبان فتنة قتيبة بن مسلم سنة 96 هـ، يتضح منه أن تميماً وأحلافها كانت أكثر القبائل هناك وكذلك الأزد، ومن الثبت نرى الأعداد التالية:

1 ـ تميم: عشرة آلاف.
2 ـ الأزد: عشرة آلاف.
3 ـ أهل العالية (قيس وغيرها): تسعة آلاف.
4 ـ بكر وائل: سبعة آلاف.
5 ـ أهل الكوفة: سبعة آلاف.
6 ـ الموالي: سبعة آلاف.
7 ـ عبد القيس: أربعة آلاف[54].

لقد توسعت تميم في خراسان وحالفتها بعض القبائل التي تشاركها في النسب مثل ضَبّة والرِّباب ومزينة، وكان رئيس هذا الحلف في زمن قتيبة بن مسلم ضرار بن حصين الضبي[55].

ومن خلال الأحداث والاضطرابات التي شهدتها خراسان، نجد أن لتميم الدورَ البارز في هذه الأحداث وفي شتى الأصقاع، فهم يقاتلون عبد الله بن خازم الذي منعهم الاستقرار بهراة، ويقتلون ابنه محمداً، وحاربوه بمرو الشاهجان ومرو الروذ ونَيسابور[56] ثم قتله بَحِيْر بن ورقاء التميمي، ومعنى هذا أن نشاط تميم كان يستغرق إقليم خراسان من نَيسابور شرقاً إلى طخارستن مروراً بهراة ومرو الروذ حيث قصر الأحنف بن قيس التميمي[57]. ثم إن قتيبة قد فتح بخارى والصغد بسيوف تميم[58].

---

(54) يبدو أن هذا الرقم الذي يذكره الطبري من تميم غير دقيق، فقد كانت تميم أكبر من هذا العدد بكثير بدليل أن أبا عبيدة في كتابه عن خراسان يذكر أن مقاتلة تميم كانوا أربعة وعشرين ألفاً. نقائض جرير والفرزدق 1/368.

(55) الطبري 5/277.

(56) الطبري 7/593، وابن الأثير 4/208.

(57) راجع لسترانج ـ بلدان الخلافة الشرقية، خارطة إقليم خراسان.

(58) الطبري 8/1201، وابن الأثير 4/542.

أما الحارث بن شريح التميمي فكان قد ثار، واكتسح أكثر مدن خراسان وكاد أن يستولي على مرو الشاهجان في ولاية عاصم بن عبد الله الهلالي[59]، ومن الواضح أن قبيلة تميم كانت أكبر القبائل العربية في خراسان طيلة الحكم الأموي، وأن قبيلة الأزد تأتي بالمرتبة الثانية[60].

كانت مرو الشاهجان حاضرة خراسان، وكانت مركزاً للإدارة الحربية والمدنية، ويبدو أن العرب قد اختلطوا بسكان البلدان المحليين وساكنوهم وخاصة في زمن الكرماني الذي سيطر عليها، وتدل أخباره، أنه هدم دور المضرية[61]، ومعنى هذا أنه كان لتميم وغيرها من القبائل سكن فيها. وقد استقر العرب بالقرى المحيطة بمرو الشاهجان، وقد عرف بعض هذه القرى بنسبتها إلى أسماء القبائل العربية، فيذكر الطبري أن هناك قرية لطيء يقال لها يونيه[62]، وأخرى لحرب بن عامر[63]، وقرية لكندة، وقرية لبني العنبر[64]، وقرية لخالد بن إبراهيم[65]، وقرى لخزاعة مثل بالين أو اللين وقرية سفيذنج وقرية فَنِين[66].

وكانت أرض تميم وبكر متداخلتين في شرقي خَرَاسَان، وتتنازع القبيلتان على بعض الأماكن، كل منهما تدعى أنها هي التي احتلتها قبل الأخرى، وقد امتدت منافسة هاتين القبيلتين إلى سجستان أيضاً[67]. وكان الصراع بين القبائل على قرية بعينها فتشترك فيها أكثر من قبيلة مثل قرية (خُلْم) التي اشترك فيها الأزد وتميم وقيس[68]. ونزلت قبائل من تميم والأزد وبكر في البَرُوقان التي تبعد فرسخين عن بلخ أكبر مدن الإقليم الشرقي في خراسان، ثم كثرت القبائل هناك

---

(59) الطبري 9/1575.

(60) نقائض جرير والفرزدق 1/368، والطبري 9/1663.

(61) الطبري 9/1934.

(63) الطبري 8/1026.

(64) الطبري 9/1862.

(65) الطبري 9/1952.

(66) الطبري 9/1952، 1914.

(67) ولهوزن ـ تاريخ الدولة العربية ص 395.

(68) ياقوت ـ معجم البلدان 2/465.

حتى حول أسد بن عبد الله القسري المقاتلة من البروقان إلى بلخ، وبنى لهم فيها دوراً ونقل الدواوين إليها، وعمرها بعد أن كانت خراباً[69].

ويتحدث اليعقوبي عن المدن التي سكنها العرب في خراسان فيقول: «في جميع مدن خراسان قوم من العرب من مضر وربيعة وسائر بطون اليمن»[70]، ومن هذه المدن نيسابور وطوس ومرو الشاهجان وهراة ويوشنج[71]، وقد كان لتميم سكن في هذه المدن، وبخاصة في مرو الشاهجان حيث جاوروا الأزد[72].

ولكثرة تميم وقوتها في خراسان، فقد أرادوا أن يحكموها ويتصرفوا في شؤونها، وقد وعدهم بذلك عبد الملك بن مروان، وتعهد لهم حين كانت خراسان في حوزة عبد الله بن خازم السلمي، ولذلك فقد كان زعماء تميم من مثل بكير بن وشاح وبحير بن ورقاء يتحرون زلات أمية بن عبد الله ويشاغبون عليه، ويضجون بالشكوى من زيادة الخراج وسلطان الدهاقين وشدتهم في الجباية[73].

وقد كانت القبائل تنقسم إلى قسمين كبيرين متنافسين، الأول يتكون من تميم وقيس، والثاني من بكر، وبعد سنة ثمان وسبعين كثر الأزد بخراسان وعظم نفوذهم بمجيء المهالبة، وانحازوا إلى بكر بسبب الحلف الذي كان يربط بين القبلتين في البصرة، فصارت الأزد وبكر وعبد القيس في جهة، وتميم وقيس في جهة أخرى تمثلان المعارضة[74].

هذه أهم المنازل التي نزلتها تميم في جاهليتها وإسلامها، وهي منازل تمثل رقعة واسعة من أرض الجزيرة والأمصار الإسلامية المفتوحة، ومنازل تميم هذه تمثل خط سيرهم وهجرتهم في الفتوح التي كان لهم فيها البلاء الكبير، وتمثل سعة الأرض التي شغلوها ضخامة قبائل تميم وقوتهم وكثرة نشاطهم، ومشاركتهم في الحياة القبلية والسياسية بقوة وحيوية.

(69) الطبري 9/1490.

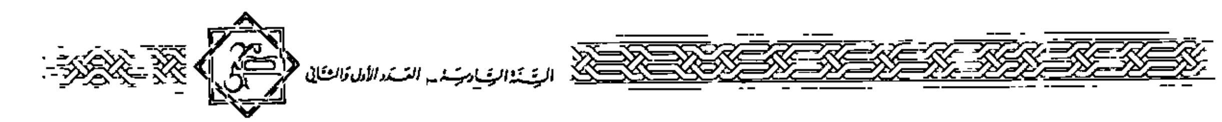
(70) تاريخ اليعقوبي ص 294 ط. النجف 1964.

(71) المصدر السابق ص 278 ـ 280.

(72) السابق ص 279.

(73) الطبري 8/1029.

(74) الشعر بخراسان ص 73.



سياستهـا الحربيـة:

رأينا أن تميماً تشغل مساحة كبيرة في الجزيرة والخليج العربي وبلاد خراسان، وقد كان سلطان تميم يمتد من بادية البصرة حتى الحجاز مروراً بنجد، ومن تخوم الحيرة وبادية الشام حتى اليمامة، وقد كانت تجاور الأزد في عمان ورمل يبرين وبني حنيفة في اليمامة، وعبد القيس في البحرين والدهناء، وبكر بن وائل في بادية البصرة، والمناذرة اللخميين في الحيرة، وبني أسد في جبل أجأ، والغساسنة في دُوْمة الجندل، وبني عامر بن صعصعة في فَيْد وبلاد نجد، وغَطَفان في تيماء. وهكذا فهي تجاور مجموعة كبيرة من القبائل العدنانية والقحطانية. وقد كان لتميم أيام وحروب مع هذه القبائل جميعاً، فحياتها في الجاهلية سلسلة من المعارك والغزوات والانتصارات والهزائم، فهي قبيلة كبيرة كثيرة البطون واسعة الفروع منتشرة في أنحاء الجزيرة، وقد كانت من القبائل القوية التي يحسب حسابها ويعرف خطرها، وكانت قبيلة أعرابية بدوية لا تخضع للملوك ولا تنضوي تحت لواء قبيلة أخرى، بل كانت تتمرد على السلطان وتخضع لسلطتها القبائل وتجعلهم في حماها وتحت لوائها.

وسنحاول أن نضيء حياتَها وطبيعة علاقاتها بالفرس وحكام الحيرة وقبائل اليمن وربيعة وقيس، وسنجد أن هذه الصلات والحروب كان لها آثارها في حياة القبيلة في العصر الإسلامي، وبخاصة في زمن الأمويين في البصرة وخراسان، وتحدد مواقفها السياسية على ضوء عصبياتها ونظرتها للقبائل المنافسة وموقفها من السلطة وبخاصة الأزد:

1 ـ الصراع ضد النفوذ الفارسي:

كانت بطون من تميم ترعى في تخوم الحيرة، وكانت أرض تميم ممراً للقوافل التجارية التي تأتي من العراق وفارس قاصدة هجر والبلدان الواقعة على الخليج العربي، وكان الفرس يدفعون لرؤساء تميم مبالغ نظير خفارة تجارتهم وحمايتها ما دامت في أراضيهم. وكثيراً ما كانت تميم تنتهب القوافل الفارسية وتسطو على أموالها، وكان من جملة ما انتهبوا قافلة وهرز التي بعثها من اليمن

إلى كسرى فسلبها بنو يربوع، وبسببها كانت حادثة المُشَقَّر التي سنعود إليها. وكان ملوك الفرس يحاولون إخضاع القبائل العربية لسلطانهم باستمالتهم بالهبات والعطايا أو الإقطاعات حيناً، وبتحريض القبائل واستغلال الخلافات القبلية حيناً آخر، وبالقوة والحربْ في حين ثالث. وقد تمكن الفرس من إخضاع بكر وتغلب لسلطانهم لأنهما كانتا نازلتين على تخوم الفرس ويرعون في أرضهم، ولكنهم ما كانوا يستطيعون التوغل داخل الجزيرة، ولذلك فإن بطوناً من تميم كانت تخضع للفرس بحكم منازلهم، أما الفروع الأخرى فقد كانت متمردة على سلطان الأعاجم، وكثيراً ما كانوا يغيرون على حامياتهم وينهبون أموالهم وإبلهم. وقد كان لسعة بلاد تميم وتوغلها في رمال الجزيرة خير منجى لها من جند الأكاسرة وأعانهم المتمثلين بحكام الحيرة، فقد أراد كسرى أن يوقع بتميم بعد أن نهبوا لطائمه فحذره أعوانه بأن «بلادهم بلاد سوء، إنما هي مفاوز وماؤهم من الآبار»[1].

وكان الفرس مضطرين إلى إتباع سياسة المهادنة وكسب ولاء القبائل بالمنح والعطايا، ولكن إذا أتيحت لهم الفرصة لضرب القبائل فلا يترددون في ضربها وإذلالها، وتسيير الجيوش لكسر شوكتها، أو ضرب القبائل بعضها ببعض وبخاصة تلك التي كانت بينها عصبية وإحن وأحقاد.

وكانت بعض القبائل لا تدين للملوك ولا تذعن لطاعتهم، وعرفت تلك القبائل بـ (اللَّقَاح) وأهمها مضر، وأهم قبائل مضر في هذا هي تميم، ويذكر ابن حبيب بأن تميماً كانت لَقَاحاً لا تذعن لسلطان الحاكمين إلا بعض بطون تميم ممن كانت مساكنهم متاخمة لأراضي الفرس في اليمامة وما جاورها[2]، فمن سياسة الفرس في اتقاء شر تميم بالمنح واجتذاب رؤسائهم وتقريبهم بالإقطاعات، أن عمد كسرى إلى حاجب بن زرارة فأعانه على الجهد والجدب، ولكي يضمن عدم إغارة تميم على ممتلكاته رهن حاجب عنده قوسه ضماناً بالوفاء[3].

(1) الطبري 1/984، وابن الأثير 1/209.
(2) ابن حبيب ـ المحبر ص 253.
(3) النقائض 1/462، نقيضة رقم 6 بيت 8.

ـ وكذلك قربوا زيداً العبادي وابنه عدي بن زيد العبادي، وينقل أبو البقاء نصوصاً صريحة عن هذه السياسة، وهي أن أكاسرة الفرس كانوا يعطون أمراء الحيرة بعض الإقطاعات مساعدة لهم في حكمهم، يقول أبو البقاء: «.... وإنما كانت الأكاسرة تقطعهم مواضع منه معينة مسماة، تجعلها أطعمة لهم ومعونة على عملهم، وكانوا يجتنبون خراجها فيأكلونه ويطعمون منه من شاءوا من أهلهم ومن كانوا يصانعونه ويستميلونه من الأعراب، وربما أقطعوا أيضاً قرى من جملة أقطاعهم»[4]، وفي الأغاني نص صريح حول وفادة قيس بن مسعود إلى كسرى، فسأله: أن يجعل له أكلاً وطعمة على أن يضمن له على بكر بن وائل أن لا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه، فأقطعه الأُبُلَّة وما والاها»[5]. وقد تولى أمراء الحيرة تنفيذ هذه السياسة بحذق وجدارة، فقد منح المناذرة تميماً الردافة، ومنح المنذر بن ماء السماء بردى محرِّق (أعز العرب وأكرمهم حسباً) لتميمي[6]، وقد منح النعمان بن المنذر سَواد بن عدي التمِيمي أرضاً صارت تسمى بعده (السَّوَادية)[7]. لكن ما كان يكتب لهذه السياسة النجاح دائماً، وذلك لروح التمرد التي جبلت عليها القبائل الأعرابية مثل تميم، ولكثرة فروعها التي كان من الصعب السيطرة عليها، وإيغالها في الصحراء التي لا حد لها.

وكان أبرز الصدامات التي وقعت بين تميم والفرس في يوم الصفقة أو حادثة المشقر، وكان سبب يوم الصفقة[8] أن كسرى أنوشروان بعث إلى وهرز عامله على اليمن قافلة تحمل نبعاً، وكانت قوافل كسرى ترسل بخفارة من المدائن إلى النعمان في الحيرة، ويرسلها النعمان مع خفراء من ربيعة حتى تصل إلى هَوْذَة بن

---

(4) المناقب المزيدية مخطوطة الورقة 145 أ.

(5) أبو الفرج ـ الأغاني 10/132.

(6) النقائض 1/714، وابن عبد ربه ـ العقد الفريد 2/214.

(7) ياقوت ـ معجم البلدان مادة (السوادية) و (السوارية).

(8) سمى يوم الصفقة لأن كسرى أصفق الباب على بني تميم في حصن المشقر، ويسمى أيضاً يوم المشقر، وهو حصن بالبحرين، الرواية ملخصاً عن الأغاني 17/318 ـ 322 ط. الدار، وانظر تفصيل هذا اليوم في الطبري 2/169 ـ 171 ط. أبو الفضل، وابن الأثير 1/275، وفي العقد الفريد 5/224 هو يوم الكلاب الثاني، وأيام العرب ص 1 ـ 5.

علي الحنفي باليمامة، ثم يخرجها هذا من أرض بني حنيفة حتى تدفع إلى تميم وتجعل لهم جِعَالة فتسير بها إلى أن تبلغ اليمن وتسلم إلى عمال كسرى. فلما وصلت عير كسرى إلى هَوْذة الحنفي طلب هَوْذة من الأساورة الذين يرافقون القافلة أن يعطوه الجَعالة التي يعطونها لبني تميم، وهو يكفيهم أمرهم ويسير بهم حتى يبلغوا مأمنهم. وخرج هوذة والأساورة بالعير من هَجَر، حتى إذا كانوا بنَطَاع وهو واد في اليمامة، بلغ بني تميم ما صنع هَوْذة، فساروا إليهم وأخذوا ما كانَ معهم واقتسموه، وقتلوا الأساورة وسلبوهم، وأسروا هوذة الحنفي، فاشترى نفسه بثلثمائة بعير.

وانطلق هوذة إلى كسرى يخبره بما صنعت تميم بعيره وأساورته، وتدارس كسرى وهوذة الموقف، ونصح هوذة كسرى بأن أرض تميم لا تطيقها الأساورة وتميم تمتنع بها، والرأي أن تحبس عنهم الميرة، فإذا فعلتَ ذلك بهم سنة أرسلتَ معي جنداً من أساورتك فأقيم لهم السوق، فإنهم يأتونها، فتصيبهم عند ذلك خيلك. وعمل كسرى برأي هوذة، ثم أرسل معه ألفاً من الأساورة بقيادة رجل يقال له المكَعْبِر[9]، فساروا حتى نزلوا المشقر من أرض البحرين، وبعث هوذة إلى بني حنيفة فأتوه فدنوا من حيطان المشقر، ثم نودي: إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة، وقد أمر لكم بميرة فتعالوا فامتاروا. فانصب عليهم الناس وكان أعظم من أتاهم بنو سعد من تميم، فجعلوا إذا جاءوا إلى باب المشقر أدخلوا رجلاً رجلاً، حتى يذهب به إلى المكعبر فتضرب عنقه، وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل، فإذا مر رجل من تميم بينه وبين هوذة إخاء، أو رجل يرجوه، قال للمكعبر: هذا من قومي فيخليه له، فنظر عبيد بن وهب[10] إلى قومه يدخلون ولا يخرجون فقال: ويلكم، أين عقولكم، فوالله ما بعد السلب إلا القتل، وتناول سيفاً وضرب سلسلة كانت على باب المشقر، فقطعها وقطع يد رجل كان واقفاً

(9) كان المكعبر عامل كسرى على البحرين، واسمه بالفارسية (ازاذ فردز بن جشنس) وسمته العرب المكعبر لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل. راجع الطبري 169/2.

(10) ويقال خيبري بن عبادة، ولعبيد بن وهب قطعة يسجل فيها هذا اليوم فيقول:

ألا هل أتى قومي على النأي أنني ... حميت ذِمَاري يومَ باب المشقَّر

ضربت رِتَاجَ الباب بالسيف ضربةً ... تفرَّجَ منها كلّ بابٍ مُضَبَّرِ

بجانبها، فانفتح الباب، فإذا الناس يقتلون، فثارت بنو تميم. فلما علم هوذة أن القوم قد نذروا به كلم المكعبر في مائة من خيارهم فوهبهم له يوم الفصح.

ومن الأيام التي التحم فيها بنو تميم بأساورة الفرس وأعوانهم من القبائل العربية هو يوم الصُّلَيْب. كانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس، فكانوا يقومونهم ويجهزونهم لغزو القبائل المعادية لحكام الفرس وصنائعهم حكام الحيرة، وكانت القبائل البدوية وخاصة تميم تخوض معارك ضارية مع هؤلاء الأساورة والأعوان، وتسلب أسلحتهم وأموالهم وترجع بالغنائم لائذة بالصحراء. وقد ذكر البلاذري حادثة من هذه الحوادث فقال: «وأغارت بكر بن وائل على بني عمرو بن تميم يوم الصيب، ومعهم ناس من الأساورة، فهزمهم بنو عمرو، وقتل طريف رأس الأساورة فقال[11]:

ولولا طِرادى بالصُّلَيْبِ لَسُوِّقَتْ نساءُ أناسٍ بين دُرْنَا وبَارِقِ»

ومن الأيام التي اصطدمت فيها تميم بالفرس يوم ذي قار[12]، وتتفق المصادر على أن بدايته كانت بسبب عدي بن زيد العبادي التميمي، فقد حدث نزاع بين عدي بن زيد وعدي بن مرينا حول اختيار خلف للمنذر بن المنذر بن ماء السماء، ويؤول الحكم بأخرة إلى النعمان بن المنذر، ويكون هذا نصراً لعدي بن زيد فالنعمان ربيبه، فتثور ثائرة عدي بن مرينا، وما يزال يكيد لعدي بن زيد ويسعى به عند النعمان حتى يغيِّرَه ويوغر صدره، فينكل النعمان بعدي بن زيد ويسجنه ويقتله. ويشب ابن عدي، زيد بن عدي بن زيد العبادي وتكون له مكانة في بلاط كسرى، فيكيد للنعمان ويغيِّر عليه كسرى ابرويز بن هرمز، ويتنكر هذا للنعمان، ويكون مصير النعمان الخوف ثم الهرب، فيلوذ ببني شيبان ويستودعهم أدراعه وسلاحه وأهله، ويظفر كسرى بالنعمان ويزج به في السجن حتى يموت، ويقال إنه ألقى به تحت أرجل الفيلة، ويوعز كسرى إلى عامله الجديد على الحيرة

(11) البلاذري ـ أنساب الأشراف مخطوط الورقة 105 ب، وانظر الحيرة ومكة ص 41 الترجمة العربية.
(12) الأغاني 2/201 وما بعدها ترجمة عدي بن زيد، والنقائض 2/638 ـ 647، والعقد الفريد 5/262 ـ 265.

إياس بن قبيصة الطائي أن يسترد ودائع النعمان لدى بني شيبان، ولكن بني شيبان يرفضون طلبه ويأبون إخفار ذمة النعمان، وكان ذلك سبباً في أن يرسل كسرى جيشاً كثيفاً من المرازبة والعرب لقتال بني شيبان، ولكن الدائرة تدور على الأكاسرة وأعوانهم ويكتب النصر لبني شيبان، وكان هذا النصر إشعاراً بتوحيد الشعور العربي ضد مملكة الأكاسرة، وقد شاركت تميم فيما يروى ابن عبد ربه[13] في هذا اليوم، فقد «كان في بكر أسرى من تميم قريباً من مائتي أسير أكثرهم من بني رياح بن يربوع، فقالوا: خلوا عنا نقاتل معكم فإنما نذب عن أنفسنا، قالوا: فإنا نخاف ألا تناصحونا، قالوا: فدعونا نعلم حتى تروا مكاننا وغناءنا فذلك قول جرير:

مِنَّا فوارسُ ذي بَهدَىٰ وذي نَجَبٍ والمُعْلِمونَ صباحاً يومَ ذي قارِ»

وتحدد المصادر زمن هذا اليوم بعد وقعة بدر بأشهر، ورسول الله ﷺ بالمدينة[14]، وقيل[15]: إن وقعة ذي قار كانت وقد بعث النبي ﷺ وخبر أصحابه بها فقال: «اليوم أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا».

2 ـ تميم والمناذرة:

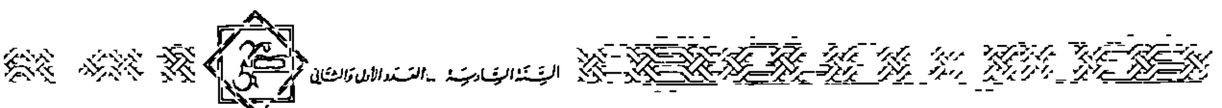
في تعيين صلات القبائل بمملكة الحيرة، بيان لصلة هذه القبائل بالفرس أيضاً لأن أمراء الحيرة ـ وكثيراً ما يسمونهم ملوكاً ـ ما كانوا في حقيقتهم إلا حكاماً بالنيابة عن الأكاسرة، ولم تكن القبائل العربية خاضعة لهم، اللهم إلا بعض القبائل الساكنة في الأراضي التي تحت سلطة أمراء الحيرة، فقد كانت هذه القبائل مضطرة للرضوخ ودفع الأتاوات نظير نزولهم في أراضيهم، وكانت هذه القبائل مهددة بقوى الجيش الحيري، وحين تغادر القبائل أراضي الحيرة تصبح في حل من طاعتهم، وتصبح القبيلة ممتنعة، ويحدد أبو البقاء معنى رضوخ القبائل وإذعانها لأمراء الحيرة فيقول: «ما كان الإذعان يعني بالنسبة للقبائل أكثر من أن

---

(13) العقد الفريد 5/264 ـ 265، وانظر النقائض 2/647.

(14) الأغاني 24/76 ط. دار الكتب.

(15) العقد الفريد 5/262.



يمسكوا عن الإغارة على السواد وحدود ممتلكات المناذرة»[16]. ويصنف أبو البقاء القبائل إلى ثلاث مجموعات:

أ ــ القبائل المستقلة (اللَّقاح)[17] التي تغير على ممتلكات أمراء الحيرة وكانت تغزى من قبلهم.
ب ــ وقبائل عقدت أحلافاً مع أمراء الحيرة وفق شروط مبينة.
جـ ــ وقبائل ترعى في جوار الحيرة وكانت خاضعة لهم. ولكن حتى هذه القبائل كانت موضع مصانعة من قبل أمراء الحيرة الذين يحاولون أن يكسبوا ودهم. وكان أقرب الجيران إلى الحيرة هم: ربيعة وتميم، وكانت بعض عشائر تميم ترعى في جوار الحيرة[18].

كانت العلائق بين تميم والحيرة متفاوتة بين المد والجزر، فتميم ـ كما أسلفنا ـ من القبائل الأعرابية القوية المنتشرة في وسط وشرقي الجزيرة العربية، وكانت أراضيها على طريق القوافل الحيرية، وما كانت تسلم هذه القوافل من نهب تميم وقتل جند القوافل، ولذلك فقد كانت هذه القوافل تدفع لتميم إتاوة نظير خفارتها ومرورها، أي ضريبة المرور أو (رسم الترانسيت)، ولذلك فإن حكام الحيرة كانوا يصانعون زعماء تميم بالهبات والهدايا أو الإقطاعات، وإلا فإن المعارك الطاحنة سرعان ما تنشب بينهما، وما دامت تميم متمنعة برمال الصحراء فما كان جنود الحيرة ينالون منها. وكثيراً ما يميل حكام الحيرة إلى مصانعة تميم واسترضائها، وفي هذه الحالة كانوا يستفيدون من تميم، ويستخدمونها في غزواتهم وحروبهم[19]. أما صور هذه المصانعة والاسترضاء فمنها:

---

(16) أبو البقاء ـ المناقب المزيدية الورقة 99 ب.

(17) انظر اللسان (لقح)، والجاحظ ـ فخر السودان على البيضان (رسائل الجاحظ) ص 59: (فاللقاح البلد الذي لا يؤدي إلى الملوك الأربّان، والأربان هو الخراج وهو الإتاوة) وجاءت الكلمة (أربان) بالياء في طبعة هارون 964 م، 1/187. وانظر في اللقاح نولدكه: Noldeke: Dlectus P. 42, I.14.

(18) الحيرة ومكة ص 20 ترجمتنا.

(19) من ذلك استعانة المناذرة بتميم في يوم السلان أو قاع القرنتين على بني عامر بن صعصعة، فقد دعا =

1 ــ كان سفيان بن مجاشع بن دارم مقرباً إلى المنذر بن ماء السماء، وهو الذي أشار على المنذر أن يخطب ابنة الحارث بن عمرو الكندي[20]، الذي بعث به تبع مع بكر بن وائل ملكاً عليهم، وقد ضيق على المنذر بن ماء السماء حتى ألجأه إلى هيت وتكريت، وتوسط سفيان بن مجاشع فخطب ابنة الحارث هنداً للمنذر فزوجها إياه، فولدت له ثلاثة ذكور بعضهم على رأس بعض: عمراً مضرط الحجارة ابن هند، وقابوس بن هند، والمنذر بن هند الأكبر، فتهادنا ورجع المنذر إلى الحيرة، ولذلك يفخر الفرزدق بصنيع سفيان بن مجاشع في قوله[21]:

مِنَّا الذي جمعَ المُلوكَ وبينَهُمْ حربٌ يُشَبُّ سَعيرُها بضِرَامِ

2 ــ وكان الغلاق بن قيس بن عبد الله بن عمرو بن همام التميمي في خدمة عمرو بن هند، وكان عمرو بن هند قد بعث إلى بني تغلب وكانوا انحازوا عنه، يدعوهم إلى الرجوع إلى طاعته والغزو معه، فأبوا، فأرسل إليهم حملة بقيادة الغلاق التميمي فأوقع بهم وذهب بأموالهم[22] هذه الوقعة في قصيدة له أولها[23]:

تجرد غلاق إلينا وحاجب وذو الكير يدعو يا لحنظلة اركبوا

وقد أشار الحارث بن حلزة إلى هذه الوقعة بقوله[24]:

ثم خيل من بعد ذاك مع الغلا ق لا رأفة ولا إبقاء
ما أصابوا من تغلبي فمطلو ل عليه إذا تولى العفاء

= النعمان بني ضبة والرباب وتميماً فاستجابوا له، وقد دحرت جموع المناذرة وأعوانهم في هذا اليوم. انظر ابن الأثير 1/391، ومعجم البلدان مادة (السلان). وكذلك اشتراك تميم مع المناذرة في حربهم ضد الغساسنة في يوم (مرج حليمة)، راجع ابن الأثير 1/246.

(20) لقد وهم الدكتور نعمان أمين طه (جرير حياته وشعره ص 85) حين ظن أن الحارث الكندي هو الحارث الغساني، إذ لم تقم علائق زواج بين المناذرة والغساسنة.

(21) النقائض 1/266 ــ 267.

(22) المعاني الكبيرة 2/1012.

(23) انظر القصيدة في الاختيارين ــ الأخفش الأصفر ص 687 ــ 690.

(24) الأنباري ــ شرح المعلقات السبع ص 486 ــ 487.

وكان الغلاق هذا على هجائن النعمان بن المنذر[25]، وكان من بني حنظلة بن زيد مناة من تميم، ويقول البكري[26]: «استعمله النعمان بن المنذر على هجائن من يلي أرضه من العرب» ويبدو أن الغلاق كان مكلفاً بجباية الضرائب للنعمان بن المنذر، وكان عقفان بن قيس بن عاصم بن عبيد اليربوعي قد أخفى هجائنه لئلا يعطي للغلاق شيئاً، فطلبها الغلاق فعمد عقفان بإبله حتى أتى النعمان فأجاره ولم يأخذ منها شيئاً[27].

3 ـ في يوم حليمة حين غزا الحارث الأعرج بن جبلة الغساني المنذر بن المنذر بن ماء السماء كان بعض من بني تميم مع المنذر، وقد سقط أسرى في يد الحارث الغساني، فكان من تميم مائة أسير، وقد تشفع علقمة بن عبدة الفحل التميمي فيهم وفي أخيه شأس بن عبدة، ومدح الحارث الغساني بقصيدة مشهورة أولها:

طحا بك قلب في الحسان طروب   بعيد الشباب عصر حان مشيب

يقول في شأس:

وفي كلِّ حَيٍّ قد خَبطْتَ بنعمةٍ   فحُقَّ لشَأْسٍ من نَدَاكَ ذَنُوبُ

فلا تَحْرِمَنِّي نائلاً عن جَنابةٍ .   فإنِّي امرؤٌ وَسْطَ القباب غريبُ

ثم أطلق له أخاه شأساً وخيره بين الحِباء وأُسراء قومه، فاختار أُسراء قومه، فأطلقهم له دون فداء[28].

4 ـ منح النعمان بن المنذر بردى محرق لعامر بن أُحَيْمِر السعدي، قال أبو عبيدة: «كان المنذر بن ماء السماء أبرز سريره وقد اجتمعت عنده وفود

(25) الأغاني 11/46 ط. الدار.
(26) سمط اللآلىء 2/746.
(27) المصدر السابق والصفحة.
(28) انظر يوم حليمة في مجمع الأمثال 2/272 ـ 273، وابن الأثير 1/246، ورغبة الآمل 1/33.



العرب، ثم دعا ببردى ابنه محرق (وهو عمرو بن هند)، فقال: ليقم أعز العرب قبيلة وأكثرهم عدداً فليأخذ هذين البردين، فقام عامر بن أحيمر بن بهدلة فأخذهما فأتزر بواحد وارتدى بالآخر، فقال له المنذر: بم أنت أعز العرب وأكثرهم عدداً، فقال: أيها الملك، العز والعدد من العرب في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في عوف ثم في بهدلة، فمن أنكر هذا من العرب فلينافرني، فسكت الناس، فقال المنذر عند ذلك: فهذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في أهل بيتك وبدنك، قال: أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة... ثم وضع قدمه على الأرض فقال: من أزالها من الأرض فله مائة من الإبل، فلم يقم إليه أحد من الناس وذهب بالبردين»[29]. وفيه يقول الفرزدق مفتخراً:

فما تَمَّ في سَعْدٍ ول آلِ مالكٍ غُلامٌ إذا ما سِيلَ لم يَتَبَهْدَلِ
لهم وهبَ النُّعمانُ بُرْدَى مُحَرِّقٍ بمجدِ معدٌ والعَديدِ المُحَصَّلِ

5 ـ وكان المناذرة يدخلون فيما بين تميم فيصلحون من أمرهم، أو يتوسطون لفروع عند فروع أخرى، وذلك ما حصل في قصة أطفال ضمرة بن جابر النهشلي الذين أخذهم لقيط بن زرارة رهائن مقابل أطفال كبيش ورشية، وطلب بنو نهشل من الملك أن يتوسط لهم، وقد كان ضمرة بن ضمرة أثيراً لدى المنذر والنعمان، وجعله من حُدَّاثة وسُمَّارة، ودفع إليه إبلاً كانت له فكانت في يده، وهي هجائنه وهجائن النعمان ابنه بعده، وهي من أكرم الإبل[30].

6 ـ ومن أبرز الامتيازات التي حصلت عليها تميم من لدن حكام الحيرة هي (الرِدَافة)، وكانت في بني يربوع من تميم فهم أرداف الملوك (Chamberlains). وفي النقائض: «لم يكن أحد من العرب أكثر إغارة على أهل مملكتهم من بني يربوع، فصالحوهم على أن جعلوا لهم الردافة وأن يكفوا عن

---

(29) النقائض 713 ـ 714، والعقد الفريد 2/194 و 5/330، وبهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة وهم آل الزبرقان بن بدر.

(30) المفضل بن سلمة ـ الفاخر ص 53 ـ 54، والميداني ـ مجمع الأمثال 1/136.

الغارة على أهل العراق»[31]. ويقال: إن الأرداف في الجاهلية كانوا بمركز الوزراء في العصر الإسلامي[32]. وكان الردف يجلس عن يمين الملك فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس، وإذا غزا الملك جلس الردف في مجلسه وخلفه الملك على الناس حتى يرجع من غزاته، وإذا أغارت كتيبة الملك أخذ الردف المرباع، وكان للردف إتاوة يأخذها من جميع مملكة المنذر[33]، وقد حفل شعر جرير بالفخر بالردافة[34].

وأول من نال الردافة من بني يربوع هو عَتَّاب بن هرمي بن رياح بن يربوع، ثم عوف بن عتاب، ثم يزيد بن عوف على عهد المنذر بن ماء السماء، وأراد المنذر أن يجعل الردافة في بني دارم للحارث بن بَيْبَة بن قُرْظ بن سفيان بن مجاشع بن دارم، فأبى بنو يربوع ذلك عليه فحاربهم، وكان من ذلك يوم طخفة، وكان النصر لبني يربوع، فلم تزل الردافة فيهم حتى قَتَل كسرى أبرويز النعمانَ الأصغر وهو النعمان بن المنذر بن المنذر بن النعمان بن امرىء القيس[35].

هذه جملة من الوسائل في تقريب أمراء الحيرة وتألفهم لزعماء تميم، أما في الجانب الآخر فإن مصالح الطرفين كثيراً ما تتضارب، وتتمرد تميم على الطاعة وتخرج على سلطان المناذرة، فتنهب قوافلهم وتشهر بوجوههم السيوف، ويتنمر حكام الحيرة حين تواتيهم الفرصة فينكلون بقبائل تميم ويعملون فيهم السيوف، ومن صور هذه المنازعات والخلافات ما يأتي:

---

(31) النقائض ص 299.

(32) انظر في الردافة النقائض ص 66، 299، 809، وأنساب الأشراف مخطوط الورقة 662 ب، وفوات الوفيات 2/276، وجمهرة النسب ـ ابن الكلبي مخطوط الورقة 114 ب، وابن دريد ـ الاشتقاق ص 352، وابن قتيبة ـ المعارف ص 45، والطبراني ـ المعجم الصغير ص 242 وفيه قول وائل ابن حجر الحضرمي لمعاوية: (ما أضن عليك بهذه الناقة ولكن لست من أرداف الملوك وأكره أن أعير بك)، والسيرة النبوية 4/154 ـ 155.

(33) النقائض ص 299.

(34) انظر ديوان جرير تحقيق نعمان أمين طه الصفحات: 261، 908، 968، 957، 809.

(35) النقائض ص 298.

1 ـ كان عمرو بن هند قد أرسل وائل بن صريم إلى بني تميم ليجبي الضرائب منهم، فدفعت عشائر تميم الإتاوة إلا بني أُسَيِّد من عمرو بن تميم، فقد أسرت وائل بن صريم اليشكري (من بكر بن وائل)، وقذفت به في بئر ورموه بالحجارة، وكانوا ينشدون عند قتله: «يا أيها المائحُ دلوي دونكا»[36]. فبلغ خبره أخاه باعثاً فعقد لواء وسار في بني غُبَر من يشكر، وآلىٰ أن يقتلهم على دم وائل حتى تمتلىء دلوه دماً، وقد وفى بنذره هذا فجاءت دلوه مملوءة دماً من دماء بني أُسَيِّد، وقد ذكر شعراء يشكر هذه الحادثة، وعاشت المعركة طويلاً في ذهن العشيرتين كما يتضح ذلك من لعناتهم: (تعست غُبَر، تعست أُسَيِّد)[37].

2 ـ وكان الامتناع عن دفع الإتاوة كثيراً ما يجر إلى حروب وقتال، ذكر المبرد[38] في رواية عن أبي عبيدة، أن تميماً منعت النعمان بن المنذر الإتاوة فوجه إليهم أخاه الريان بن المنذر على رأس كتيبة الصنائع، وهم جيش أكثره من بكر بن وائل، فغزوا تميماً وسبوا ذراريهم وساقوا نعمهم غنائم، ويصف أبو المشمرج اليشكري هذه الوقعة بقوله:

لمـا رَأوا رايـةَ النُّعمـانِ مُقْبلَـةً ... قالوا ألا ليتَ أدْنَىٰ دارِنا عَدَنُ

يا ليتَ أُمَّ تميمٍ لم تكن عَرَفَتْ ... مُرّاً وكانت كمَنْ أودَى به الزَّمَنُ

إن تقتلـونـا فـأعيـارٌ مُجَـدَّعَـةٌ ... أو تُنْعِمـوا فقـديمـاً منكـم المِنَـنُ

منهـم زُهَيـرٌ وعَتّـابٌ ومُخْتَضَـرٌ ... وابنا لَقِيطٍ وأودَىٰ في الوَغَىٰ قَطَنُ

وجاء زعماء تميم إلى النعمان يسألونه أن يطلق الأسرى، فوافق وخيَّر

---

(36) في رواية أن وائل بن صريم أتاهم وهم بطويلع فنزل بهم وجمع الشاه والنعم وأمر بإحصائه، فبينما هو جالس على شفير بئر جلس إليه شيخ من بني أسيد، فحدثه فغفل فدفعه الشيخ في البئر فوقع فيها فرموه بالحجارة. التبريزي ـ شرح ديوان الحماسة 2/112 ـ 113، البكري ـ السمط 286، 476.

(37) انظر ابن عبد ربه ـ العقد 3/354، والمرزوقي ـ الأزمنة والأمكنة 2/156، والفراء ـ معاني القرآن 1/323، والتبريزي ـ شرح الحماسة 2/112 ـ 113، والبكري ـ السمط 286، 476، ولسان العرب (ميح) والحيرة ومكة ص 29 ـ 30 ترجمتنا.

(38) الكامل 1/288.

النساء بأن أية امرأة اختارت أباها ردت إليه، وإن اختارت صاحبها تركت عليه، فكلهن اختارت أباها إلا ابنةً لقيس بن عاصم فإنها اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج، فنذر القيس ألا تولد له ابنة إلا قتلها[39].

وكان النعمان قد نوّه برغبته أن تدخل تميم في طاعته فيصيبها من الفضل والخير ما أصاب قبائل قيس، ويبين محاولات حكام الحيرة لكسب ولاء بعض فروع تميم، وخاصة بنو سعد الذين يحاولون أن يتحرروا من تبعية الحيرة فقال من قصيدة[40]:

ما كان ضَرَّ تميماً لو تغَمَّدَهَا   من فضلِنا ما عليه قَيْسُ عَيْلانِ

3 ـ كان عُصَيْمة بن خالد بن مِنْقَر قد أجار رجلاً من عامر بن صعصعة، وطلب النعمان تسليم هذا الرجل فرفض عصيمة، وأوذنوا بحرب، فاستنصر عصيمة قومه بصرخة الحرب (كوثر)، وقاوم ملك الحيرة وقد وجه عُصَيمة الرمح إلى عُرْف فرسه قائلاً: «وراءك أيها الملك الضروط، فلو شئت أن أضعه في سوى هذا الموضع لوضعته»[41]. وفي الرواية دليل على استهانة تميم بملوك الحيرة من ناحية تدهو منزلة المناذرة في نفوس القبائل وضعفهم من ناحية ثانية.

وهناك حادثة أخرى من هذا الضرب، فقد هوجم بنو عمرو بن تميم بجيش الملك النعمان، فاستطاعوا أن يردوه وينجحوا في قهره، ونهب معسكر النعمان وانتصار بني عمرو بن تميم[42].

4 ـ مر ذكر الرِدافة وأنها كانت لبني يربوع، وقد أعطاها المناذرة تألفاً لهم ودفعاً لغاراتهم، فقد كانوا أكثر العرب إغارة على الملوك ملوك الحيرة، فصالحوهم على أن يجعلوا لهم الردافة، وكان آخر من وقعت له الردافة من بني

---

(39) في الأغاني 71/14 أن المرأة السبية هي: رميم بنت أحمر بن جندل السعدي، وكانت أمها أخت قيس بن عاصم.
(40) الكامل 289/1 ط. التجارية 1356 هـ.
(41) محمد بن حبيب ـ المحبر ص 354.
(42) أبو البقاء ـ المناقب المزيدية مخطوط الورقة 126 أ.

يربوع هو عَتَّاب بن رياح بن يربوع في عهد المنذر الثالث ابن امرىء القيس وأمه ماء السماء، ولما مات عتاب بن هَرْمِيّ نشأ له ابن يقال له عوف بن عتاب وكان صغيراً، فقال حاجب بن زرارة بن عبد الله بن دارم للمنذر: إن الردافة لا تصلح لهذا الغلام لحداثة سنه، فاجعلها لرجل كهل، وسمى الحارث بن بَيْبَة المجاشعي. فدعا الملك بني يربوع وأبلغهم برغبته في أن يجعل الردافة في مجاشع، فأبى بنو يربوع قائلين: إنه لا حاجة لإخوتنا فيها، ولكن حسدونا مكاننا من الملك، وعوف بن عتاب ـ على حداثة سنه ـ أحرى بالردافة من الحارث بن بيبة، ولن نفعل ولن ندعها، قال: فإن لم تدعوها فأذنوا بحرب، قالوا: دعنا نسر عنك ثلاثاً ثم آذنا بحرب.

وسارت بنو يربوع ذاهبة عن الملك ومعها برجمة من البراجم[43]، حتى نزلوا شعباً بطِخْفَة[44] ودخلوا فيه هم وعيالهم، فجعلوا العيال في أعلاه، والمال في أسفله، وهو شعب حصين له مدخل كالباب، ولما مضت ثلاث ليال، أرسل الملك ابنه قابوس وأخاه حساناً في جيش كثير من أفناء[45] الناس، واحتبس عنده شهاب بن عبد قيس اليربوعي وحاجب بن زرارة، فسأل الملك حاجباً وشهاباً عن توقعاتهما لهذه المعركة، فقال حاجب: «ظني أنك قد أرسلت جيشاً لا طاقة لبني يربوع به، وسيأتونك بهم وبأموالهم ظافرين». أما شهاب اليربوعي فقال: «أرسلت جيشاً مختلف الأهواء ـ وإن كثروا ـ إلى قوم عند نسائهم وأموالهم، يدهم واحدة، وهواهم واحد، يقاتلون فيصدقون. وظني أن سوف يظفرون بجيشك، ويأسرون ابنك وأخاك»، ثم تراهن حاجب بن زرارة وشهاب بن عبد قيس على مائة من الإبل.

أما جيش الملك فقد انطلق حتى أتى الشعب فدخل فيه، حتى إذا كانوا في

---

(43) البراجم هم: قيس وعمرو وغالب وكلفة والظليم بنو حنظلة بن مالك، تحالفوا وقالوا نحن كبراجم الكف، فسموا كذلك. جمهرة أنساب العرب ص 222.

(44) طخفة: موضع في طريق البصرة إلى مكة.

(45) أفناء: أخلاط.



مضايقة حملت عليهم بنو يربوع النَّعَم، وخرجت الفرسان من شعابه فقعقعوا بالسلاح للنَّعَم فذعرها ذلك، وحملوا على الجيش فردوا وجوههم، واتبعتهم خيل بني يربوع تقتل وتطعن، ثم انهزم قابوس بن الملك ومن معه، وضرب طارق بن دَيْسَق فرس قابوس فعقره وأسره، وأُسِر حسان أخو الملك، أسره عمرو بنْ جوين، وهُزِم الجيش، وأُخِذَت الأنهاب.

فلما علم المنذر، دعا شهاباً وقال له: أدرك ابني وأخاك، فإن أدركتهما حيين فلبني يربوع حكمهم، وأرد عليهم ردافتهم، وأهدر عنهم ما قتلوا وأهنئهم ما غنموا، وأحمل لهم من قتل منهم فأعطيهم بها ألفي بعير. فخرج شهاب فوجد الرجلين حيين، فضمن لهم ما قال المنذر، فرضوا وعادت الردافة إلى ابن عتاب، ولم تزل لهم حتى مات المنذر[46].

5 ــ ومن الأيام التي نكل فيها المناذرة بتميم يوم أوارة الثاني، وكان سببه أن المنذر بن ماء السماء ـ أبو عمرو بن هند ـ وضع ابناً له صغيراً (وفي رواية أخاً له) يقال له مالك عند زرارة بن بسر فبلغ حتى صار رجلاً، وقد خرج ذات يوم يتصيد فأخفق، فمرّ بإبل لسويد بن ربيعة الدارمي ـ وهو ؟؟؟؟؟ زرارة قد ولدت له سبعة غلمة ـ فأمر مالك ببكرة منها فنحرها، ثم اشتوى، وسويد نائم، فلما انتبه سويد شد على مالك بعصا ـ ولم يعرفه ـ فأمه ومات، فخرج سويد هارباً حتى لحق بمكة، وحالت بني نوفل بن عبد مناف.

ثم ملك عمرو بن هند، وعلم بمقتل مالك، فغزا تميماً، وبلغ زرارة الخبر، فهرب، وركب من في طلبه فلم يقدر عليه، فأخذ امرأته وهي حبلى فبقر بطنها. ثم قصد زرارة الملك عمرو بن هند فبرأ إليه من دم أخيه. فطلب الملك سويداً أو بنيه، فأتى ببنيه السبعة من ابنة زرارة وهم غلمة فقتلهم، وإلى عمرو بن هند ليحرقن من بني دارم مائة رجل، وخرج عمرو بن هند يريد تميماً فظفر بهم بأسفل أوارة[47] من ناحية البحرين، وأمر بأخدود فخد لهم، ثم أضرم ناراً وقذف بهم

(46) العقد الفريد 5/234، والنقائض 1/66 ـ 68، والأغاني 13/129.

(47) أوارة: جبل لتميم.

فيها فاحترقوا (وبذلك ؟؟؟؟ العرب عمرو بن هند محرقاً)، ثم أحرق رجلاً من البراجم رأى النار فظنها طعاماً، وقال فيه عمرو: «إن لشقي وافد البراجم» فذهبت مثلاً، وكذلك حرق امرأة من بني نهشل بن دارم زوجة هَوْذَة بن جَروَل وبها كمل العدد مائة من تميم[48].

(48) النقائض 1/45 ـ 46، 2/652 ـ 653، 1081 ـ 1086، وابن الأثير 1/252، ومعجم البلدان (أوارة) 1/394.

تميـم في الإســـلام:

لقد دخل أفراد من قبيلة تميم في الإسلام قبل فتح مكة، فقد كانت طوائف من تميم وقيس وأسد مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة، وكان منهم أفراد سباقون إلى الإسلام. ففي السنة الثانية من الهجرة كان واقد بن عبد الله التميمي في سرية عبد الله بن جحش، وكان واقد قد رمى عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وأسروا أسيرين من قريش وكان ذلك في آخر يوم من رجب، فلما قدموا على الرسول أنكر عليهم القتال في الشهر الحرام، ثم أنزل الله في ذلك قرآناً: **﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله﴾** [البقرة: 217] وفي هذا يقول عبد الله بن جحش من أبيات[1]:

سقينا من ابن الحضرمي رماحنا   بنخلة لما أوقد الحرب واقد

وكان إسلام واقد قبل دخول رسول الله دار الأرقم، وقد شهد واقد مع الرسول بدراً وأحداً والمشاهد كلها، وتوفي أول خلافة عمر بن الخطاب[55].

ومن مسلمي تميم الأوائل السابقين إلى الإسلام خباب بن الأرت التميمي، وكان قديم الإسلام أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر الإسلام، وعذب عذاباً شديداً لأجل ذلك، وقد شهد خباب بدراً والمشاهد كلها، وآخى الرسول بينه وبين جبر بن عتيك، وقد أقطعه عثمان بن عفان إقطاعاً في العراق سنة 14 هـ مع نفر من الصحابة، وشهد مع علي بن أبي طالب صفين، وتوفي بالكوفة في خلافة علي

(1) الطبري 2/420 ـ 421، والسيرة النبوية 1/605 ـ 606، وتنسب الأبيات إلى أبي بكر الصديق، وفي الإصابة في ترجمة واقد بن عبد الله نسب البيت إلى عمر بن الخطاب وانظر في هذا وما يليه (تميم في الإسلام) يحيى الجبوري، حولية كلية الإنسانيات جامعة قطر العدد الثالث 1981 الدوحة ص 179 ـ 203.

(2) السيرة النبوية 1/684، الطبري 2/421، وابن سعد 3/390، وانظر الإصابة 3/628 رقم 9097.

سنة سبع وثلاثين[3]. ومن متقدمي الإسلام من تميم هند بن أبي هالة ربيب رسول الله، فقد كانت أم المؤمنين خديجة الكبرى قد تزوجت زواجها الثاني من أبي هالة بن مالك أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار، فولدت هند بن أبي هالة[4].

ومن رجال تميم البارزين زمن رسول الله المنذر بن ساوي بن الأخنس من بني دارم، كان متولياً على البحرين، وكان رسول الله قد أرسل إليه العلاء بن الحضرمي سنة ثمان قبل فتح مكة يدعوه إلى الإسلام، فأسلم وتوفي بعد وفاة الرسول بشهر، وارتد بعده أهل البحرين[5]. ونجد كذلك في كتب السيرة والتاريخ مجموعة من رجال تميم سبقوا إلى الإسلام، ومنهم من هاجر إلى الحبشة أو إلى المدينة، وكان لهم بلاء في الإسلام من مثل: أسلع بن شريك، ورافع بن عمير، وأبي رجاء العطاردي، وعياش بن أبي ربيعة، وخالد بن مالك، والأسود بن عبس، وصفوان بن قدامة، وقرط بن أبي رميثة، ومعبد بن عمرو، وغيرهم كثير[6].

وفي فتح مكة نجد مجموعة من تميم قد أسلموا قبل الفتح، وشاركوا في الفتح على رأسهم الأقرع بن حابس، الذي أعطاه رسول الله مائة ناقة، وكذلك أعطى عيينة بن حصن من غنائم حنين، وإلى ذلك يشير العباس بن مرداس في شعره عاتباً على الرسول:

أتجعـــل نهبـــي ونهـــب العبيـــــــد بيـــن عيينـــة والأقـــرع

وكانت قبيلة تميم من بين أوائل القبائل التي أرسلت وفدها إلى المدينة معلنة الدخول في الإسلام، وكانوا بين ثمانين إلى تسعين رجلاً، على خلاف بين

---

(3) السيرة 1/254، 343، 346، والطبري 3/589.
(4) جمهرة أنساب العرب 210، والإصابة رقم 9007، والسيرة 2/643.
(5) الطبري 3/136، البلاذري ـ فتوح البلدان ص 89.
(6) السيرة 2/477، الطبري 3/136.

الروايات، وفيهم زعماء مثل عطارد بن حاجب بن زرارة، والأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، والحباب بن يزيد وغيرهم، وقد جوزهم الرسول بأحسن الجوائز وعادوا إلى بلادهم، وقد جعل منهم عمالاً على قبائلهم[7].

وإذا جاءت الردة نجد تميماً تتخذ مواقف متباينة، نظراً لكثرة هذه القبيلة وتعدد بطونها والتنافس بين هذه البطون، فمن تميم من ثبت على الإسلام، ومنهم من ارتد، ومنهم من تردده وتربص، وقد زاد الأمر سوءاً ظهور سجاح بنت الحارث التميمية وادعاؤها النبوة، وقد تابعها عدد غير قليل من رؤساء بني تميم، ولم تستمر بطون تميم في ولائها لسجاح بل تراجعت عن خطئها، وصار بعضهم يحاربها مثلما فعل بنو يربوع الذين أغاروا عليها وأسروا بعضاً من أصحابها، وقد ألجأها هذا إلى السير بمن بقي معها من أتباعها إلى اليمامة، والتحالف مع مسيلمة الكذاب[8].

وفي رواية في الطبري أن الزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس جاءا أبا بكر الصديق، وطلبا منه أن يجعل لهما خراج البحرين، ويضعنا له عدم رجوع أي بطن من بطون تميم عن تأييده ومساندته، فوافق الخليفة، ولكن عمر بن الخطاب رفض ذلك[9]، وقد كان لهذين القائدين الزبرقان والأقرع دور مشهود في معارك خالد بن الوليد في اليمامة، وإن الأقرع بن حابس سار معه إلى دومة الجندل، كما اعتمد أبو بكر الصديق في قتاله للمرتدين على رجال من تميم، فقد أرسل القعقاع بن عمرو التميمي إلى علقمة بن علاثة الذي ارتد، فسار إليه القعقاع فلم يثبت علقمة أمامه[10].

ومن تتبع سير الحوادث في الردة نجد أن قبيلة تميم كانت من أوائل القبائل

(7) السيرة 4/991، الطبري 1/267، تاريخ ابن الأثير 2/239.
(8) الطبري 3/271، وابن الأثير 2/320.
(9) الطبري 3/275.
(10) محمود شيث خطاب ـ قادة فتح العراق والجزيرة ص 301 ـ 302.

العربية التي خرجت من الجزيرة إلى المناطق المجاورة حاملة راية الإسلام، إضافة إلى الأعداد التي لحقت بجيش خالد بن الوليد الذي سار إلى اليمامة بعد قضائه على الردة، ولما سار خالد إلى العراق أمده أبو بكر الصديق بالقعقاع بن عمرو التميمي في السنة الثانية عشرة، وقد أبدى القعقاع بطولة خارقة في المعارك التي خاضها جيش خالد في العراق.

وتبرز أهمية قبيلة تميم في حروب خالد من خلال تحركات الجيش الإسلامي، حيث كان لهذه القبيلة أهمية كبيرة في الفتوح، فقد استخلف خالد القعقاع بن عمرو على الحيرة بعد فتحها وسار قاصداً الأنبار، ولما فرغ من فتح الأنبار استخلف عليها الزبرقان بن بدر، وسار متجهاً إلى عين التمر[11].

وفي معركة دومة الجندل سنة 12 هـ، يبرز كل من عاصم بن عمرو والأقرع بن حابس من القادة المقربين إلى خالد، وكان هذان قد أجارا أسرى بني كلب فأنقذاهم من القتل[12].

وفي فتح العراق يلمع نجم عاصم بن عمرو والقعقاع وزهرة بن حوية، وكلهم يقود مجموعة من فرسان تميم، وقد كان عاصم بن عمرو أحد القادة المشهود لهم حين وقف في معركة الجسر يحمي ظهور المسلمين[13]. وحين أرسل عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص إلى العراق سنة 14 هـ كان معه ثلاثة آلاف من فرسان تميم، وقد جعل سعد زهرة بن حوية على مقدمة جيشه في مسيرته من شَرَاف (ماء بنجد) إلى القادسية، وكان لتميم دورهم الكبير في تحقيق النصر في هذه المعركة وهناك صور كثيرة سجلها المؤرخون لقادة تميم في القادسية نكتفي بنماذج منها، من ذلك ما جاء في يوم (أرماث) وهو اليوم الأول للمعركة، حيث جعل سعد بن أبي وقاص عاصم بن عمرو على المجردة وقد أبلى

---

(11) الطبري 3/376 وما بعدها.

(12) الطبري 3/378 وما بعدها، ابن الأثير 2/270.

(13) الطبري 3/450 وما بعدها، ابن الأثير 2/299، وانظر شكري فيصل ـ المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص 72 وما بعدها.

هو وأتباعه بلاءً عظيماً في القتال، وقيل إن سعداً أرسل قبل انتهاء النهار إلى عاصم بن عمرو وقال مخاطباً: (يا معشر تميم! ألستم أصحاب الإبل والخيل، أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة، قالوا: بلى والله، ثم نادى في قومه رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة، فقال لهم: يا معشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال: يا أهل الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها، وقد تمكن بنو تميم من الفيلة فلم يبق للفرس فيل إلا أعرى وقتل أصحابه[14].

وفي يوم (أغواث) وهو اليوم الثاني من حرب القادسية، من الله على المسلمين بقائد من تميم مشهود له في المعارك التي خاضها المسلمون قبل هذه الوقعة هو القعقاع بن عمرو، الذي قدم مع جند العراق من الشام لنصرة إخوانهم، ويقال إنه قتل في هذا اليوم ثلاثين فارساً في ثلاثين حملة، وفي اليوم الثالث وهو يوم (عماس) أبلى القعقاع ابن عمرو وعاصم بن عمرو بلاءً شديداً، وتمكنا من إنزال خسائر فادحة في الجيش الفارسي، مما أعلى المسلمين القوة المعنوية الكبيرة، وكان من أشهر مآتي القعقاع في هذا اليوم هو فقء أعين الفيلة، وقد سجل ذلك في شعره مفتخراً[15]:

فإن كنت قاتلت العدو فنلته ... فإني لألقى في الحروب الدواهيا
فيولاً أراها كالبيوت مغيرة ... أسمل أعياناً لها ومآقيا

وقد ذكروا أنه حمل الناس عامة ليلة الهرير ولم ينتظروا في الحملة قائدهم سعداً، وكان أول من حمل القعقاع، فقال سعد: (اللهم اغفرها له وانصره، وقال: وا تميماه سائر الليل)، وقد ردد الشعر هذه البطولات وأثنى الشعراء على هذه القبيلة يوم القادسية.

واستمر فرسان تميم يطاردون فلول الأعداء أينما حلوا، فقد وجه سعد زُهْرَة بن حوية لدحر الجيوش الفارسية التي تجمعت بعد المعركة، وظل يتابع فلولها

---

(14) الطبري 540/3، ابن الأثير 326/2 وما بعدها. وانظر: تميم ودورها السياسي والعسكري في صدر الإسلام ـ بهجة كامل التكريتي، مؤتمر تاريخ شرق الجزيرة العربية، الدوحة، 1976، 159/1 ـ 187.

(15) الطبري 551/3 ـ 552.

شرقاً حتى المدائن[16]، وقد فتحت جميع الأراضي الواقعة بين القادسية والمدائن على يد هذا القائد التميمي.

ولو تتبعنا سير الفتوحات الإسلامية في العراق والمشرق لوجدنا أن تميماً بقيت محافظة على مركز الصدارة في معظم المعارك الحربية التي خاضها المسلمون، فقد كان عاصم بن عمرو على رأس الجيش الإسلامي الذي عبر دجلة في السنة 16 هـ قاصداً المدائن، وعلى يده فتحت هذه المدينة وطرد الفرس من عاصمتهم في العراق، وبعد المدائن كان القعقاع بن عمرو على مقدمة الجيش الإسلامي الذي سائر لملاقاة فلول الفرس التي تجمعت في جلولاء، وتقدم القعقاع بجيوشه متابعاً الفرس إلى أن وصل إلى خانقين، فلما بلغت أخبار تقدم الجيوش الإسلامية إلى الامبراطور الساساني يزدجرد سار هذا من حلوان إلى الجبل، وقدم القعقاع جلولاء.

ولا شك أن تميماً ـ شأنها شأن القبائل العربية الأخرى ـ نزلت الكوفة في السنة السابعة عشرة كما نزلت البصرة من قبل، وبعد ذلك ساهمت من سكان المدينتين بكل الفتوحات في المشرق الإسلامي.

وفي السنة السابعة عشرة أيضاً غزا المسلمون بلاد فارس من ناحية البحرين بأسطول يتكون أفراده من القبائل العربية التي كانت تسكن في مناطق شرق الجزيرة العربية، وكان بنو تميم من بين الجماعات الغازية، وتمكن أفراد الأسطول من النزول في الساحل الشرقي للخليج، وعندما سار جيش بري من البصرة لنصرة هذه الجماعة كان قائد هذا الجيش عاصم بن عمرو التميمي، كما تمكن في هذا الوقت القائد التميمي حرقوص بن زهير من فتح سوق الأهواز، ودخل جزء بن معاوية التميمي مدينة دورق في الأهواز[17]، وهكذا نلاحظ أنه أينما اتجه المسلمون في الفتوح نجد أن هذه القبيلة تكون في مقدمة المقاتلين، ولها الدور المشهود والبلاء الشديد.

---

(16) الطبري 578/3، محمود شيث خطاب ص 280 ـ 281.

(17) الطبري 76/4 وما بعدها، ومحمود شيث خطاب ـ قادة فتح بلاد فارس ص 147 ـ 151.

وفي سنة 22 هـ عهد إلى الأحنف بن قيس بالسير على رأس الجيوش الإسلامية لفتح خراسان، وبعد أن توغل الأحنف في بلاد المشرق بفترة وجيزة لحقت به إمدادات من الكوفة. وكان من أمراء الجيوش القادمة ربعي بن عامر التميمي، وبعد سنة من هذا الفتح تمكن عاصم من عمرو من فتح سجستان، ثم عين أميراً على كرمان سنة 29 هـ[18].

ولا نريد أن نستعرض دور تميم في المعارك الداخلية التي نشبت بين المسلمين في الجمل وصفين، فقد كان لتميم دور بارز وبلاء سواء من كان منهم في صف طلحة والزبير أو في صف علي بن أبي طالب، أو من خرج منهم مع الخوارج.

وهكذا فإن قبيلة تميم كان لها أثرها وخطرها في الحياة الجاهلية وفي حياة الإسلام، وبقي لها أثرها وخطرها بعد ذلك في العصر الأموي وما تلاه من عصور، وامتد سلطانها إلى المغرب حيث أسسوا دولة الأغالبة.

وبعد، فهذه صورة حية من صور نشاط تميم وامتدادها على مسرح العراق والخليج العربي وصراعها الحربي، وصلاتها السياسية بسكان المنطقة، وقد اتضحت طبيعة الصراع مع الفرس مباشرة أو أعوانهم المناذرة، وقد شغلت هذه القبيلة أحداث الفترة الجاهلية في مساحة واسعة تتناسب وسعة وضخامة قبيلة تميم التي عرفت بالقوة والشدة والحيوية، وقد استمرت هذه الحيوية في نضال دائم وصراع مستمر مع القبائل الأخرى في شتى أنحاء الجزيرة، وتوارثت أجيال تميم هذا الصراع حتى العصر الإسلامي، وقد هذب الإسلام طبيعة تميم الأعرابية، ووجهها وجهة إسلامية، فانطلقت تجاهد في سبيل الله، فكان لها البلاء العظيم في الفتوح الإسلامية في الشام وشمال إفريقية والعراق، وبخاصة في العراق وبلاد فارس، فكان لها في هذه البقاع شأن وخطر نرجو أن نوضح ذلك في بحث قابل، أسأل الله سبحانه التوفيق والسداد.

---

(18) الطبري 4/265، بهجة التكريتي ـ المرجع السابق ص 180.

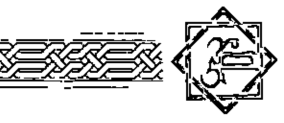
مصـــادر البحـث ومراجعــه

ـ ابن الأثير ـ علي بن محمد الشيباني الجزري: الكامل في التاريخ، ط. القاهرة 1301 هـ.
ـ إحسان النص: العصبية القبلية عند العرب. ط. دمشق.
ـ الأخفش الأصغر: كتاب الاختيارين. تحقيق فخر الدين قباوة ـ ط. دمشق 1974 م.
ـ الأصفهاني ـ أبو الفرج: الأغاني. ط. دار الكتب المصرية وط. الثقافة بيروت حسب ما يشار في الهامش.
ـ الأصفهاني ـ أبو الفرج: الأغاني. ط. دار الكتب المصرية وط. الثقافة بيروت حسب ما يشار في الهامش.
ـ الأنباري ـ عبد الرحمن بن محمد: شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات. تحقيق عبد السلام هارون. ط. دار المعارف مصر 1963 م.
ـ أبو البقاء ـ هبة الله: المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية. مخطوط المتحف البريطاني.
ـ البكري ـ عبد الله بن عبد العزيز: سمط اللآلىء. تحقيق عبد العزيز الميمني. ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة 1936 م.
معجم ما استعجم. تحقيق مصطفى السقا. ط. القاهرة 45 ـ 1951 م.
ـ البلاذري ـ أحمد بن يحيى: فتوح البلدان. ط. رضوان القاهرة 1932 م.
ـ التبريزي ـ يحيى بن علي: شرح ديوان الحماسة. ط. السعادة مصر 1346 هـ.
ـ الثعالبي ـ عبد الملك بن محمد: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. ط. القاهرة 1908 م.

ـ الجاحظ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ. ط. السندوبي القاهرة 1933 م. و ط. عبد السلام هارون القاهرة 1964 م.
ـ جرير بن عطية الخطفي: ديوان جرير. تحقيق نعمان أمين طه. ط. دار المعارف مصر 1971 م.
ـ ابن حبيب ـ محمد بن حبيب: المحبر. ط. حيدر آباد 1942 م.
ـ ابن حزم ـ علي بن أحمد الأندلسي: جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام هارون. ط. دار المعارف مصر 1962 م.
ـ حسين عطوان: الشعر بخراسان. ط. بيروت.
ـ ابن دريد ـ محمد بن الحسن الأزدي: الاشتقاق. ط. القاهرة 1958 م.
ـ الدينوري ـ أبو حنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال. ط. مصر 1960 م.
ـ ابن رشيق ـ الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة. ط. القاهرة 1952 م.
ـ شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري، ط. بيروت 1952 م.
ـ ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد. ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1967 م.
ـ أبو عبيدة ـ معمر بن المثنى: نقائض جرير والفرزدق. تحقيق بيفان ـ ط. بريل 1905 ـ 1912 م.
مجاز القرآن. تحقيق فؤاد سزكين. القاهرة 1954 م.
ـ عمر رضا كحالة: جغرافية جزيرة العرب. ط. دمشق 1945 م.
ـ الفراء: معاني القرآن. ط. نجاتي والنجار. القاهرة 1955 م.
ـ ابن الفقيه ـ أحمد بن محمد الهمذاني: مختصر كتاب البلدان. ط. دي غوية. ليدن 1858 م.
ـ ابن قتيبة ـ عبد الله بن مسلم: المعارف. ط. القاهرة 1935 م.
المعاني الكبير. ط. حيدر آباد 1949 م.
ـ الكتبي ـ ابن شاكر: فوات الوفيات. ط. القاهرة 1951 م.
ـ كستر: مكة وتميم: ترجمة يحيى الجبوري. ط. بغداد 1975 م.
الحيرة ومكة. ترجمة يحيى الجبوري. ط. بغداد 1976 م.

- ابن الكلبي ـ هشام بن محمد: جمهرة النسب. مخطوط المتحلف البريطاني.
- لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية. ترجمة كوركيس عواد. ط. بغداد.
- ماسينيون: خطط الكوفة. ترجمة المصعبي.
- المبرد ـ محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب. ط. التجارية مصر 1356 هـ.
- محمود شيت خطاب: قادة فتح العراق والجزيرة قادة فتح بلاد فارس. ط. دار الفتح 1965 م.
- المرزوقي ـ أحمد بن محمد بن الحسن: الأزمنة والأمكنة ـ ط. حيدر آباد 332 هـ.
- المسعودي ـ علي بن الحسين: مروج الذهب. ط. القاهرة 1357 هـ.
- المفضل بن سلمة بن عاصم: الفاخر. تحقيق عبد العليم الطحاوي. مصر 1960 م.
- المفضل بن محمد الضبي: المفضليات ط. لايل. أوكسفورد 18 ـ 1921 م. وط. القاهرة 1952 م.
- ابن منظور ـ محمد بن المكرم: لسان العرب. ط. بولاق 1300 هـ.
- الميداني ـ أحمد بن محمد النيسابوري: مجمع الأمثال. ط. القاهرة 1959 م.
- نصر بن مزاحم المنقري: وقعة صفين. ط. عبد السلام هارون القاهرة.
- نعمان أمين طه: جرير حياته وشعره. ط. دار المعارف مصر 1968 م.
- ابن هشام ـ عبد الملك: السيرة النبوية. ط. القاهرة 1955 م.
- ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: معجم البلدان. ط. القاهرة 1906 م.
- اليعقوبي ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر: تاريخ اليعقوبي. ط. النجف 1964 م.
- يوهان فك: العربية. الترجمة العربية. ط. القاهرة.

- L. Vecciri; 62.
- Von Oppenhein - Kaskel: Die Beduinen. 1-111, Wiesbaden 1939-1952.



بحث تحت عنوان

الصحة العقلية والنفسية للطفل وأثرها على مختلف أنماط السلوك

الدكتور جاسب فالح الربيعي

أستاذ علم اللغة المساعد

جامعة عمر المختار

قسم اللغة العربية

كلية التربية

مقـدمـة:

يعتبر الطفل ـ في أغلب المجتمعات الإنسانية المتقدمة ـ حجر الزاوية، والعنصر المهم في رقي أو انحطاط تلك المجتمعات، وهو في الوقت ذاته يشكل مادة مطواعة بيد مربيه إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهو بهذا أيضاً سلس الانقياد، وصفحة بيضاء ناصعة تنتظر خطوط المربي الفنان الواعي لتحفر بيد رحيمة ما تريد أن تعبر عنه من أفكار، وقد قيل: التعلم في الصخر كالنقش على الحجر. إننا لا زلنا نعيش ذكريات الطفولة على الرغم من تقدم السن؛ لأنها تعمقت في الذاكرة وانطبعت لتعكس سلوكاً حياتياً لذلك ولخطورة هذا العنصر الذي يمثل اللبنة الأساسي في ثبات البناء أو انهياره، اشتغل المربون بمختلف أفكارهم وميولهم إلى الاهتمام به. فانطلقت الصيحات التربوية تحمل فكراً تربوياً وضعياً، وتناشد الآباء والمجتمعات إلى العناية الفائقة بهذا الأسير الغض، وظهرت الطرق العديدة التي ترسم طريقاً ومنهجاً وسلوكاً لهذه العيّنة مستخدمة بذلك الوسائل والتجارب والخبرات العلمية، كما أنها أخذت تضع كل إمكاناتها لتدرس جميع مراحل النمو التي يتدرج الطفل بها ومن خلالها، والهدف من ذلك هو فهم العوامل المسيطرة والفعالة التي تتحكم في سلوك الطفل في سن معيّن، كما أنها تهدف إلى الملاءمة والتوافق بين الخصائص النفسية للطفل، وما يتطلبه من توجيه وتسديد.

إن معظم المدارس التربوية بذلت جهوداً مضنية ومشكورة في هذا المجال، إلا أن النتائج التي خرجت بها لم تكن بالمستوى المطلوب، فلا زال الطفل الموجه وضعياً بدراسات نظرية قلقة، يخضع لتجارب قد يكون الكثير منها عقيماً

عملياً، فالجنوح يزداد يوماً بعد يوم، والمصحات العقلية والنفسية تعج بالأفواج من المنحرفين سلوكياً، والمعاقين عقلياً والمعقدين سلوكياً. إن ذلك ـ في رأيي ـ مردّه إلى النقاء الأسري، وإن كنت أختلف مع الكثير في هذا التصور، صحيح أن هناك عوامل مرتبطة عضوياً الواحد بالآخر في تنقية سلوك الطفل، إلا أنه ينبغي أن يعرف أن البيئة العائلية المثقفة النقية تكون ذات حصانة ومناعة تسهم بدور كبير في إعداد سلوك نقي يجابه المؤثرات والعوامل الأخرى، ولنا في إسلامنا الخالد أكثر من دليل ودليل على ما ذهبنا إليه، إن الفطرة التي أودعها الله في الإنسان من فطرة ناصعة نقية، ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عنها...**﴾ إلا أن العائلة ـ وأخص بالذكر ـ الوالدين يلوثانها أو ينقيانها، وما بقول الرسول الخالد ﷺ ببعيد: «يولد الإنسان على الفطرة ولكن أبواه يهودانه أو يمسحانه أو يمجسانه»، إن مَثَل الأسرة مثل الأرض، والبذرة فيها هو الطفل. فالبذرة نظيفة والأرض هي التي تتحكم في نظافتها أو فسادها أولاً، وعوامل أخرى ثانوية تدخل في هذا المضمار...

إننا حينما ننطلق من مفاهيم تراثية إسلامية لا يعني أننا أوصدنا الأبواب والنوافذ على رياح المدارس التربوية الوضعية، فهي ولا شك لها إيجابياتها ودورها في عملية سلوك الطفل، كما أننا لا ننسى دور المربي والمنهج والطريقة والمدرسة والمجتمع، فكل هذه مجتمعة تسهم ـ كما قلت ـ في عملية البناء السلوكي للطفل...

وقبل أن أختتم هذه المقدمة الموجزة أذكر الذين يغفلون دور الأبوين والأسرة بقول الرسول العظيم محمد ﷺ: «إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء».

هذا وإن صحة الطفل العقلية والنفسية مرتبطة أيضاً بسلوك الأسرة وحسن توجيهها، إن اهتمامنا بهذين الركنين يعطينا نتائج جيدة، فالعقل جوهرة الإنسان أودعت فيه، فإن صلحت صلح السلوك وإن فسدت فسد السلوك، وبه خاطب تعالى الناس: أفلا يعقلون، أفلا يتفكرون، أفلا يبصرون... والنفس هي الأخرى مرآة الإنسان حيث ألهمها سبحانه فجورها وتقواها...

مدارس علم النفس ونظرتها إلى العوامل التي تؤثر في النمو:

لا شك أن لهذه المدارس الدور الفعال والريادي في معرفة العوامل والمؤثرات التي تؤثر في سلوك الطفل، حيث قام روادها بتجارب علمية دقيقة استغرقت سنين طويلة، أخضعت الطفل لعوامل عديدة وخاصة البيئية منها، وكان هدفها فهم تلك العوامل المسيطرة على سلوك الطفل، ومدى موافقتها للخصائص النفسية، وما يتطلبه الطفل من تعليم وتوجيه ورعاية.

ومن أشهر مدارس علم النفس هي:

المدرسة السلوكية، المدرسة الفرضية، مدرسة التحليل النفسي، مدرسة النظرية الديناميكية للسلوك.

إن هذه المدارس توصلت من نتائج دراستها إلى أن مرحلة النمو تختلف عند الطفل عن المراهق والشاب سلوكاً: «إن سلوك الإنسان يختلف باختلاف مرحلة النمو الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي، فسلوك الطفل الطبيعي يختلف عن سلوك المراهق، كما يختلف عن سلوك شاب تخطى الثلاثين... ولكل مرحلة من مراحل النمو ظروفها ومطالبها بالنسبة للفرد. وهي تمدنا ـ دراسة مراحل النمو ـ بمعلومات غنيّة عن سلوك الأطفال ونموهم النفسي تحت ظروف البيئة المحيطة بهم»[1].

أما هدف دراسة نمو الطفل بمراحله المختلفة فهو الفهم وربط الخصائص النفسية، حتى يتسنى للمربي أن يختار الأسلوب والطريقة المثلى للتعليم: (إن

(1) النمو النفسي للطفل والمراهق وأسس الصحة النفسية ـ د. محمد مصطفى رضوان ـ منشورات الجامعة الليبية ـ ط. 1، سنة 1972، ص 5.

الهدف من دراسة النمو هدف مزدوج يسعى إلى فهم العوامل المسيطرة الفعالة التي تتحكم في سلوك الطفل في سن معين، كما أنها تهدف إلى الملاءمة بين الخصائص النفسية للطفل وما يتطلبه من تعليم وتوجيه. . .)[2].

إن تعريف النمو كما جاء في أكثر كتب المربين من أنه (سلسلة متتابعة متماسكة من تغييرات تهدف إلى غاية واحدة هي اكتمال النضج. . . ومظهر النمو يشمل: النمو التكويني وهو نمو الطفل في الجسم والشكل والوزن. . . والنمو الوظيفي، ويعني نمو الوظائف الجسمية والعقلية والاجتماعية لتساير تطور حياة الطفل واتساع نطاق بيئته. أما العوامل فهي: الوراثة، العوامل البيئية، التغذية، التكوينات الجسمية، النضج، التعليم)[3].

علم نفس الطفولة ومنهجه في تقويم السلوك:

لقد اختلفت فروع علم النفس باختلاف مدارسها، وأصبح العديد منها متخصصاً لدراسة سلوكيات الأطفال في مرحلة معينة من سنيهم؛ حتى يتسنى لها معرفة التحولات التي تلازم تلك المرحلة، ومن ثَمّ وضع الدراسات العلمية لها. إن هذا الفراغ قائم بذاته من علم النفس (. . . يسمى علم نفس الطفل حيث تبحث فيه مراحل النمو الجسمي، والعقلي، والانفعالي، والاجتماعي، وتعتبر دراسة تطورية تتبعيّة للطفل منذ ميلاده إلى تمام نضجه. . .)[4]. هذا والمعروف لدينا أن مثل هذا الفرع بدأ بمشروعات تربوية كثيرة، أسفرت عن الكشف عن كثير من النواحي السلوكية للطفل: (. . . وعلم النفس هو الذي يتكفل بالكشف عن هذه النواحي، ولا شك في أن الأساليب الحديثة في التربية قد استمدت عناصر نجاحها من تجارب العلماء، الذين عنوا بالطفل، وجعلوه محور بحوثهم ودراساتهم، واستطاعوا بفهمهم هذه الطبيعة البشرية الغضّة أن يلاءموا بينها وبين ما يراد لها من

---

(2) المصدر السابق، ص 6.
(3) المصدر السابق، ص 71، 74.
(4) النمو النفسي للطفل المراهق، ص 40.

وسائل الصقل والتعليم، وأن يبتكروا للحالات الفردية والطبائع الشاذة ما يصلح لها من أساليب التعهد والرعاية. . .)[5].

إن المتتبع لمنهج علم نفس الطفولة يراه قد مرّ بمراحل قديمة سحيقة، وتطور تطوراً نوعياً. وعلى الرغم من أن هذه المراحل تميزت بلون من ألوان الدراسة فإن المتأخر منها أكد على دراسة السلوك والعوامل التي تؤثر فيه، وأصبح لكل مربٍّ ولكل مدرسة منهج عمل دقيق:

(. . . فمن الناحية الفلسفية نجد أن (أفلاطون) منذ حوالي 400 سنة قبل الميلاد قد فطن إلى الفروق الفردية بين الأطفال منذ ميلادهم، وقد بنى نظريته في الدولة على أساس الاستفادة من هذه الفروق، وأشاد بأهمية توجيه كل طفل حسب ما تؤهله له استعداداته، ثم كتب (لوك) في القرن السابع عشر مؤكداً أهمية تكوين عادات جديدة في الطفل. . . ثم ظهر (روسو) ونادى بالحرية للطفل. . . ثم (فرجل) وتأكيده بأهمية اللعب الاجتماعي. . . ثم ظهرت طريقة (مونتسوري) واهتمامها بتدريب الحواس والعمل اليدوي، ثم (جون ديوي وتلميذه كلبارتك) وطريقة المشروع)[6].

مراحل الطفولة ـ نمواً ـ وعلاقتها بالطفل الموهوب:

يقسم علماء نفس الطفولة مراحل الطفولة إلى عدة أدوار تبعاً لأعمارهم. فالدور الأول هو ما قبل الميلاد إلى 9 شهور، والدور الثاني يبدأ في مرحلة المهد، والدور الثالث هو الطفولة المبكرة من 3 ـ 5 سنوات، ثم الطفولة الوسطى من 7 ـ 8، وبعدها الطفولة المتأخرة من 9 ـ 12، وأخيراً ـ دور المراهقة من 12 ـ 18 سنة. ويتركز الاهتمام على المبكرة منها حيث تعتبر من المراحل الهامة في حياة الطفل:

(إذ يقل فيها اعتماده على الكبار ويزداد ثباته، ويبدأ في اكتساب أساليب

---

(5) الموجه الفني لمدرس اللغة العربية، ط 3، ص 25، 26.
(6) النمو النفسي، ص 69.

التكيّف الصحيح مع البيئة الخارجية، وتتميز بالآتي: النمو الجسمي السريع، النمو الانفعالي، النمو الاجتماعي. . .)[7].

أما الطفولة الوسطى 6 ـ 8 سنوات فإنها (تتميز ـ هي الأخرى ـ بالنمو الجسمي[8]، والنمو اللغوي والتعبيري، والنمو العقلي، والنمو الانفعالي، والنمو الاجتماعي).

إن للطفولة المبكرة مزايا عديدة، فهي تمثل المؤثر الواضح للمواهب، فالطفل في هذه المرحلة تظهر قابلياته المستقبلية، ويمتاز عن أقرانه الأسوياء بتفوقه العقلي، ومتانة سلوكه وحسن تصرفاته. ومن أهم تلك المزايا[9]:

1 ــ أن تكون له القدرة على الاستدلال والتعميم.
2 ــ أن يتعلم بسرعة وسهولة.
3 ــ أن تكون لديه بصيرة فائقة إزاء المشكلات.
4 ــ أن يظهر تفوقاً كبيراً في القدرة على القراءة من ناحية السرعة والتفهم.
5 ــ أن يقوم بالعمل المنتج دون الاعتماد على أحد.
6 ــ أن يظهر ابتكاراً أو إبداعاً في الأعمال العقلية.
7 ــ أن يكون يقظاً ذا قدرة على الملاحظة الدقيقة بسرعة.
8 ــ أن تكون ميوله متعددة.

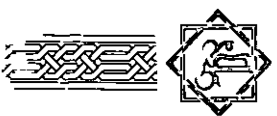
إن مثل هذه المؤثرات المبكرة التي تظهر في سلوك بعض الأطفال وتدلل بدون شك على الطفل الموهوب، الذي يقوم بأعمال تفوق عمره الزمني، وفي هذه الحالة ينبغي الاهتمام الكامل به، والعمل على صقل تلك الخبرات وتنميتها. ويأتي عدد دور الوالدين وعلاقتهما بالأبناء الموهوبين حيث إن هذه العلائق إن

---

(7) النمو النفسي للطفل والمراهق، ص 117.

(8) المصدر السابق، ص 130. انظر: علم النفس والنمو ـ عزيز حنا، حسن حافظ ـ مكتبة الأنجلو المصرية ص 116 ـ 117.

(9) الطفل الموهوب ـ ماريان شيفل، ترجمة عزيز حنا، عماد الدين سلطان، دار النهضة. وانظر: النمو النفسي، ص 140.



أحسن توجيهها فستدفع بهذا الطفل إلى المزيد من التفوق العقلي والنفسي والتحليلي والإنتاجي، وتزيد في ثقة الطفل بنفسه وبوالديه وأقرانه ومجتمعه.

الصحة النفسية ودورها الإيجابي في تقويم السلوك:

يعج عالمنا اليوم بالاعتلال النفسي، ويكاد هذا يكون حديث الساعة، مما حدا بعلماء النفس والأطباء النفسانيين أن يولوا جلّ اهتمامهم به، فبرزت العيادات النفسية والمؤسسات الصحية، التي أدخلت ضمن برامجها المصحات من أجل الحد أو القضاء على ظاهرة العصر الحديث، حيث القلق النفسي والكآبة والسوداوية والانفصام الشخصي (شيزوفرينا) والسارية، وغيرها من الأمراض غير الجرثومية. ولا نريد ونحن بصدد الصحة النفسية أن نخوض في الأسباب والمسببات فهذا حديث يطول الخوض فيه، والذي يهمنا في بحثنا أن نعرف مدى نجاح أو فشل مراكز العلاج النفسي، وما دور الصحة النفسية في السلوك.

ولعل التعريف الآتي يوضح لنا مفهوم الصحة النفسية (الصحة النفسية علم يستطيع أن يقدم الكثير نحو تحقيق شخصيات إيجابية متوافقة مع نفسها ومع مجتمعها، بالإضافة إلى أنه يعمل على تجنيب أفراد المجتمع كل ما يعصف بحياتهم ويسبب لهم اضطراباً، فهو علم يخدم المجتمع. . .)[10].

أما فوائد تلك الصحة فهي كما يراها آخرون: (إن الصحة النفسية للفرد وقدرته على التكيف الشخصي والاجتماعي تبدو في استمتاع الفرد بالحياة بعمله وأسرته وأصدقائه، وشعوره بالطمأنينة والسعادة وراحة البال. . .)[11].

مجالات الصحة المدرسية النفسية (صحة المدرس النفسية) وأثرها على التلاميذ:

إن المعنى بهذه الفقرة هي فلسفة المدرسة بإدارتها ومناهجها ومدرسيها

---

(10) النمو النفسي، ص 6.

(11) الصحة النفسية في الأسرة والمدرسة والمجتمع، د. مصطفى فهمي، دار الثقافة، القاهرة، سنة 1963، ص 505 ـ 510.

والعلاقات الإنسانية فيها، لأن هذه الأركان مجتمعة لها الدور الفاعل في عملية السلوك والصحة النفسية للطلاب في مراحل الدراسة الأولى، وهي أيضاً تعتبر اللبنة الأخرى فوق لبنة الأسرة والمتممة لها. إن صحة المدرس تتجلى في مجموعة من التصرفات السلوكية، وينبغي أن تكون صالحة وهادفة لأنها:

1 ــ «تدفع بسلوك التلاميذ عن طريق الالتزام بالقيم.
2 ــ تخلق جواً طيباً في الفصل.
3 ــ تؤكد معرفة العلاقة القوية بين محتويات المنهج.

والمدرس التربوي عليه أن:

1 ــ ينقل ويتقبل وجهات نظر الطلاب بصدر رحب.
2 ــ يحتفظ بهدوئه في علاج الاضطراب في الفصل.
3 ــ يخلق جواً طيباً في الفصل.
4 ــ يكون قدوة في تنمية العادات الصحيحة.
5 ــ يسهم ويبتكر في مجال تخصصه..»[12].

ومن مهام الصحة المدرسية هو تفهيم التلاميذ أن القوانين واللوائح المدرسية وضعت لحمايتهم، وأنْ تعطى للتلميذ الفرصة في إشباع حاجته إلى النجاح.

آراء علماء النفس في الخبرات المبكرة والعوامل المؤثرة فيها:

يكاد يجمع علماء النفس على أن الخبرات المبكرة التي يحصل عليها الطفل خلال سنواته الأولى بعد ميلاده تلعب دوراً رئيسياً وخطيراً في بناء شخصيته وإرساء سلوكه، وللوالدين والوراثة والبيئة والأثر الفعال في تكوين الشخصية له فيما بعد.

---

(12) النمو النفسي، ص 271 ـ 272.

(. . . وعلى الرغم من أن (فرويد) يعد من أبرز علماء النفس الذين اعترفوا بهذه العلاقة وبأهميتها في تطوير الإنقاء النفسي للطفل. . . ومع أن تركيزه على أهمية علاقة الوالدين بالأبناء في السنوات الأولى لميلاد الطفل وأثرها على شخصيته فيما بعد. . . فإن (فروم) يرى أن كل صفات الطفل تصوغها الأسرة، حيث تقوم بدور «الوكلاء السيكولوجيين» للمجتمع. فتنقل القيم الثقافية لطبقته الاجتماعية وأمته إلى الأطفال. . . ويرى (الكسندر) من أنه ـ يعني فرويد ـ قد اعترف بأهمية الخبرات المبكرة للطفل في الأسرة، إلا أنه أغفل حقيقة مؤداها أن الاتجاهات الوالدية ذاتها محددة بالعوامل الثقافية. . . وعلى النقيض من أعضاء المدرسة الفردوية الحديثة يرى (ولمان) أن فرويد لم ينكر فعالية البيئة والأسرة في تشكل شخصية الفرد. . . بينما يرى (ايزنك) أن العوامل البيئية مثل: التنشئة الاجتماعية والعوامل الوراثية في الجهاز العصبي اللاإرادي تتفاعلان معاً خلال فترة الطفولة والمراهقة لتكوين شخصية الفرد. . . وأخيراً فإن معظم علماء النفس وفي مقدمتهم (كاتل) يتفقون على أن التأثيرات الخاصة بكل من الوراثة والبيئة تختلف من شخص لآخر ومن سمة إلى سمة. . .)[13]. ومن تلك الآراء انطلقت فكرة (التعلم الاجتماعي) للطفل ومؤداها:

(إدراك الطفل للرعاية ألوالدية والجو الأسري المحيطين به، ولأن هذه الرعاية كما يدركها الأبناء هي حجر الزاوية في البناء النظري للتفسير. . . كما برهنت في هذا المجال على أن سلوك الوالد ورعايته للطفل يؤثر في ارتقاء (أنا) الطفل، وبالتالي في جوانب شخصيته المختلفة. . . ومن البراهين التي تدعم وجهة التعلم الاجتماعي للطفل على النقيض من التعلم التقليدي بأنه يتم بطريقة لا شعورية سواء من الطفل أو الوالدين، فينمي الطفل عاداته وسلوكه دون أن يكون على وعي بما يحدث به من ارتقاء نفسي واجتماعي. . .)[14].

---

(13) الرعاية الوالدية وعلاقتها بشخصية الأبناء ـ مصطفى أحمد تركي ـ دار النهضة ـ مصر ـ سنة 1974، ص 24 ـ 28.

(14) المصدر ذاته، ص 119.

الرعاية الجماعية ودور الصحة العقلية والنفسية فيها:

لقد أوضحنا أهمية الدور الأسري ورعاية الأمومة في سلوك الطفل وخاصة في سنيّه المبكرة. والطفولة المبكرة تمثل الأساس الذي ترتكز عليه الصحة العقلية والنفسية، لذا أصبح من واجب الرعاية الاجتماعية[15]: (أن لا تفصل فصلاً دقيقاً بين الطفل وأسرته، لأن مثل هذه المؤسسات التربوية لا تستطيع أن تمد الطفل بما يحتاجه من أمن وحب؛ حيث إن الترتيبات التي تتغير من يوم لآخر تخلق لدى الطفل شعوراً بانعدام الرأي. . .) وهنا يأتي دور الصحة النفسية والعقلية بمعالجة ما سينتج عن هذا الفصل، فهي تتداركه قبل وقوعه، وإلا ستصبح العلاجات النفسية عقيمة وغير ذات جدوى.

مفهوم الرعاية الجماعية:

(لقد ظهرت في السنوات الأخيرة كتب كثيرة تناولت المبادىء الواجب إتباعها في تنظيم مؤسسات الأطفال. . . وقد أجمعت جميعها على أن المؤسسات يجب أن تكون صغيرة لا تزيد عن 100 طفل، حتى يتسنى لها تجنب النظم والأحكام التي لا يمكن تجنبها في الهيئات الكبيرة. وأن تسمح للأطفال بالتردد على المدارس، وأن يسهموا بحكمة في الحياة في المجتمع. كما أجمعوا على حاجة الأطفال إلى الانقسام إلى جماعات أسرية صغيرة مختلفة الأعمار ومن كلا الجنسين. . . (وليس هناك ما هو أخطر وأكثر إحداثاً للدمار في الصحة العقلية من النظام الذي يقسم الأطفال حسب العمر والجنس، ومن ثم يمزق الأسر المكونة من إخوة وأخوات، عليه يجب أن تتضمن الرعاية الطبية للأطفال، وتنمية معايير خلقية مزدوجة. . .)[16].

إن الرعاية الاجتماعية تكون إما دائمة أو مؤقتة حسب الأعمار (. . .

---

(15) رعاية الطفل وتطور الحب ـ جون بولبي ـ ترجمة: د. السيد محمد خيري، سمير نعيم، فرج أحمد فرج، دار المعارف ـ مصر، ص 140 ـ 141.

(16) المصدر السابق، ص 162.

فالرعاية الجماعية ذات الإقامة الدائمة يجب تجنبها دائماً بالنسبة لمن دون السادسة، وإنها تناسب الأطفال القصيري الإقامة بين السادسة والثانية عشرة، وللمراهقين القصيري الإقامة والطويلي الإقامة)[17].

مهمة وأهداف المؤسسات النفسية:

لا شك من أن رعاية الأطفال المرضى ومختلي التوافق هي من مسؤولية المؤسسات العقلية، والذين يحتاجون إلى رعاية طبية عقلية خاصة في العيادات الخارجية يمكن تصنيفهم إلى:

(1 ــ الذين يعانون من خلل في قدراتهم العقلية.
2 ــ الذين يعانون من خلل في قدراتهم أو اضطرابات نفسية.
3 ــ كانت قدراتهم المضطربة ترجع إلى افتراقهم للسعادة في أسرهم.
4 ــ الذين أصيبوا بهذا الاضطراب نتيجة عاهة ملحوظة. . .)[18].

ما هو العلاج النفسي وما هي أهدافه:

(العلاج النفسي بالمعنى العام هو طريقة علاجية للاضطرابات النفسية أو الجسدية، مستخدماً في ذلك الوسائل السيكولوجية المختلفة مثل: العلاقة بين المعالج والمريض، التنويم، الإيحاء، إعادة التربية.

أما أهدافه فهي: أن يزداد تقبل الفرد لذاته، وأن يزداد شعور افرد بالأمن، وتزداد قدرته على حل أنواع الصراع النفسي الداخلي، وأن يكتسب الفرد أساليب أكثر فاعلية لمواجهة البيئة. . .)[19]. هذا وإن الخدمات التي تقدمها العيادات النفسية أسهمت في الكثير من الحالات التي عالجتها بنجاح. وهي حالات متنوعة

(17) المصدر ذاته، ص 164.
(18) رعاية الطفل وتطور الحب، ص 174.
(19) إشكالات المعالجة النفسية، د. فيصل عباس ـ دار المسيرة، بيروت ـ ط. 1، سنة 1983، ص 148 ـ 149.

أشرفت على علاجها المؤسسات التربوية والاجتماعية بالتعاون مع المصحات النفسية والعقلية، ومن هذه الحالات: (الطفل الذي تنقص قدراته العقلية إلى المستوى الذي يصنف ضمن فئات ضعاف العقول، الأطفال الذين يعجزون عن تعلم القراءة أو التحصيل المدرسي أو التخلف في المواد الدراسية، الطفل الجانح الذي يسلك سلوكاً عدوانياً، الشخص القلق الذي يعاني من الأونية أو الشعور بالنقص، الطفل الذي يشكو من ضعف عقلي (يؤتى به عن طريق الوالدين أو إحدى الهيئات الاجتماعية أو المدرسية أو العيادة النفسية. . .)[20]. وفي تلك الحالات المارة الذكر تقوم العيادات الخارجية النفسية بدراستها بالاستعانة بالأسرة (الوالدين) وتاريخهما العائلي، إضافة إلى الفحوصات النفسية والعضوية.

مهمة الأخصائي النفسي في دراسة القدرات العقلية:

إن مهمة الطبيب النفسي المعالج لسلوك الفرد وغيره من مختلفي الأعمار لا تنحصر في دراسة الحالة الانفعالية التي يمر بها الفرد، بل عليه أن يأخذ بنظر الاعتبار كل الملابسات التي أحاطت بهذه الحالة، وأن يكتشف النواحي العقلية والمعرفية والتاريخية الأسرية، (. . . كما عليه أن يكتشف النواحي المزاجية: كالتفاؤل، والتشاؤم، والانبساط، والانطواء، والإقدام، والتردد. وأن يكتشف الصفات الخلقية كالصدق، والأمانة، والتعاون. . . وأن يدرس هوايات الطفل وميوله الشخصية، وأن يعتمد في كل ذلك على اختبارات موضوعية تمتاز بالصلاحية والثبات. . .)[21].

---

(20) المصدر ذاته، ص 122.

(21) سيكولوجية المرضى وذوي العاهات ـ د. محمد حمزة ـ دار المعارف، مصر، سنة 1956، ص 165.

نتـائـج ومقتـرحـات:

بعد ذلك التطواف السريع الموضح لأهمية التربية الذي انصب على شريحة الطفل في عالمنا العربي الإسلامي، والذي يمثل سلاحاً ذا حدين نعود لنذكر أن مهمة التربية مجتمعة في العائلة والمدرسة والمنهج والمربي والمجتمع هي مهمة تؤتى أكلها يانعة أو فاسدة، وخاصة في أزمة ظهور الشخصية الأولى التي تظهر خلالها مقدرة الطفل على أن يميز ذاته عن الآخرين، وعندما تقوى مداركه يفهم المعنويات ويصبح قادراً على تقبل منطق الكبار وعلى الإسهام في التعاون الاجتماعي. . .

والذي اقترحه من خلال ممارستي النظرية والعملية لمهنة التعليم مدة تزيد عن ربع قرن ما يلي:

ـ التأكيد على دور العائلة في تهذيب سلوك الطفل، بالرفع من وعيها الثقافي والصحي والاجتماعي والاقتصادي.
ـ توظيف قدرة المؤسسات الإعلامية على إبراز دور الوالدين في سلوك الأطفال.
ـ إدخال المناهج التربوية التي تتصل بتراثنا الإسلامي العربي في دور الحضانة والمدارس.
ـ الإكثار في الكتب والقصص القصيرة التي تعالج مشاكل حياتية ذات صبغة طفولية.
ـ إخضاع مدرسي اللغة والمشرفات على دور الحضانة لدورات تدريبية.
ـ توفير الألعاب المتحركة والساحات المزروعة التي تضفي الذوق الجمالي لمدارس الأطفال.
ـ عرض أفلام توجيهية متحركة في المرئية تغرس الحب والخير والمثل في نفوس الأطفال.
ـ إشراك الأطفال في المراحل الأولى في الدراسة في عروض مسرحية بسيطة.
ـ تعويد الأطفال على الإلقاء أثناء العرض الصباحي والمسائي لنعطيهم الثقة بأنفسهم.

- تعميق الثقة بين الطفل ومربيه لحل مشاكله النفسية والعضوية.
- تعميق مفهوم الصحة العقلية أو النفسية بأنها مكان لعرض الآراء وليس مصحاً لعلاج حالة معقدة.

تحسين الغذاء الروحي والجسدي والذوقي عند الطفل:

وفي ختام البحث أرجو أن أكون قد وفقت ـ ولو بالقدر اليسير ـ في الإلمام ببعض جوانبه، والتوصل إلى ما فيه الفائدة، من أجل إرساء بناء طفل نظيف في جو نظيف ينعم بالراحة والطمأنينة والسعادة، تحت ظل عائلة واعية تدرك أن سر قوتها وبناء مجتمعها يتوقف على تربية هذا النشىء الغض، والأفنان الطرية المشبعة بالخير المطلق والعفوية المحضة. ولا يتم ذلك ـ في رأيـي ـ إلا بغرس روح الإيثار وحب الوطن، والتمسك بقيم رسالة السماء التي وضعت لنا الأسس الثابتة على لسان قرآننا المجيد، وحصنتنا بسياج التضحية والإباء والمحبة للغير قبل النفس، وعالجت الأمور المستعصية بدقة موضوعية، وحرصت على وحدة الأسرة والعلائق الاجتماعية، والاهتمام بالوليد من حين اكتسائه لحماً وعظماً طرياً إلى نهاية مسيرته في الحياة. وتلك تربية السماء التي ظلت وستظل نبراساً ينير لنا دروب الخير، والتي تقزمت أمامها كل الطرق والنظريات الوضعية، لا لشيء ولكن لأنها صادرة عن الكمال المطلق وهو الله سبحانه.

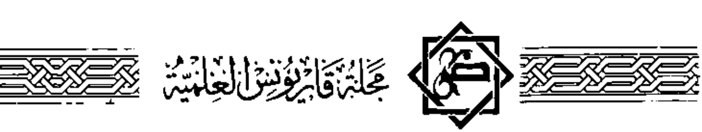
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

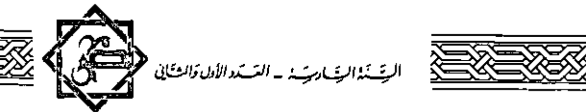
﴿فأما الزبد فيذهب جفاء. وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ [الرعد: 17].



مصادر البحث

ـ القرآن المجيد.
1 ـ النمو النفسي للطفل والمراهق وأسس الصحة النفسية ـ د. محمد مصطفى رضوان.
2 ـ الموجه الفني لمدرس اللغة العربية ـ عبد العليم إبراهيم.
3 ـ الطفل الموهوب ـ ماريان شيفل ـ ترجمة: عزيز حنا، عماد الدين سلطاان.
4 ـ الصحة النفسية في الأسرة والمدرسة والمجتمع ـ د. مصطفى فهمي.
5 ـ الرعاية الوالدية وعلاقتها بشخصية الأبناء ـ مصطفى أحمد تركي.
6 ـ رعاية الطفل وتطوير الحب ـ جون بولبي ـ ترجمة د. السيد محمد خيري، سمير نعيم، فرج أحمد فرج.
7 ـ إشكالات المعالجة النفسية ـ د. فيصل عباس.
8 ـ سيكولوجية المرضى وذوي العاهات ـ د. محمد حمزة.





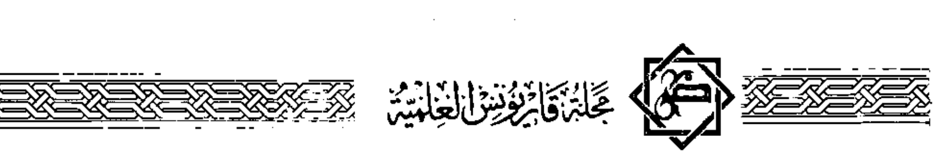
معايير تقييم الترجمة

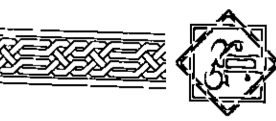
د. علاء الدين أحمد حسين

أستاذ/ مساعد قسم الترجمة والتعريب

كلية الآداب والتربية

جامعة قاريونس


مجلة قاريونس العلمية



الترجمة علم وفن ومهارة في آن واحد. وتستمد الترجمة علميتها من كونها تعتمد أساساً على معطيات العلوم الطبيعية والصرفة. وهي كذلك نوع من الفنون الجميلة: فن وإلهام وذوق تمكن المترجم ذا الإحساس المرهف من نقل الحفيفة الشعرية التي تزهو على جسد القصيدة كزهرة العسل على الوشيع، والترجمة أيضاً خبرة وطول مراس. لا غرو إذن أن يتحلى الناقد بكل هذا وذاك عند تصديه لنقد وتقييم ترجمة ما.

المفهوم العام للترجمة:

الترجمة علم وفن ومهارة في آن واحد. وتستمد الترجمة علميتها من كونها تنطلق في تنظيراتّها اعتماداً على معطيات علوم اللسنيات، التي تعتمد أساساً على العلوم الرياضية الصرفة، كما يؤكد على ذلك عالم اللسانيات الأمريكي تشومسكي حين يقول: «إنني مقتنع تماماً أن البنية اللغوية هي بنية معقدة مبنية على أساس من العلاقات الترابطية، التي هي على درجة عالية من التجريد. وهكذا، فإنه ينبغي على النظرية اللسانية أن تكون استنتاجية تحليلية، بحيث يمكنها شرح العلاقات المعقدة والمجردة في اللغات البشرية، على أساس من المعايير التفاعلية المبنية على مبادىء موحدة هي وصف الخواص والمميزات اللسانية للغات البشرية في أطر وأنظمة رياضية دقيقة... إنه ينبغي على أي عالم في حقل المعرفة البشرية أن يكون دقيقاً وموضوعياً في نظرياته؛ وذلك لأنه كلما اقترب العلماء في نظرياتهم من الدقة والموضوعية المتناهية، كان من الممكن تقدير المنهج الرياضي الذي

يجعل النظرية أكثر علمية. وهذا يعني أنه ينبغي علينا أن نقوّم النظرية اللسانية من وجهة نظر تجريدية رياضية بحتة. (وفي الوقت ذاته، فإن الترجمة فن جميع يعني بنقل الألفاظ والمعاني من (ل.ص) إلى (ل.م)، بحيث إن المتكلم باللغة المترجم إليها يتبين النصوص بموضوع ويشعر بها بقوة، كما يتبينها ويشعر بها للمتكلم باللغة الأصلية. فالمترجم إذن، فنان ملهم يمكّنه إلهامه من نقل روائع الأدب من منظوم أو منثور من (ل.ص) إلى (ل. م)، عن طريق تقمّص شخصية الكاتب والنفاذ إلى روحه، الذي لا يتحقق إلا بإعادة خلق النص وترجمة ما يعنيه الكاتب لا ما يقوله، حتى إن النص المترجم كثيراً ما يربو على الأصل. وتمكن طول الخبرة وشدة المراس المترجم من أن يدير دفة عجلة الترجمة برشاقة وحنكة وروية، فيحسن التأني والسياسة، ويزيغ عن المألوف لعلّه يرتئيها فيبسطه إن كان كزاً، أو يبنيه إن كان غامضاً مدركاً بأن لكل مقام مقال.

من هذا المنطلق، فعلى من يتصدى لعملية نقد الترجمة أن يتحلى بكل هذا وذاك، وبغباوة أدق، على ناقد الترجمة النزيه أن يكون عالماً موضوعياً وفناناً مرهفاً وماهراً متضلعاً..

نظرية نقد الترجمة:

نقد الترجمة علم حديث الولادة والمنشأ، وهو بحاجة إلى بعض من الوقت كي يتمكن من فتح مغاليق أبواب الأسئلة التي يثيرها، وكي يفلح في نهاية المطاف من تثبيت مرتكزاته كعلم مستقل قائم بذاته.

تقع عملية نقد الترجمة حلقة وصل جوهرية بين نظرية الترجمة من جهة وتطبيقاتها العملية من جهة أخرى. ويتصدى لهذه المهمة، عادة، مراجع النص المترجم الذي يعهد إليه رسمياً أمر مراجعة وتقييم العمل المترجم من قبل مؤسسة أو شركة ما، وقد يضطلع مدير أو رئيس المؤسسة بهذه المهمة بنفسه، كما قد يوعز إلى ترجم متمرس مهمة تقييم ترجمة ما.

ومن السخرية أن كثيراً ما يتصدى لهذا العمل الدقيق باحثون تعوزهم المعايير العلمية التي تنير الطريق أمامهم وتأخذ بأيديهم إلى جادة الصواب، كما

يؤكد على ذلك المترجم المتمرس والمنظر الذائع الصيت في حق نظرية الترجمة (فلاديمير تابوكوف)، حين يصرّح قائلاً: (إن غاية ما يصبو إليه أولئك المقيمون، والذين غالباً لا يفقهون أصلاً الأصل المترجم منه، أن يكون أسلوب (ل.م) جزلاً لطيفاً مسترسلاً متجنباً ال؟؟؟ الغريب والسوقي الشاذ).

مبادى نظرية نقد الترجمة:

بيد أن أية محاولة جادة لتطوير منهجية علمية كفء، ترتكز على قواعد صلدة لنظرية نقد الترجمة، يجب أن تنصبّ على دراسة متأنية شاملة، وتحليل دقيق للنصيين (ل.م) ول.م) على ثلاثة مستويات هي:

أ ـ المستوى الدلالي الوظيفي للنصيين.
ب ـ المستوى التركيبي والصرفي للنصيين.
جـ ـ المستوى التوصلي والتداولي للنصيين.

وبغية تحقيق هذا الهدف، لا مناص لمن يتصدى لمثل هذا العمل الممتع والشائق في الوقت نفسه أن يضع نصب عينيه خمس رواسي أساسية، سنعرض لها في مظان سفرنا هذا بالنقد والتحليل:

أ ـ تحليــل النــص:

يحتل تحليل النص في (ل.ص) القدح المعلي في نظرية نقد الترجمة. إن النص ليس مجرد نسيج داخلي معزول عن عالم خارجي هو مصدره ومرجعه. المرجع حضور في النص ينهض به عالم مستقل. إن النص هو كل مخزون الذاكرة التاريخية والآنية للأثر الدلالي المتخيل الذي يحاوره الكاتب من مسافة الكتابة. فالكاتب ذاكرة أخرى تحاول أن تقيم الجسور مع هذا المتخيل، تتعامل معه، ترى فيه وترتشف منه، لهذا المتخيل زمن تكونه وللكتابة زمنها اللاحق من العالم المتخيل، العالم الغائب الحاضر، يأتي الكاتب إلى الكتابة زمناً ضد فنائه فيحسن التأني والسياسة، ويصرف أغراض المخاطب كائناً من كان، ويخاطب الناس على قدر طبقاتهم وتعلقاتهم. نخلص إلى القول بأن للنص ثلاثة محاور أساسية على

الناقد أن يتدبرها بالدرس والتمحيص عند تصديه لتقييم ترجمة ما. وهذه المحاور الثلاثة هي:

أ ــ السياق (باعتباره وحدة عضوية لسانية).
ب ــ الكاتب أو المؤلف.
جـ ــ القارىء.

ويعتمد السياق (باعتباره وحدة عضوية لسانية) ـ بدوره على ثوابت أساسية هي:

1 ــ فكرة أو وجهة نظر يتبناها كاتب ما ويتولاها بالتوسع والتحليل، وهي تشكل في نهاية الأمر الوحدة العضوية للنص برمته.

2 ــ سمات لسانية محضة ـ وتشمل:

أ ـ مفردات لغوية.
ب ـ تراكيب نحوية وكيفية توظيف الكاتب لها.
جـ ـ سمات تركيبية نحوية محاذية.
د ـ سمات وظيفية تداولية توصيلية.

ب ــ الكاتب أو المؤلف:

مما لا جدال فيه، أن لكل كاتب سمات أسلوبية جوهرية تميزه عن غيره، حتى ذاع المثل المأثور: (الأسلوب هو الرجل). ويمكن تلخيص هذه السمات بما يلي:

1 ــ المعجم اللغوي.
2 ــ اللكنة.
3 ــ المستوى الثقافي.
4 ــ الطبقة الاجتماعية.
5 ــ العمر.
6 ــ الجنس (ذكر أم أنثى).



جـ ــ القــارىء:

يعد القارىء بمثابة القطب من الرحى والمحك الأساسي لأي تحقيق وظيفي لنص ما، كيف لا وهو المحصلة والبوتقة النهائية التي تتفاعل مع النص سلباً أو إيجاباً. ويمكن تقسيم القراء إلى ثلاث فئات أساسية هي:

1 ــ الخبير المتمرس بخصائص اللغة الأم وثقافتها.
2 ــ المثقف العادي.
3 ــ الجاهل، أو غير المكترث.

وما إن يتدبر الناقد المزعوم مكونات النص هذه ويجيل النظر بها، فمن المحبذ أن يسارع ويرفق مع تحليله للنص ملخصاً يركز فيه على:

أ ــ هدف الكاتب ووجهة نظره، والفكرة التي يتبناها وكيفية معالجته لها.
ب ــ مميزات القراء.
جـ ــ طبيعة اللغة الموظفة (فخمة تقليدية، نموذجية... الخ).

2 ــ هــدف المترجــم:

بعد أن يأتي الناقد على تحليل النص تحليلاً دقيقاً شاملاً ويرتشف سماته الأسلوبية، عليه أن يتدبر النص من وجهة نظر المترجم نفسه. فكثيراً ما يعجّل النقاد ويحركون ألسنتهم وينحون باللائمة على المترجم، متهمين إياه بالزيغ والخيانة ـ لعدة بابل الأزلية ـ عن هدف وسياق (ل.ص)، وأنه قد حذف وأضاف كما راق له. وما أسهل النقد وتحطيم معاقل المترجم الواحد تلو الآخر، تلك المعاقل التي بذل الجهد الجهيد في ترسيخ قواعدها، ما أسهل الهدم والهبوط وما أصعب البناء والارتقاء.

وعليه، فإذا ما تسنى لك فرصة تقييم عمل مترجم فعليك أن تحترم دائماً الجهد المبذول فيه مهما بدا لك أنه نزر يسير، وتذكر بأن المترجمين ـ الجيدين النزهاء ـ هم أناس موهوبين نادرون وفنانون ذوو إحساس مرهف، وأن الترجمة المثالية الكاملة الجامعة أمر محال، وأن غاية ما يصبو إليه المترجم هو تحقيق

تقارب وظيفي توصيلي بين سياقات لسانية وثقافية متباعدة، أقول وأشدد على أن الترجمة لا تعدو كونها محاولة تقريب بين أبعاد سياقية متنافرة لا محاولة تطابق بينها.

3 ــ مقارنة فقهلسانية بين (ل.ص) و (ل.م):

يعقد النقّاد في هذه المرحلة مقارنة دقيقة ومسهبة بين بعض المشاكل الشائكة المنتخبة بعناية ودقة فائقتين من متن (ل.ص)، التي يعتقد أن عملية تهجير دلالاتها المعنوية التركيبية من (ل.ص) إلى (ل.م) ستشكل عقبة كأداء يصعب تجاوزها. وفي الواقع فإن هذه المرحلة تقع في عملية تقسيم الترجمة بمثابة القلب من الجسد، ولكي يقوم الناقد بعمله بشكل منظم، فإنه ينصح بتصنيف هذه المشاكل في (ل.ص) إلى ثلاث فئات، وتحت عناوين بارزة وعلى الشكل التالي:

أ ــ **مشاكل نحوية وتتضمن:**

التراكيب النحوية والعلاقات التكتيكية الترابطية بين الجمل.

الصرف وتأثيره على التراكيب النحوية.

طبيعة الزمن الموظف.

أسماء الفاعل والعبارات المصدرية المذيلة.

درجة الغموض النحوي.

ب ــ **مشاكل دلالية وتشمل:**

أ ــ الغموض في المفردات والسياق.

الأبعاد الثقافية للمفردات.

التجمعات الثقافية والكلمية.

أسماء العلم.

ب ــ التعريب: النحت والاشتقاق والتركيب.

النبرة الأسلوبية الموظّفة.

انسجام الصوت والمعنى.

جـ ـ مشاكل توصيلية وظيفية:

ينصب اهتمام الناقد هنا على التحقق من مدى التأثير الذي تتركه الترجمة على القراء في (ل.م). وكثيراً ما يشار إلى هذا المبدأ بمبدأ التأثير المتبادل أو مبدأ التعادل الوظيفي، أو كما يسعى أحياناً مبدأ التعادل الدينامي الحركي. وينطلق الناقد في تقييمه للترجمة هنا من المبدأ القائل بأن الخطاب لا يعد وكونه نظمة تفاعل اجتماعي، وأن المتكلم (الواقعي) يفعل في العالم بكلامه (يعمل ويحسن عمل الأشياء بكلامه)، وأن الكلام متكيف اجتماعياً وثقافياً على حاجات وأهداف جماعية لسانية وعلى أعضائها، وأن الاتصال ممكن فيما بيذاتية وفيما بيثقافية، وعلى أرضية الانبناء الاجتماـ فسلوجي لأعضاء جماعة تخاطبية. وعليه فإن اهتمام الناقد يجب أن ينصب على مدى التقارب الذي حققه المترجم بين الأبعاد اللسانية والثقافية في (ل.ص) و (ل.م)، وبعبارة أدق يتلمس الناقد مدى نجاح المترجم في تحليل وإعادة صياغة التجمعات الكلمية والثقافية، بما يتلاءم وثقافة ونسيج لغة (ل.م)، حيث إن القارىء يتوق إلى نقل سخن لكافة السعات الثقافية واللغوية في (ل.ص) إلى لغته، وبأقل جهد مبذول من جانبه.

وكناقد ذي بصيرة، عليك أن تتريث إذا ما مرَّ بك في (ل.م) ما قد تراه ثقيلاً لا يستطاب دورانه على ألسنة قراء (ل.م)، أو ما قد يخيل لك أنه نشاز، وألاّ تهرع وتحرك معول الهدم بتصليح ما تعتقده خارجاً عن المألوف. إن الموضوعية تحتم عليك أن تسأل لماذا قال المترجم كذا وكذا؟ ولماذا عمد إلى استعمال هذه العبارة أو تلك المفردة بعينها، أو ذلك التركيب دون غيره؟ ولماذا احتفظ بالغموض؟ وحاول أن تفهم وتقدر وجهة نظر المترجم الذي يتحمل مسؤولية أخلاقية جسيمة بإزاء قراء نص (ل.م)، حيث إن محاولة فرض القيم والمعايير الثقافية لـ (ل.ص) على (ل.م) أمر لا تحمد عقباه. وكثيراً ما يختلف هدف المترجم عن هدف الكاتب نفسه، حيث يضع الأول نصب عينيه الجمهور الذي يترجم له، ولغته ودرجة ثقافته، ومدى تفاعله مع النص الذي يترجمه، وعليه ما قد يعد موضوعاً في (ل.ص) قد يكون تعقيباً في (ل.م) وهكذا دواليك.

4 ـ التكافؤ اللساني والوظيفي:

وبعد أن يكون الناقد قد توصل إلى تقييم شامل مسهب، وتغطية شاملة كفوءة اعتماداً على النتائج المتحصلة من تلك الرواسي المشار إليها آنفاً، عليه أن يقيم دقة استعمال المكافئات اللسانية والوظيفية، حسب معاييره الخاصة، مركزاً بالدرجة الأولى على مدى قابلية (ل.م) على هضم التجمعات اللغوية والثقافية التي تزخر بها (ل.ص). وغنى عن البيان أن تكافؤ الترجة يعتمد أساساً على قابلية التبادل لنصي (ل.ص) و (ل.م) في موقف سياقي متشابه، أي أنها تعتمد في نهاية الأمر على ارتباط نصي (ل.ص) و (ل.م) بنفس السمات المتصلة بعادة الموقف السياقي أو بعضها. وبغية تحقيق التكافؤ الوظيفي والتوصيلي بين (ل.ص) و (ل.م)، يجب أن يتحقق الناقد من مدى نجاح (ل.م) في استيعاب سمات العامل المشترك بين نصي اللغتين. وبعبارة أدق، يجب أن ينصبّ اهتمام الناقد في هذه المرحلة على تقييم نوعية العجز ومدى جسامته في نقل المكافئات المرجعية والتداولية من (ل.ص) إلى (ل.م)، والتأكد فيما إذا كان ذلك أمراً لا مفر منه، أم أنه نتيجة لإخفاق المترجم نفسه، فإن كان كذلك، وجب معالجة ذلك الإخفاق والخطل وذلك باقتراح ما يراه الناقد مناسباً.

5 ـ الترجمة كنص كتابي:

وينظر إلى الترجمة في هذه المرحلة كنص كتابي قائم بذاته وبمعزل عن نص (ل.ص). ويراعى عند التقييم في هذه المرحلة مدى انسجام النص والقواعد الكتابية المتبعة في (ل.م)، من حيث الترقيم (الوصل والفصل والوقف... الخ)، وتأثير ذلك على المعنى والنبرة والسياق العام، حيث إنه مهما كانت طبيعة النص المترجم فإنه يجب أن يتسم بدرجة من الأناقة والسلاسة والوضوح، ويراعى فيه كذلك الذوق والحرف العام. وهناك بعض القواعد العامة يحبذ أن يضعها الناقد بنص الاعتبار، ويجيل فيها النظر وهو يضع لمساته الأخيرة على تقييمه ترجمة ما نلخصها بما يلي:

1 ـ تجنب الترجمة الكلمية أو الجملية والتركيز على الترجمة كوحدة عضوية للنص برمته.

2 ـ تطبيع وتدجين العبارات الاصطلاحية والثقافية بما يخدم سباق (ل.م)، فعلى سبيل المثال ترجمة العبارة الاصطلاحية fich and chips بـ (سمك وبطاطا) إلى العربية هي ترجمة ركيكة وتدعو إلى الرثاء والسخرية، وعليه فعليك تطبيع ترجمتها بما يخدم سباق (ل.م) على سبيل المثال (فول وطعمية). وعلى نفس هذا المنوال فإن ترجمة سوناتا شكسبير «إلى حبيبته» التي يقارن فيها شكسبير حسن حبيبته وفتون سحرها بصيف سرمدي إلى الثقافة العربية حيث الصيف قائظ وخانق سيؤدي إلى ترجمة مبتذلة نشاز، إن لم تكن غير مستساغة أصلاً في (ل.م)، وعليه فعلى المترجم النابه أن يطبع الأبعاد الثقافية للنص بما يخدم وظيفة (ل.م).

3 ـ ترجمة غرض (ل.ص) بما يوائمه من غرض في (ل.م)، حتى لو تطلب ذلك إضافة مفردات وعبارات غير موجودة في (ل.ص)، بغية تحقيق التكافؤ الوظيفي التوصلي في (ل.م).

4 ـ تجنب الإطناب والحشو والزخرفة اللغوية في (ل.م).

5 ـ لا تنسى أن المترجم يتحمّل مسؤولية أدبية ومعنوية وأخلاقية إزاء قراء (ل.م)، وعليه أن يوازن ويوائم بما يحترم قدسية أسلوب (ل.ص)، وكذلك تحويره وتطويعه بما يحترم ذوق قراء (ل.م) وأسلوبها.

6 ـ ترجمة القيمة الجمالية أو الحقيقية الشعرية لقصيدة ما متذكّراً أن الجمال هو الحقيقة، والحقيقة هي الجمال، وأن روح الشعر شفافة دقيقة؛ بحيث إنك ما إن تسكبه من قالب إلى آخر حتى يتبخر وينفذ، وإذا لم تنفخ فيه روح جديدة أثناء النقل، فسوف لن يبقى غير جسد بلا روح.

وفي النهاية، نهاية المطاف على الناقد أن يبين مدى إسهام العمل المترجم في رفد وإثراء مكتبة ولغة وثقافة (ل.م).

وبغية تحقيق تقارب إدراكي بين الناقد والمترجم، ينصح الناقد بتدبر بعض القواعد الأساسية في الترجمة، التي تشكل منطلقاً أساسياً للمترجم ذاته وهي:

يشترط على المترجم النزيه الحريص على سمعته، الذي يجتهد في أن يكون بمنأى عن اتهامه بالخيانة، تلك التهمة التي ما فتئت تلاحقه كظله، أن يفهم معنى وسياق النص قيد الترجمة، ويتشرّب دلالاته وأبعاده قبل أن يشرع بعملية الترجمة، ذلك لأن فهم النص شرط أساس يسبق عملية الترجمة. إنّ عملية فهم النص هذه تحتم عليك معرفة دقيقة بقواعد اللغتين (ل.ص) و (ل.م) وآدابهم وشواذهما وشواردهما. كما أكد على هذه الحقيقة الناقد والكاتب الفذ أبو عمرو الجاحظ منذ زمن طويل حين قال: «لا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة. وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول إليها حتى يكون فيها سواء وغاية وحق وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل القيم عليهما، وكيف يكون تمكّن اللسان منهما متجمعين فيه، كتمكنه إذا انفرد بالواحدة؟».

وكي تصون نفسك من مغبة اتهامك بالخيانة، ولئلا تدخل الضيم على اللغتين، وكي تكون في اللغتين سواء وغاية، لا مناصّ لك من ملاحظة ما يلي:

1 ــ قــراءة النــص:

تشرع علماء بقراءة النص في (ل.ص) قراءة متأنية عميقة ومستفيضة بغية استيعابه أولاً، وتحليله من وجهة نظرك كمترجم ثانياً. عليك أن تشخّص غاية النص وهدفه والطريقة التي كتب بها، كي تتمكن من اختيار منهجيّة الترجمة التي ستلجأ إليها، وكذلك لتحديد حجم وطبيعة المشاكل التي ستعترض طريقك. إنّ فهم نص ما يتطلب قراءة عامة للنص وأخرى دقيقة متأنية وعن قرب. القراءة العامة للنص تساعدك على استيعاب فحواه ودلالاته العامة. وقد يكون من المفيد هنا أن نستعين بدائرة معارف أو مراجع أو تقارير وغيرها ذات الصلة بالموضوع قيد الترجمة؛ كي تكون بذلك على بيّنة بأبعاده ومراميه، وكي يزودك كذلك بالخلفيّة الثقافية اللازمة، التي قد تساعدك على حسم بعض العقبات التي يظهر أنك ستكون قاب قوسين أو أدنى منها، واضعاً نصب عينيك في الوقت نفسه بأن هدفك كمترجم هو عمل النص الوظيفي لا الوصفي.



من البديهي أن القراءة المتأنية ضرورة لا بد منها في النصوص الصعبة، التي يشوبها بعض الغموض، وغني عن البيان، أنه يلزم عليك كذلك إجالة النظر بكل عبارة ومفردة لا تحمل معنى دلالياً واضحاً في سياق (ل.ص)، كي تكون على بيّنة بأنها لم تستعمل استعمالاً مجازياً أو شعرياً أو ضمنياً أو تقنياً. وما إن تنتهي من القراءة المتأنية وترجع إلى المصادر المعتمدة التي تلقي أضواء كاشفة على أبعاد ودلالات النص في (ل.ص)، حتى تشرع بعد ذاك باستخراج معلق ما يعن لك من مفردات معجمية صعبة، وعبارات غامضة ذات أبعاد ثقافية أو محلية خاصة في (ل.ص)، معتمداً في عملك هذا على أمهات المهاجم ذات الرصانة العلمية..

2 ـ هـدف النص وغايته:

عندما تنتهي من سبر أغوار معاني المفردات المعجمية والعبارات الغامضة، عليك أن تعيد قراءة النص مجدداً كي ترتشف معانيه، وتدع دلالاته تستقرّ في ذهنك ومخيلتك، وبالتالي كي تدرك كنه النص العام وهدفه، وتقتنص ما يروم الكاتب أن يبوح به ويؤكد عليه، حيث إنه من المتعذّر بمكان فهم نص في سياق ما بمعزل عن هدفه؛ ذلك لأنهما يعملان معاً وعلى قدم وساق في تحديد المعنى العام لسياق نص ما. وكثيراً ما يكون العنوان لمقال أو بحث ما بعيداً عن معنى وهدف نص ما، وكثيراً ما يتناول كاتبان نصاً ما ذا حبكة مشتركة ويوردان نفس الحقائق والأرقام الإحصائية، غير أن الأسلوب الموظّف والتراكيب النحوية المعتمدة في كل من النصيّين قد تكون دليلاً على وجهتي نظر مختلفتين. وبعد أن وقر في نفسك تمكّنك من معرفة هدف النص وغايته المؤلف، لا ضير من أن تأخذ بالترجمة مبتدئاً بالفقرة الأولى جملة جملة، باحثاً في كل جملة عن الفعل الرئيسي، الذي يمكن اعتباره النواة الأساسية الذي تتبلور حوله الجملة برمتها، كما قد تجد نفسك في هذه المرحلة في وضع يمكّنك فيه من تطبيع النص بما يخدم سياق (ل.م)، كأن تضع الجمل والعبارات المؤلفة من ظرف وجار ومجرور في بداية الجملة حسب أهميتها، على الرغم من أنّ الأمر المألوف في اللغة العربية أن توضع التعابير الظرفية وحروف الجر ومجروراتها في بداية الجملة حسب

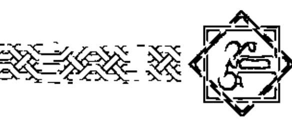
أهميتها. وبعد أن تأتي على ترجمة النص بشكل أولى، دعه جانباً واشرع بعمل آخر.

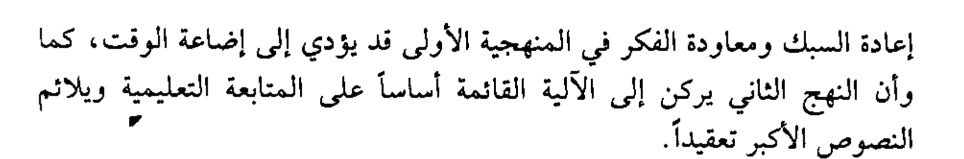
3 ـ هـدف المترجـم:

يجب أن ينسجم هدفك كمترجم حاذق مع هدف الكاتب الأصلي في (ل.ص)، بيد أن طبيعة النص المترجم قد تدعوك إلى الزيغ أحياناً. فقد يعهد إليك، على سبيل المثال، بترجمة إعلان أو إشهار أو مجموعة من التعليمات، كي توضّح لمن يهمهم الأمر هدف وأبعاد وطبيعة كتابتها في (ل.ص)، بدلاً من أن تطوّعها لأسلوب (ل.م) بغية إقناع أو حث قراء جدد في (ل.م). وعلى نفس هذا السياق، فقد يوعز لك بترجمة كتيّبات تعليمية لفئة من القرّاء من ذوي المستويات الثقافية المحدودة، ففي هذه الحالة تكون الإضافات الهامشية التوضيحية التي سترفقها بترجمتك ذات مغزى وأهمية بالغة، حتى لو كانت أكبر حجماً من الترجمة ذاتها.

4 ـ عمليـة الترجمــة:

هناك طريقان للترجمة يمكنك المزج والمراوحة فيما بينهما حسب مقتضيات النص قيد الترجمة. يعتمد الأول على ترجمة جملة جملة على التوالي، حتى تأتي على الفقرة أو الفصل برمته؛ لكي تستوعب نبرة وأسلوب (ل.ص)، وتتشرب روحك بروح المؤلف الأصلي، وتجد دلالات معانيه وقعا وصدى في نفسك. ثم تتوقف هنيهة بعد ذاك تقلّب وتعاود النظر فيما ترجمته، وتشرع بعدها في قراءة ما تبقى من نص (ل.ص) بدقة ورويّة متناهيتين. ويؤكد المنهج الثاني على ضرورة قراءة النص عدة مرات بدقّة ونظرة فاحصة ناقدة بغية التعرف على طبيعة النص ومزاج الكاتب الأصلي ونبرته، وبعدها تشرع في تحديد المفردات المعجمية والتعابير الغامضة. وعليك ألاّ تبدأ بالترجمة إلاّ بعد إدراكك استيعاب النص وتفهمك لروحه وأبعاده اللغوية ودلالاته المعنوية. غنى عن البيان، أن انتهاجك أياً من الطريقين إنما يعتمد على مزاجك وقابليتك ودقة حدسك. إنَّ المنهجية الأولى قد تكون أكثر ملاءمة للترجمة الأدبية والثانية للترجمة التقنية. إنَّ





إعادة السبك ومعاودة الفكر في المنهجية الأولى قد يؤدي إلى إضاعة الوقت، كما وأن النهج الثاني يركن إلى الآلية القائمة أساساً على المتابعة التعليمية ويلائم النصوص الأكبر تعقيداً.

وبغض النظر عن المنهجية التي عزمت على توظيفها، فهناك أربعة مستويات سياقية تتربص بك، وعليك أن تتدبرها وأنت تدير دقّة الترجمة لنص ما وهي:

أ ـ المستوى النصي:
تبدأ على هذا المستوى حدسياً وآلياً بإجراء التغييرات اللازمة لترويض وتطويع نص (ل.ص) إلى ما يلائمه ويكافئه في (ل.م). وكذلك الحال بالنسبة للمفردات المعجمية بين (ل.ص) و (ل.م). إن هذا المستوى التحليلي هو نقطة البدء للتعرف على طبيعة نص (ل.ص) ومزاج كاتبه.

ب ـ المستوى الدلالي:
إنّه لخطأ وبيل أن تقرأ جملة أو مفردة معجمية بمعزل عن مستواها الدلالي، سواء تعلّق الأمر بنصّ تقني أو أدبي أو ثقافي. عليك أن تستوعب وتحلل ما تقرأ، ومن ثم تقرر بشكل سريع وحاسم طبيعة الفكرة التي يحوم حولها الكاتب ووجهة نظره من ناحية التعاطف أو المعارضة. وحينما تعترضك عبارة أو جملة غامضة أو مشكوك في معناها، أو تحتمل معنيين أو معاني مجازية عليك أن تتساءل لِمَ يحدث هذا؟ ولماذا عمد الكاتب إلى هذا الاستعمال دون ذاك، وإلى أي شيء يهدف؟ حتى تتمكن من تقمّص روح المؤلف، وتختار المعنى الأنسب لسياق الكلام في النص بكامله، والأقرب إلى مزاج الكاتب الأصلي. وإذا أخفقت في ذلك فعليك الاستعانة بالمستوى اللساني، والتراكيب النحوية، وأدوات الربط وعلامات الترقيم... الخ، وكذلك عليك اللجوء إلى المستوى السياقي العام للنص والمستوى الحقيقي له، وذلك بمماحكته على أرضية الواقع والحياة الحقيقية. عليك أن تسأل نفسك دوماً ما تعني هذه العبارة؟ وإلى أي شيء تشير؟ وما هدف الكاتب منها؟ وتلك المفردة المعجمية ما دلالاتها الظاهرة والباطنة؟ ولم يميل الكاتب إلى إعادة استعمالها مثلاً؟ وهكذا دواليك، حتى تتوغل في أعماق خلايا النص ودقائقه وتسبر حقيقته، وتتضمن أسلوبه وتسبر عقلية كاتبه.

دع الترجمة هنيهة، وتأمل الحقيقة المجردة التي تدل عليها هذه العبارة أو تلك المفردة بمعزل عن سياقها اللساني. إذا أصابك الجهد والعي في سبر غور دلالة مفردة معجمية ما، بعد أن أجهدتت عقلك واستنفذت كل السبل المتاحة التي تطرقنا إليها آنفاً، فلا مناص لك من الرجوع إلى دائرة معارف أو أية مراجع أخرى ذات صلة وعلاقة وطيدة بالموضوع المترجم. ولكن، كل هذا وذاك ما هو إلا وسائل مساعدة، حيث إنها مسؤوليتك في المقام الأول كمترجم فطن أن تتبلور في ذهنك الصورة والفكرة والهدف الذي يروم إليه كاتب ما، أو بعبارة أخرى الحقيقة المجرّدة التي طمح الكاتب إلى تدريجها والتأكيد عليها. إن المستوى الدلالي، كما تم التأكيد على ذلك أكثر من مرة، هو في واقع الأمر البحث عن المستوى الحقيقي للنص قيد الترجمة، وعليه فإن عملك، كمترجم حذق أن تختار المعنى الأنسب لسياق النص بكامله، والأقرب إلى مسحة أسلوب الكاتب ومزاجه. وتذكر أن محاولة تقليد غموض الأصل أمر معيب، ويدل على عدم فهمك وعجزك عن إماطة اللثام عن فحوى النص الأصلي، خلاصة القول، عليك أن تحدد بدقة المعنى والسياق الأقرب، والمكافىء الأدق والأنسب الذي يتناغم والسياق العام للنص قيد الترجمة، وهذا لا يمكن التوصل إليه إلا بعد تحديد شامل ودقيق لهدف الكاتب، وأبعاد رؤيتـه في نص (ل.ص).

جـ ـ المستـوى التلاحمـي:

يقوم هذا المستوى بدور الربط بين المستويين الأول والثاني واللحم بينهما. ويرتكز العمل الوظيفي للمستوى التلاحمي على محورين أساسيين هما: تركيب النص المعد للترجمة وطبيعة مسحته الأسلوبية. في هذا المستوى من الترجمة عليك أن تتلمس خطي تركيب النص الأصلي، وذلك بملاحظة وتحليل العلاقات التركيبية الموظفة في (ل.ص). على سبيل المثال: أدوات الربط، أدوات التعريف، الصفات، الظروف، المعاني الدلالية والضمنية للمفردات المعجمية والعبارات، وعلامات الترقيم وطريقة توظيفها في (ل.ص). وفي الوقت نفسه، عليك أن تراقب وبفكر ثاقب تتابع سلسلة أفكار الكاتب في (ل.ص)، وكيفية تعامله مع الحقيقة موضوع البحث أو الدراسة سلباً أو إيجاباً، عاطفياً أو حيادياً.

وخلاصة القول، إن المستوى التلاحمي يمكن أن يعد بمثابة «المنظّم» لصمامات أمان السياق العام للنص المترجم، حيث إنه يضمن الوحدة العضوية لنص ما ويضبط الأولويات التي من المحبذ الابتداء بها ويكيفها، كأن تشرع مثلاً باستعمال الجملة الفعلية على حساب الإسمية أو شبه الجملة، أو قد تعتقد أنَّ السياق العام يتطلب استعمال المعنى العام لمفردة معجمية دون الخاص مثلاً. في هذا المستوى، كذلك، تتاح لك الفرصة في إعادة النظر في طول وقصر الفقرات والعبارات والجمل، وتعيد التفكير في دقة جملتك لعنوان المقال أو البحث، وهل ينسجم مع السياق العام للنص أم لا؟ وتحدد في هذا المستوى كذلك نبرة خاتمة البحث المترجم وسمتها.

د ـ المستوى التطبيقي:

مهما كانت طبيعة النص المترجم أو المنهجية المتبعة فهناك أسس ثابتة وقواعد متعارف عليها لا بد من توفرها في كل نص مترجم وهي:

1 ـ يجب أن تعطى الترجمة صورة صحيحة للأفكار المتضمنة في نص (ل.ص).

2 ـ يجب أن تكافىء سلاسة أسلوب (ل.م) سلاسة أسلوب (ل.ص)، وهذا يعني أن السياق العام في (ل.ص) يجب أن يكتب بلغة مستساغة من حيث النحو والمفردات والتراكيب والعبارات الاصطلاحية والثقافية. وكي تكون على بيّنة بمدى سلاسة ترجمتك، عليك أن تدع جانبا النص في (ل.ص)، وتشرع في قراءة النص المترجم بلغة (ل.م)، كما لو كان هو النص الأصلي لا النص المترجم. ويجب ألاَّ يغرب عن بالك أبداً أن المستوى التطبيعي يعني بالأساس الاستعمال الطبيعي للغة في (ل.م) من حيث التراكيب والمعاني، كلا حسب سياقه واستعمالاته المتعددة، سواء كان في لغة الصحافة أو السياسة، أو الاقتصاد، أو الآداب أو العلوم. ويجب أن تسأل نفسك دوماً هل تعتقد أن هذا هو المعنى الدارج والاستعمال الشائع في هذه الجملة أو تلك الصحيفة أو ذلك المرجع الطبي أو تلك الموسوعة العلمية أو في كتابة الأطفال؟.

وكي تتأكد بشكل دقيق بأنك قد حققت المستوى الطبيعي للنص المترجم، عليك أن تقارن أسلوب ترجمتك بأساليب نصوص تتطرق إلى الموضوع المترجم نفسه، وعليك أن تتذكر دوماً أن «التطبيع» ليس أمراً تكتسبه بالغريزة، بل عليك أن تعمل بدأب وعهد لكي تحققه. إنه هدف يجب أن تصبو إلى تحقيقه بالمتابعة المتواصلة والقراءة المثابرة، حيث إن التطبيع يعتمد أساساً على العلاقة بين الكاتب والقارىء المستقبل والسياق العام، حيث إن ما هو طبيعي في سياق ما قد يكون نشازاً وغير مألوفٍ في سياق آخر. وما إن تأتي على عملية الصقل والسبك باحتراس ودقة وتؤدة، عليك أن تعود ثانية إلى النص الأصلي، وقارنه بترجمتك لغرض تقريب الأسلوبين، أو العمل بمقتضى الواجب المناط بك اعتماداً على طبيعة النص المترجم وأسلوبه، والمستوى الثقافي والاجتماعي، وعمر القارىء المترجم له وجنسه. ولا تنسى أن المهمة الأساسية للترجمة تتركز حول وظيفة النص قيد الترجمة. وكي تحدد طبيعة تلك الوظيفة، قد يكون مفيداً أن تطرح على نفسك الأسئلة التالية: ما الفائدة والجدوى من التقنيات اللسانية الموظفة وأهمية المحافظة عليها من عدمه؟ ما المستوى الثقافي والنوعي للقراء الذين يترجم إليهم؟ وما أهمية المعايير اللسانية والأسلوب المستخدمة في (ل.ص) وإمكانية المحافظة عليها أم التضحية بها في (ل.م)؟.

ولعلَّ من نافلة القول التأكيد بأن الخطوط العريضة والتوجيهات السالفة لا تستطيع أن تجعل من المترجم السيء مترجماً جيداً، ولا تستطيع أن تجعل دارس الترجمة ذكياً لامعاً وحساساً، وهي صفات ملازمة للمترجم. وفي الحقيقة إذا كانت للإنسان حساسية للغة عامة وكذلك حساسيته للغته الأم، وإذا كان يبحث عن الحقيقة بقدر ما يبحث عن دقة الكلمة، عندئذ لن يحتاج إلى نظرية الترجمة، تماماً مثل الممثل الذي يدرك فنه ولا يحتاج إلى تدريب عليه. فالترجمة فن بقدر ما هي مهارة وعلم، ولا تستطيع نظرية الترجمة أن تعلم إنساناً كيف يكتب جيداً، ولكنها تستطيع أن تفضح الكتابة الرديئة تماماً كما تفعل الترجمة، ذلك لأن الأخيرة حرفة تتطلب مهارة متمرسة، ومعلومات خصبة ومتجددة في اللغتين (ل.ص) و (ل.م) وما وراءها، وحظاً وافراً من الخيال إضافة إلى الذكاء اللامع، ومن ثم، وفوق كل هذا وذاك، الذوق الرفيع والإحساس المرهف.

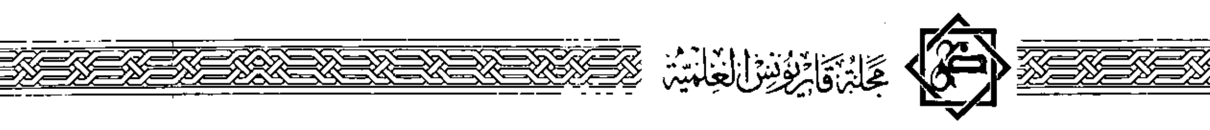
References:

Newmarle, P. 1982. Approaches to Translation, Program press,. PP. 19-38.
1988. A Text Book of Translation, Prentice Hall Ltd. PP. 181-192.

Nida. E. 1974. The Theory and Practice of Translation, Brill, P. 193.
1964. Toward a. Science of Translation, Brill, PP. 89-103.

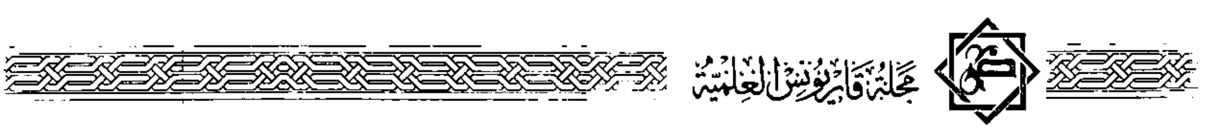
Viggo 11. P. 1988. Essays on Translation, Kobenhauon, PP. 11-30.

ـ مجلة الثقافة العربية ـ بنغازي/ ليبيا الأعداد (4، 5، 6، 7، 8، 9، 10) للسنوات: 90 ـ 91 ـ 92.




تطـور الكتابة ونشر الكتاب في الدولة الإسلامية

أ. أحمد محمد القلال


مجلة قاريونس العلمية

تمهيـــد:

لولا الإحساس بقوة الصلة بين الإنسان وبين ماضيه، لما اهتم مفكر بالبحث المضني وتحمل في سبيله ألواناً من العناء. والماضي الغني بتراثه وقوة تأثيره يشد الباحث إليه ويجعله غارقاً في أكوام الكتب يستخلص من هذا فكرة، ويستلطف من ذاك عبارة، فيربط أحداثاً ويحلل ظواهر، ثم يضيف الجديد، فيصير الجمع كتاباً يفيد أقواماً حاضرة ولاحقة.

والكتاب لؤلؤة ثمينة لا يعرف قيمتها إلا من جاهد بالغوص في أعماق بحارها، وأدرك مردودها لبناء فكر إنساني نير في مجتمع بشري متطلع طموح. وقياساً على ذلك ومع اختلاف شكل الكتاب وتنوع مضمونه يظل سيد الموقف وقاعدة المعارف وركيزة كل حوار بين الثقافات. كما يظل عنصراً حضارياً حياً متجدداً مع كل العصور.

إذن حرى بنا أن نوجز التطورات التي حلت بالكتاب الإسلامي ومواده منذ نشأته في صدر الإسلام.

أصل الخط العربي:

قال هشام الكلبي: إن أول من وضع الكتابة قوم من العرب العاربة، أسماؤهم: أبو جـاد، هواز كلمون، صعفص، قريسات. وقد وضعوها على أسمائهم. فلما وجدوا حروفاً غير أسمائهم أضافوها وأطلقوا عليها الروافد[1].

(1) ابن النديم: الفهرست ص 12 ـ 13.

ويقال: إن الله تعالى أنطق إسماعيل عليه السلام بالعربية المبينة. فصارت من بعده كلاماً بلغة حمير وجديس وحويل، وهؤلاء هم العرب العاربة. فأخذ أولاد إسماعيل يشتقون الكلام ويضعون للأشياء أسماء حسب حدوثها. ولما اتسع الكلام ظهر الشعر الفصيح في العدنانية. ولكن الصقل والتوسيع كان على يد أهل الأنبار، حيث يقال إنهم وضعوا الحروف[1]. غير أن أقوالاً كثيرة وردت في هذا الشأن، ولكل منها قول يختلف عن الآخر.

على أن الدراسات المقارنة رجحت أن الخط العربي اشتق من الخط الآرامي الذي طور وأصبح يعرف مع مرور الزمن بالخط النبطي. فقد أحس الأنباط بضرورة الكتابة لحاجتهم إليها في أعمال التجارة، وهم يتكلمون لهجة من لهجات العرب، فكتبوا بالحروف الآرامية، ولما أمعنوا في الحضارة طوروا الخط الآرامي واشتقوا منه الخط النبطي. وهذا الأخير مضى بسرعة نحو التقدم، وأخذ يبتعد شيئاً فشيئاً إلى أن صارت له صفاته الخاصة، وأصبح يعرف بالكتابة العربية في الجاهلية.

ولا غرابة في تطور الخط الآرمي، فقد كان الاتصال مباشراً بين القبائل العربية في كثير من الأمور كما في اللغة والمعتقدات مما رفع الحرج عند الاقتباس. وقد أكد ذلك ما قام به العلماء باستقراء عدد من النقوش عثر عليها في مناطق بشرقي الأردن وقرب دمشق وجنوب شرقي حلب. وهي نقوش قديمة منذ عصور ما قبل الإسلام.

والخط العربي قبل الإسلام وبعده لفترة من الزمن كان خالياً من الإعجام والحركات، غير أن أبا الأسود الدؤلي المتوفى سنة 69 هـ قام خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري بوضع الحركات، وكانت نقطاً للإشارة إلى الضم والفتح والكسر. ولكن يحيى بن عمرو ونصر بن عاصم المتوفى سنة 90 هـ، وضعا إعجام الحروف، ثم ظهرت الحاجة إلى التمييز بين نقط الإعجام ونقط الشكل، فقام الخليل بن أحمد الفراهيدي باستبدال نقط الشكل بجرات علوية

(1) الطاهر أحمد مكي: دراسة في مصادر الأدب ص 28.

وسفلية للدلالة على الفتح والكسر... الخ. وبهذا أصبح في الإمكان كتابة الشكل والإعجام بدون صعوبة في القراءة، كما أن لون المداد أصبح واحداً.

أما من حيث أنواع الخط العربي، فقد ذكر د. محمود عباس[1] أن النسخي والكوفي هما من أقدم وأشهر الخطوط، فأولهما عرف في حوران أثناء رحلات العرب إلى الشام، وثانيهما تعلمه العرب من العراق قبل الهجرة بقليل. والنمط الكوفي كان يعرف بالخط الحيري نسبة إلى مدينة الحيرة، وهي التي بنى المسلمون مدينة الكوفة بجوارها.

وعلى الرغم من هذا التطوير الجذري في كتابة اللغة العربية، وظهور بعض الخطوط المتمايزة عن بعضها في وقت مبكر، فإن الأمية كانت تضرب أطنابها في الجاهلية، ولكن ذلك لا ينفي وجود عدد من العرب كانوا يعرفون الكتابة، وقد جاء القرآن الكريم مؤكداً على هذا وحاثاً المسلمين على تعلمها ونشرها. ويذكر البلاذري[2] أن الكتابة كانت معروفة في مكة قبل الإسلام، وأنه كان في مكة وحدها سبعة عشر رجلاً يكتبون، وسبعُ نساء يكتبن أو يعرفن القراءة. كما يذكر أنه كان في المدينة عدد آخر.

التـــدويـــن:

ومعرفة الكتابة والتطور الحضاري أديا إلى التدوين، إلا أن ذلكِ اقتصر عند العرب في أول الأمر على الرواية الشفهية والحفظ. ولم يدونوا معارفهم العامة كأيام العرب، والأنساب، ومعظم الشعر. فالتدوين بمعناه الواسع عرفه العرب بعد نزول القرآن الكريم، الذي اقتضت طبيعة واحترام نصوصه أن يدون خشية التحريف. ولذا قامت مع مرور الزمن دراسات واسعة حول القرآن الكريم، ثم ارتبطت بها علوم لغوية وأدبية وتاريخية، مع إضافة الكثير من فروع المعرفة الأخرى وخاصة بعد حركة الفتوحات. وبذا تكون رصيد علمي مدون وموثق يضاف

(1) حمودة، محمود عباس: تاريخ الكتاب الإسلامي، ص 93.

(2) البلاذري: فتوح البلدان، ص 580 ـ 583.

إليه كل ما استجد من أحداث وعلوم إلى أن وجده الخلف تراثاً زاخراً ما زال الباحثون ينهلون من معينه دون أن ينضب.

مواد وأدوات الكتابة:

الأقلام: قيل إن القلم سمي باسمه هذا لاستقامته كما سميت القداح قبل أن تطلق أقلاماً. وقيل: مأخوذ من القُلام وهو شجر رخو. كما قيل: إنه سمي بذلك لتقليم رأسه أو بريه كما يقلم الظفر[1].

وكانت الأقلام العربية تصنع من السعف أو الغاب أو القصب. ولكن أشهر أنواع الأقلام هي تلك التي ابتدعها الكاتب والخطاط «قطبة المحرر»، الذي قال فيه ابن النديم إنه أكتب الناس بالعربية وكان كاتب المصاحف للأمويين. أما الأقلام التي ابتدعها فهي: الطومار، الجليل، الثلث، النصف. وأشهر الأقلام: الطومار. وقد سمي بذلك نسبة لنوع من الورق. فقال القلقشندي: فلا يكتب بالطومار إلا بقلم الطومار.

وقدرت مساحة قلم الطومار بـ 24 شعرة من شعر البرذون، والبرذون دابة تشبه الفرس. وهو قلم مبسوط يشق ثلاثة شقوق يتوزع منها المداد على الرق بسهولة. وبعد ذلك أخذت الأقلام كلها من المبسوط والمستدير نسباً مختلفة. فمثلاً قلم الثلث هو ثماني شعرات أي ثلث الطومار.

وقد قيل الكثير في القلم باعتباره الأداة الوحيدة للكتابة. ومنها قول ابن المقفع، القلم بريد القلوب يخبر بالخبر وينظر بلا نظر. وقول عمر بن مسعدة، الأقلام مطايا الفطن. وقال الجاحظ، الدواة منهل والقلم ماتح.

وكان العرب قبل الإسلام ولفترة زمنية بعد انبلاج فجره، يكتبون على أكتاف الإبل وعلى اللخاف وهي حجارة رقيقة بيضاء، وعلى العسب والرق والمهارق وهي قماش من الحرير. أما الكتابة على البردى والورق فقد انتشر استعمالهما بعد

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 2 ص 434.

بدء الفتوحات الإسلامية. غير أن كل هذه الأشياء تعتبر مرحلة سابقة لنشأة المخطوط العربي، حيث كان في أول عهده يكتب على الرق وغيره. فالقرآن الكريم كتب بعد جمعه على الرق. واتخذ شكل المصحف اشتقاقاً من «الصحف»، وبذا يعتبر أول كتاب عربي نشر حسب مفهوم النشر الحديث.

مـــدارس الخـــط:

بقي الخط العربي على حالته القديمة دون تطوير يذكر، إلى أن قامت دولة بني أمية، فبدأ فن تصنيف الحروف ورسمها يرتقى تدريجياً. وبدأ الاهتمام به والإبداع فيه يظهر جلياً. وفي عهد العباسيين كثر المشتغلون به، وتقدمت فنونه بفضل جهود الكتاب والنساخين في تجويد الخط، ووضع القوانين لضبط الحروف وأشكالها. ومن ثم ظهرت مدارس حمل لواءها أصحابها وهم كثر. ويذكر المؤرخون أن هندسة الحروف وتجويدها تنسب إلى رجلين من أهل الشام هما: الضحاك بن عجلان وإسحق بن حماد. الأول في خلافة السفاح والثاني في خلافتي المنصور والمهدي. ثم تلاهما ابن مقلة ثم ابن البواب وياقوت المستعصي وابن الجوهري وغيرهم.

وأبرز هؤلاء ابن مقلة الذي ظهرت له مدرسة متميزة في هذا الشأن، فهو الذي واصل الجهد في تطوير هندسة الحروف، وأجاد تحريرها بالحذف والإضافة والتدقيق. وحدد كيفية مسك القلم بين أصابع اليد، ودرجة الميول والسقوط، وحدد شكل وتركيب كل حرف وزواياه، وميوله وانبساطه، كما طور شكل النقط ومواقعها. وعنه انتشر الخط العربي في مختلف أرجاء العالم الإسلامي. واستمر الخط العربي يترقى حتى بلغ الذروة على يد ابن البواب المتوفى سنة 423 هـ. فهو الذي هذب طريقة ابن مقلة وفتحها، وكساها طلاوة وبهجة كما يقول ابن خلكان[1].

أما الحبر أو المداد فقد كان يصنع في بلاد العرب من العفص والصمغ وهو

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ 3 ص 28.

الحبر المطبوخ أو الحبر الراسي، ويتميز هذا النوع بالبريق والثبات. وكان هناك نوع ثان هو حبر الدخان وهو من مادة السناج، أو من بعض البذور بعد حرقها، على أن تكون فيها نسبة من الدهن، غير أن هذا النوع سريع الزوال بالنسبة للمطبوخ. ولكن أجود المداد ما اتخذ من سخام النفط كما يقول ابن مقلة.

وصناعة المداد الأسود بالإضافة إلى أنها أيسر من صناعة المداد الملون، فهو مفضل بسبب ما يوجد من تضاد بين الحبر الأسود ولون الورق، وهذا يساعد على إظهار الكتابة في أوضح صورة ممكنة كما هو الحال حتى الآن.

أما المداد الملون وخاصة الأحمر وهو الأكثر استعمالاً بعد الأسود، فيلاحظ أنه يستعمل لإبراز بعض العناوين والفقرات وعلامات التنقيط والشكل، أو زخارف للفت الانتباه نحو عبارة أو فقرة معينة. غير أن الألوان الأخرى يندر أن نراها مستعملة لنفس الأغراض.

أما الدواة أو المحبرة فهما بمعنى واحد، وهي الآنية التي يوضع فيها الحبر. وقد فرق القلقشندي بين الدواة والمحبرة، فجعل الأولى أعم من الثانية.

الوراقــة والوراقــون:

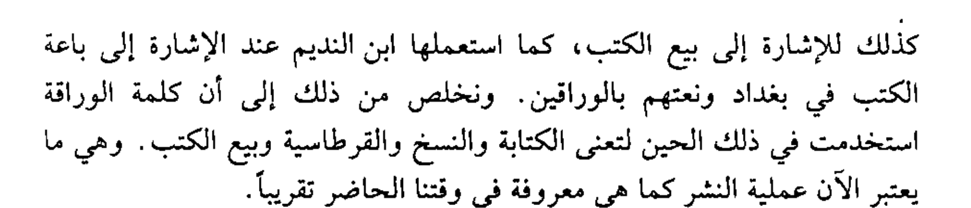
مع انتشار المعرفة بالقراءة والكتابة، نمت حركة التأليف والترجمة. وبمعرفة الورق مستورداً ثم مصنعاً في الحواضر الإسلامية، ظهرت فئة من الناس عرفت في كتب التراث باسم الوراقين، وكان بين هؤلاء عدد كبير من العلماء والأدباء واللغويين وغيرهم.

ويعرف ابن خلدون الوراقة بقوله: هي عملية الانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور المكتبية[1].

أما السمعاني فيعرف الوراق بقوله: من يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها. وقد يقال لمن يبيع الورق ببغداد الوراق أيضاً. وكلمة وراقة استخدمت

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص 962.





كذلك للإشارة إلى بيع الكتب، كما استعملها ابن النديم عند الإشارة إلى باعة الكتب في بغداد ونعتهم بالوراقين. ونخلص من ذلك إلى أن كلمة الوراقة استخدمت في ذلك الحين لتعنى الكتابة والنسخ والقرطاسية وبيع الكتب. وهي ما يعتبر الآن عملية النشر كما هي معروفة في وقتنا الحاضر تقريباً.

ويبدو واضحاً أن حركة التأليف صارت على نطاق واسع خلال القرن الثاني الهجري، أما في القرن الأول فقد كانت محدودة، ومن الطبيعي أن تكون في المجال الديني أولاً، وخاصة في الحديث والتفسير والعبادات، ثم ما لبث المجتمع العربي آنذاك أن أحس بالحاجة إلى التوسع في التدوين، فانتشرت كتب المغازي واللغة والشعر وغيرها.

وأخذت حركة التأليف في الانتشار بعد أن كان مركزها المدينة المنورة، وهي التي أقام فيها معظم الصحابة من الأنصار والمهاجرين، وانطلق منها عصر الاستقرار وتأسيس الدولة الإسلامية. وما إن حل منتصف القرن الثاني الهجري حتى عمّ الكتاب بين الكثير من فئات المجتمع. غير أن هذه الكتب لم يتجاوز كل منها حدود المسألة التي تناقشها، وقلما تتعدى إلى غير ذلك. إن ذلك الكتاب كان بمثابة ملزمة أو فصل من فصول الكتاب المعروف اليوم[1]. واطرد ازدهار حركة التأليف منذ أواخر القرن الثاني والقرنين الثالث والرابع الهجريين حيث بلغت أوجها. وكان ذلك طبيعياً ومتوافقاً مع حركة تطور وازدهار الدولة الإسلامية العظمى.

وإلى جانب نشاط التأليف كانت حركة الترجمة إلى اللغة العربية تشغل حيزاً من النشاط الفكري حينذاك. وبدايتها الفعلية كانت في عصر المأمون، كما هو معروف، حيث ترجمت كتب في الطب والفلسفة والكيمياء والرياضيات. ولكن الجاحظ يحدثنا عن خالد بن يزيد بن معاوية وكيف أنه اشتغل بترجمة الكتب إلى العربية. فكان أول من ترجم كتباً في النجوم والطب والكيمياء[2]. ولا ريب أن

(1) حمودة، عباس محمود: تاريخ الكتاب الإسلامي، ص 117.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين، جـ 1 ص 328.

الترجمة أفادت العرب بما اطلعوا عليه من فكر الحضارات الأخرى التي سبقتهم. وبهذه الحركة استطاعوا أن يقلصوا المسافة الزمنية، ويتعرفوا على الكثير من مكنونات الحياة، وطرق الاستفادة منها ومعالجتها وتطويرها. ومما تقدم يتبين لنا أن التأليف والترجمة كانا يسيران في خطين متوازيين. وأنهما الحافز الأول لانتشار الكتاب.

النسـخ والنساخـون:

ولكن ما المادة العلمية التي يقوم النساخون بنشرها، ويقوم الخطاطون بإظهارها في شكل أنيق جذاب. إن ظهور حلقات الدرس وما تبعهما من مجالس الإملاء في القرن الثاني الهجري، كانت تتحرك في نطاق ضيق، فالعالم المحاضر اعتاد في مجلسه أن يناقش مسألة بعينها وفي حدودها، وأن النساخين ينشرونها وهي لا تتعدى فصلاً من فصول كتاب بمفهومه اليوم، كما سبق أن ذكرنا، ولكن نرى منذ هذه الفترة بداية لتجاوز حركة التأليف حدودها المألوفة، حيث أصبح العالم في مجلسه لا يتقيد بعرض ومناقشة موضوع معين، فقد يتناول أكثر من مجال ويتطرق إلى أكثر من موضوع، وقد لا يكون بينهما صلة موضوعية مباشرة في المجلس الواحد.

وارتبط النساخون ـ وخاصة في بداية الأمر ـ بمجالس الإملاء، وهذه تعتبر المصدر الثاني بعد التأليف، وعبر هذه المجالس أخذت المخطوطات العربية تتدفق ويتلقفها القراء. أما كيف كان ذلك يجري: فيجلس العالم وحوله تلاميذه بأدواتهم من محابر وقراطيس. فيتحدث في موضوع ويأخذ التلاميذ في كتابة ما نطق به، وفي النهاية يصير كتاباً ويسمونه الأمالي مثل: كتاب الأمالي، كتاب أمالي ابن الشجري، وكتاب أمالي اليزيدي. ولقد كان لكل مجلس رواده وتلاميذه حسب المادة العلمية المقدمة. غير أنه ليس كل راغب يمكن أن يتصدى للأمالي. فلا بد أن تكون له القدرة الكافية، ويشهد له الناس بذلك. ومع ازدياد عدد الحاضرين في تلك المجالس لم يعد صوت المحاضر يسمع بوضوح. ولعلاج هذه الحالة ظهرت فئة جديدة عرفت باسم المستملين، وهم الذين يرددون كلمات

المحاضر بصوت جهوري حتى يسمع من في المجلس من الناس. لكن ذلك كان مرحلة، وبعدها لم يعد ما يكتب في مجالس الإملاء يفي بحاجة الأعداد المتزايدة من القراء، وهنا ظهرت فئة أخرى احترفت النسخ وعرفت بالناسخين.

ولقد وصل فن النسخ خلال القرون الهجرية الأولى إلى مراتب عليا من الجودة والإتقان، وصار له شأن كبير مع انتشار وارتفاع مستوى القراءة والكتابة بين الناس، ومع توسع البحث العلمي وحركة الترجمة في الممالك الإسلامية، وعلى الأخص في بغداد ودمشق والأندلس والقاهرة.

وكما هو الحال قبل الإسلام حيث كان لكل شاعر راوية متميز بتخصصه وقدراته الذهنية، فإن كل باحث بارز كان له نساخ. ومن ذلك: ابن سعد صاحب كتاب الطبقات كان هو الناسخ للواقدي. وإسحق بن الحسين الشهير بطبيب بغداد قد عمل نساخاً. والسنداي بن علي كان النساخ للموسيقار الشهير إسحق الموصلي. وأغلب الظن أن هؤلاء وأمثالهم كانوا يجلسون صحبة أهل الفكر، فيأخذ الأخيرون بتملية المعلومات، ويقوم النساخون بتدوينها. وهذا ما كان يجري في مجالس الأمالي، غير أن الفرق في هذه الحالة هو الخصوصية، فقد لا تكون هناك مجالس تجمع بين عدد كبير من المهتمين.

وهناك نوع آخر من النساخين، وهم الذين امتهنوا فن النسخ. واتخذوه مهنة لكسب العيش رغم قلة الكسب منها. وعلى ذكر هذه الفئة يروى عن أبي هفان أنه سأل نساخاً عن حاله فقال له: عيشي أضيق من محبرة، وجسمي أدق من مسطرة، وجاهي أرق من زجاج، وحظي أحقر من شق القلم.

وهؤلاء الناسخون لم يرتبطوا بكاتب معين أو بكتاب محدد، وإنما يقبلون على نسخ الكتاب الرائج المطلوب من قبل فئة من القراء، سواء بالاتفاق المسبق مع طالبه، أو ينسخ ويعرض للبيع لكل راغب.

وكان أبو سعيد الصيرفي المتوفى سنة 363 هـ، الذي كان قاضياً في ضواحي بغداد يعيش على حرفته من النسخ، حيث كان ينسخ يومياً عشرين صفحة قبل وبعد عمله في القضاء، وذلك مقابل عشرة دراهم. كما يذكر أن نصر سليمان بن

قطرميس كان أديباً وفقيهاً لغوياً بارزاً، امتهن نسخ الكتب بعد أن بدد ثروة أبيه التي تركها له. وحدثنا ياقوت عن ابن القطاعي الذي كان محباً للكتب حباً شديداً. وكان يشتريها على حساب قوت أسرته. ولما ضاقت بهم الحال من هذا النهج، صرخت في وجهه زوجته لإغاثة أولاده وإنقاذهم من الهلاك جوعاً. لكنه آثر أن يمتهن النسخ على أن يبيع كتبه أو يتوقف عن الشراء، فأخذ ينسخ منها الواحد تلو الآخر ويبيعها مما جعله يكسب قوت يومه منها.

واشتهر عدد من الناسخين بالسرعة مع إتقان الخط، ومن هؤلاء أحمد بن عبد الدائم المقدسي، وقد كان سريعاً في النسخ حيث كان يمكنه نسخ تسع كراسات (36 صفحة) خلال وقت فراغه اليومي. وقد امتهن حرفته لمدة خمسين سنة تقريباً، وقدر المؤرخون أن ما نسخه خلال هذه المدة يبلغ ألفي كتاب (كراسة)، ومن ضمنها نسخ مرتين تاريخ دمشق، وقد ذكر الصفدي هذه المعلومات. ويقال عن ابن القفطي المتوفى سنة 648 هـ إنه نسخ أربع كراسات في يوم واحد، كما أنه نسخ كتاب «مجمع الأدب في تجميع الأسماء على مجمع الألقاب» في حوالي خمسين مجلداً.

والناسخ الذي كان يلازم مجالس العلماء، ثم الناسخ الذي احترف النسخ، تطور مع مرور الزمن، وأصبح وراقاً. يطلب الإذن من مؤلف لنسخ كتابه، ثم يعرض الكتاب على المهتمين لينسخ لهم مقابل أتعاب يتفق عليها. ثم يقوم بتكليف غيره من النساخ ليعملوا عنده في مكان مخصص مقابل أجر محدد. ثم يقوم ببيع الكتب التي تم نسخها في حانوته أو في سوق الوراقين.

وإذا كان هؤلاء النساخون يعملون كأفراد مستقلين هدفهم الأول كسب العيش من هذه المهنة، فلا بد أن تظهر إلى جانبهم دواوين أو مكتبات تحت إشراف الأمراء وأصحاب السلطة، تعمل على نشر المعرفة بين الناس، وتشجع على الدراسة والبحث والإبداع، وهذا ما حدث فعلاً، فدار الحكمة في بغداد، ومكتبة بني عمار بطرابلس الشام، ومكتبة أبي الفداء حاكم حماه، يضاف إليها ما كان في القاهرة وشيراز والأندلس، كل هذه وجد فيها أعداد كبيرة من الناساخين الأكفاء علمياً والمهرة صناعياً، وقد تفرغوا تحت إشراف الدولة لأعمال النسخ

والأعمال الأخرى المكملة لتجهيز الكتاب. وذلك لإثراء المكتبات في مختلف الأمصار بشتى فروع المعرفة.

أما تلك الحوانيت فلم تكن بمحلات لنسخ وبيع الكتب فحسب، بل كانت مجالس للعلماء والشعراء وملتقى المثقفين أيضاً.

إن عهد الازدهار الفكري قد طور سوق الكتاب، وحوله من سوق تجاري عادي لهذا النوع من البضاعة، إلى ملتقى فكري يقوم بدور علمي ثقافي رائع. فأثناء عرض الكتب للبيع تنطلق المناقشات حول هذا الكتاب أو ذاك عما احتواه من أفكار ربما قابلت هوى في نفوس البعض، أو ظهرت لهم فيها آراء مخالفة، أو نقاط أثارت الجدل. فيطرح كل هذا على الملأ للمناقشة والمناظرة والنقد، سواء بحضور المؤلف أو في غيابه. وكم من حاشية كتاب ظهرت لشرح أو نقد المتن كان بدايتها تلك المنتديات. وكم من كتاب معارض لآخر صدر إثر تلك اللقاءات.

وتوصف بعض محلات الكتب بأن لها دكات يجلس عليها الرواد، وكلما احتدم النقاش حول موضوع أو عرض كتاب نفيس وعلا صوت المنادي لبيعه، ازدحم المحل وزاد التجمع حتى تتكون تجمعات أخرى في الساحة، تشرئب برؤوسها وتلوح بأيديها، لنيل فرصة للمزايدة والمناقشة.

والجلوس في هذه المحال شيء مستحب لدى الناس، وهذا خلاف الجلوس في أي محل آخر. ولقد أورد المقريزي قطعاً شعرية عبرت عن ذلك. ولقد اشتهر صاحب محل لبيع الكتب يسمى سعد وهو أديب و شاعر، حيث عرف محله بالازدحام بتلاميذ وطلاب العلم، كما يحكى عن ذلك الكفيف اللغوي الشهير بأبي الغانم حبش، الذي اعتاد الذهاب إلى سوق الكتاب يومياً لمدة عشرين عاماً، وقد عرف بمشاركاته في المناقشات والمناظرات، كما عرف خبيراً في الكتب. وقد كتب ابن الجوزي حول سوق الكتاب في بغداد، وذكر إنه منتجع لطلاب العلم والعلماء والشعراء، كما تحدث عن سوق الكتاب في القاهرة خلال القرن الثامن الهجري بنفس الصفة.

ونخلص مما تقدم أن سوق الكتاب مدرسة علمية حملت لواء نشر المعرفة بين الناس. وأنه ملتقى علمي عقدت فيه الندوات الأدبية والشعرية، وقد نجم عنه إنتاج فكري ضخم كون ركناً عتيداً في بناء الحضارة الإسلامية الشامخة. وما هذا بالأمر الهين في مجتمع ذلك الوقت، لولا أن الحضارة الإسلامية كانت من فيض القرآن الكريم الذي يحث على تحصيل العلم ونشر المعرفة، وقد جعل للعلماء مكانة عالية، وللمعلمين أجراً كبيراً. وأعتقد أنه لا توجد أمة حتى ذلك الوقت قد اهتمت بكتابة ونسخ وجمع أفكارها في تلك المجموعات الهائلة من الكتب، كما فعلت الحضارة الإسلامية في جميع البلدان.

وإذا أردت أن تقيم دور الوراقة والوراقين في الحضارة الإسلامية بين الحضارات الأخرى، عليك أن تنظر إلى تلك المكتبات الخاصة والعامة، التي انتشرت في جميع أنحاء العالم الإسلامي، إلى ما فيها من كتب مخطوطة تعد بمئات الآلاف، في وقت يخلو من أي تقنية اللهم إلا يد الإنسان المجردة والأساليب البدائية من قلم ومحبرة وقرطاس.

وعلى الرغم من أن الكثير من تلك النفائس قد ضاع بفعل الزمن وتقلب الأحوال، مثل ما فعل التتار من رمى في النهر والبحر، وما التهمته نيرانهم، وما تلاه من حروب صليبية وطائفية، فما زالت مجموعات الدارسين والباحثين والمحققين ينهلون من معينها الفياض، كما أن تروس المطابع تنتج يوماً بعد آخر كتاباً أو كتباً من هذا التراث المجيد.

فـن التجليد والزخرفة:

التجليد هو الوعاء النهائي لحفظ المادة العلمية وجمعها وتكامل وحدتها. وقد عرف العرب فن التجليد عن طريق الأحباش[1]، ولكن سرعان ما قاموا بتطوير هذا الفن. فكانت أوراق المخطوطات تجمع في البداية بين لوحين من الخشب بينهما كعب من الجلد. ثم أضيفت على الخشب كسوة من الرق أو القماش. ولكن الكتاب ظل ثقيل الوزن. وفي أواخر القرن الهجري الثاني شاع استعمال

(1) رسائل الجاحظ، جـ 1 ص 202.

الجلد بفنون مختلفة مع التخلي عن استعمال الخشب. وبذا أصبح الجلد هو المادة الرئيسة في تجليد الكتب. ويقول الأستاذ عباس حمودة[2]: إن المسلمين خلال العصور المتأخرة عن صدر الإسلام، استخدموا الورق المضغوط المدهون بطبقة لاصقة، ثم تقدموا في بعض الأمصار وعرفوا طريقة الدق، كما استخدموا التخريم والدهان والتلبيس بالقماش، وكانوا أحياناً يقطعون الجلد بالرسم والزخارف التي يريدونها ثم يلصقونها على الأرضية الملونة، وهي عملية تحتاج إلى غاية المهارة والدقة.

ويتطور هذا الفن على يد الفنانين الإسلاميين، فلم يتوقف عند إتقان عملية التجليد وتنعيم الجلد وتعدد الألوان وانسجامها، بل وصل تطعيم أغلفة الكتب بالذهب في شكل رسومات وزخارف، وإلى استعمال الديباج والحرير الذي ظهر في كتب أصحاب الحلاج وغيرها.

ولقد كان لهذا الفن مشاهير عرفوا برفعة الذوق وإتقان الصنعة. وكان من أبرزهم أبو عبيدة الذي ذكره السيوطي بأنه خبير في فن التذهيب. كما أن[3] ابن النديم ذكر سبعة من مشاهير المجلدين وعلى رأسهم ابن الهرش، الذي كان يجلد في خزانة دار الحكمة للمأمون. غير أن الفنانين المسلمين تجنبوا رسم ما يوصف بالحياة، واعتمدوا على رسم الجماد محافظة على عدم المساس بمشاعر الناس. ولكن مع مرور الزمن ظهرت رسومات مختلفة، وأكثرها على المخطوطات الفارسية. أما في غير الرسوم، فقد استفاد العرب كثيراً من طبيعة الحروف العربية، التي لم تلبث أن تصدرت الفنون الإسلامية في زخرفة الكتاب وغيره.

بقيت من شؤون المخطوط العربي جوانب عديدة منها، تذهيب الصفحات، بداية المخطوط ونهايته، التصويب والإضافات، التسطير، الصور، والخرائط، وغير ذلك من الجوانب الهامة في صناعة الكتاب الإسلامي. غير أننا فضلنا الاكتفاء هذه المرة بما قدمناه.

---

(2) حمودة، عباس محمود: تاريخ الكتاب الإسلامي، ص 207 ـ 208.

(3) ابن النديم: الفهرس، ص 14.

المـراجــع

1 ــ القلقشندي، أبو العباس أحمد: صبح الأعشى، جـ 2 ص 434.
2 ــ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين: وفيات الأعيان، جـ 3 ص 28، تحقيق محمد محـي الدين عبد الحميد. مكتبة النهضة المصرية. 1948.
3 ــ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، جـ 1 ص 328، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1961.
4 ــ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، جـ 1 ص 202.
5 ــ البلاذري، أحمد بن يحيـى بن جابر، فتوح البلدان، ص 580 ـ 583.
6 ــ ابن النديم، محمد بن إسحق: الفهرست، ص 12، 13، 14، مكتبة الاستقامة، القاهرة، 1919.
7 ــ حمودة، محمود عباس: تاريخ الكتاب الإسلامي، ص 93، 117، 207، 208، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1979.
8 ــ مكي، أحمد الطاهر: دراسة في مصادر الأدب، ص 28.
9 ــ إسماعيل، عز الدين: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.
10 ــ وول، ديوزانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدر، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1949.
11 ــ المنجد، صلاح الدين: دراسات في الخط العربي، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1972.
12 ــ ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، ص 962.



13 ــ الحلوجي، عبد الستار: المخطوط العربي، مكتبة مصباح ـ المملكة العربية السعودية، 1989.

14 ــ Akhtat, Qozi Ahmed Miami, The Art of Waragat. Islamic Culture Vol. 9 1935.

15 ــ Pinto, Algo the Libraries of the Arab During the time of the Abbasidies, Islamic Culture, vol. 3, 1929.

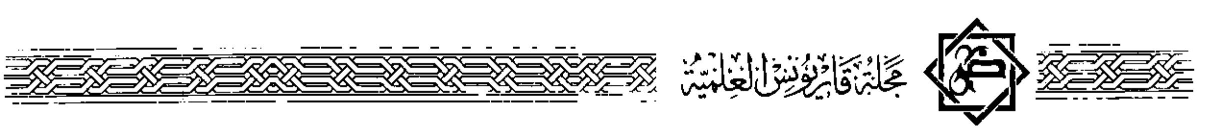

مجلة قاريونس العلمية

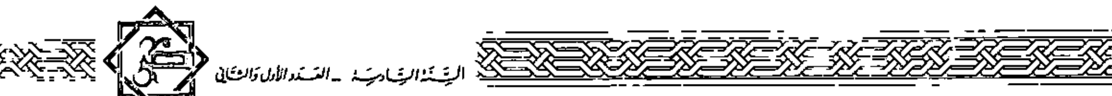
نباتية المعري بين الزهد والتكفير

د. الطاهر خليفة القراضي

قسم اللغة العربية ـ جامعة السابع من أبريل

ص.ب. 16418 ـ الزاوية ـ ليبيا


مجلة قاريونس العلمية



إن «لزوم ما لا يلزم» ليس فقط عنواناً لديوان المعري المعروف بلزوم ما لا يلزم أو اللزوميات بل إنه كان منهجاً لحياة المعري كلها[1]. فقد التزم بما لا يلزم فلم يتزوج مطلقاً. ولم يفارق الصوم إلا في العيدين منذ أن كان عمره ثلاثين عاماً[2]، والتزم بعدم الخروج من منزله لمدة نصف قرن تقريباً[3]، والتزم بعدم أكل الحيوان وما يخرج منه كالحليب والبيض والعسل لمدة خمسة وأربعين عاماً. كما أنه التزم ما لا يلزم في كل تآليفه الشعرية والنثرية التي ألفها ـ أو أملاها ـ بعد قراره الالتزام بهذا المبدأ، عندما رجع من بغداد إلى المعرفة عام 400 هـ/ 1009 م. فلزوم ما لا يلزم صار مذهباً خاصاً في حياة المعري العلمية وفي كل تآليفه منذ عام 400 هـ حتى وفاته عام 449 هـ. والذي يهمنا هنا هو نباتية المعري والتزامه بعدم أكل الحيوان وما ينتج منه. فلماذا أصبح نباتياً؟ إجابة عن هذا السؤال، يقول المعري: «... إن المتدينين لم يزالوا يتركون ما هو لهم حلال مطلق»[4]. و: «... مما حثني على ترك أكل الحيوان أن الذي لي في السنة نيف وعشرون ديناراً، فإذا أخذ خادمي ما يجب بقي لي ما لا يعجب،

(1) طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، ط. 9 دار المعارف/ مصر 1987 م، ص 186.

(2) انظر رسالة المعري إلى داعي الدعاة (في معجم الأدباء، ياقوت الحموي ط. 3 دار الفكر/ مصر 1980 م، مجلد 2 جزء 3 ص 186).

(3) لم يغادر بيته طوال هذه المدة إلا مرة واحدة أمام إلحاح أهل المعرة، عندما حاصرها صالح بن مرداس فخرج له المعري ورده عنها.

(4) ياقوت، معجم، ص 196.

فاقتصرت على فول وبلسن وما لا يعذب على الألسن»[5]. و: «. . . أي ذنب لمن تخرج عن ذبح السليل، ولم يرغب في استعمال اللبن ولا يزعم أنه محرم، وإنما تركه اجتهاداً في التعبد ورحمة للمذبوح؛ رغبة أن يجازي عن ذلك بغفران خالق السموات والأرض؟»[6].

فمن كلام المعري نفهم أنه أصبح نباتياً لعدة أسباب أهمها:

أولاً: الاقتداء بالمتدينين من الرسل والأنبياء والخلفاء والصحابة والتابعين، الذين كانوا يتركون الحلال ويتنازلون عنه تقرباً لله جل شأنه. وقد أورد المعري أدلة كثيرة تثبت أن أوائل المسلمين كانوا يزهدون في ما هو حلال مطلق.

ثانياً: دخل المعري كان محدوداً جداً، فلم يكن من ذوي الأحوال الميسورة في الدنيا، وكان لا بد له من خادم يخدمه ويقوم بمساعدته، فإذا أعطى الخادم شيئاً من دخله ـ المحدود ـ لم يبق له ما يمكن معه أن يأكل اللحم وما ينتج من الحيوان، فاكتفى بما تنبته الأرض من النباتات.

ثالثاً: حرمان المعري من نعمة البصر جعله رقيق القلب، رؤوفاً رحيماً بالحيوانات، فامتنع عن ذبحها وأكل لحومها وما يستخرج منها مع علمه بأن ذلك ليس حراماً. ومن المعروف في الإسلام أن الإنسان الزاهد هو الذي يستطيع أن يزهد في ما يحبه من الحلال المباح؛ لأن الامتناع عن الحرام الصراح واجب على كل مسلم ومطلوب من كل مسلم، فليس من امتنع عن الحرام زاهداً، بل الزاهد هو الذي ترك الحلال المباح المحبب إليه. فالمعري زهد في أكل الحيوان وهو حلال، وهذا هو الزهد في الإسلام.

قال أحد تلاميذ المعري يرثي أستاذه:

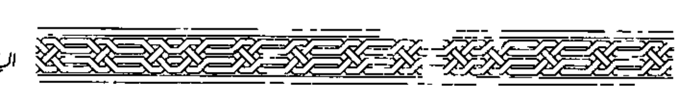
إن كنت لم ترق الدماء زهادة   فلقد أرقت اليوم من جفني دما[7]

---

(5) السابق، ص 189.

(6) السابق، ص 196 ـ 197.

(7) البيت الأول من قصيدة نظمها أبو الحسن علي بن همام تلميذ المعري (انظر طه حسين، تجديد، ص 176).



فمع أن المعري امتنع من أكل الحيوان وزهد فيه، وهو يعلم أنه حلال مباح ولم يزعم أنه حرام، فإن زهده أخذ سلاحاً ضده. فكيف يكون الزهد سلاحاً ضد صاحبه؟.

يحدثنا الأستاذ علي سامي النشار، في كتابه نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، أن المسلمين منذ أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان كانوا يغمزون في عقيدة من كان معروفاً بنباتيته، فينسبونه إلى البرهمية الهندية وهي فلسفة تنكر النبوءات والرسالات السماوية، ولا ترى ضرورة أو حاجة إلى الكتب والأديان[8]. فالنباتية ـ إذاً ـ كانت تهمة قاتلة لارتباطها بالبرهمية التي تجحد الرسل والرسالات. ومن هذا المنطلق أخذ أعداء المعري يلوحون ببرهميته من خلال نباتيته. فمن هم أعداء المعري الذين حاولوا نسبته للبرهمية؟ لقد كان للمعري أعداء كثيرون، وكان ألدهم الشيعة الإسماعيلية التي أسست الدولة الفاطمية بمصر. والسبب في ذلك العداء أن المعري كان يمقت الشيعة بوجه عام، ويمقت الإسماعيلية بوجه خاص. فلقد أنكر المعري أصلاً من أصول الشيعة وهو إيمانهم بالمهدي المنتظر حيث قال:

يرتجى الناس أن يقوم أمام ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا إمام سوى العقـ ـل، مشيراً في صبحه والمساء[9]

فالإمام المنتظر ـ في نظر المعري ـ فكرة لا يدعمها دليل من النقل الصحيح الثابت، ولا يؤدها العقل السديد الراجح. مضافاً إلى ذلك أن المعري قد هاجم الشيعة كثيراً في رسالة الغفران، وهاجم المتاجرين بالدين مثل داعي الدعاة الفاطمي (الذي سيأتي ذكره)، كما كان صديقاً حميماً للوزير أبي القاسم المغربي، الذي قاد ثورة عارمة ضد الدولة الفاطمية[10].

---

(8) النشار نشأة الفكر الفلسفي، دار المعارف/مصر 1977 ـ 1978، جزء 3 ص 132.

(9) أبو العلاء المعري لزوم ما لا يلزم، تحقيق إبراهيم الأنباري، ط. 2، دار الكتاب المصري/مصر 1982، جزء 1 ص 177 ـ 178.

(10) أبو العلاء المعري رسائل أبي العلاء، تحقيق إحسان عباس، دار الشروق، بيروت 1982، ص 87 =

ولما كان للمعري تلاميذ ومريدون، فإنهم لا بد أن يكونوا قد تأثروا بأفكاره المناوئة والمناهضة للشيعة عموماً والإسماعيلية خصوصاً. وتحسباً من خطر المعري الداهم، فإن الدولة الفاطمية حاولت جاهدة استقطابه محاولة بذلك كسبه إلى جانبها ولو بالإقلاع والسكوت عن مهاجمتها. ولكن سائلاً قد يسأل: ما الصلة بين المعري ـ وهو رهين المحبسين في معرة النعمان ـ والدولة الفاطمية بمصر؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا بد لنا من نبذة تاريخية توضح العلاقة بين المعرة والقاهرة: تقع المعرة على مسافة أربعين ميلاً تقريباً جنوب شرق العاصمة الحمدانية حلب، التي كانت مسرحاً للصراع بين العرب والروم لعدة سنوات، ثم أصبحت مسرحاً للحروب والمنازعات بين الدولتين العباسية في بغداد والفاطمية في القاهرة، وحيث إن المعرة من المدن المجاورة لحلب، فإنها تابعة سياسياً للحكومة في حلب. فلقد كانت حلب أيام طفولة المعري تحت إمرة الأمير سيف الدولة الحمداني وقد بلغت أوج عظمتها في عهده. وما إن كبر المعري حتى أصبحت الدولة الحمدانية تضمحل على يد خلفاء سيف الدولة، وأصبح المد الشيعي يتوغل في سوريا ليبسط سلطانه ونفوذه على مدينة حلب، ففي سنة 394 هـ/ 1003 م استطاع الفاطميون السيطرة على حلب والمدن المجاورة ـ ومنها المعرة ـ واستمر سلطان الفاطميين عليها لمدة عشرين سنة تقريباً، وفي سنة 414 هـ/ 1023 م تمكن صالح بن مرداس ـ بمساعدة الحلبيين ـ من الاستيلاء على حلب وضواحيها؛ ليؤسس الدولة المرداسية التي استمرت من 414 إلى 472 هـ/ 1023 ـ 1079 م. ولكنها لم تكن قادرة على مجابهة الفاطميين الذين استطاعوا خلال هذه الفترة أن يستولوا على السلطة في حلب مرتين.

فهكذا كانت المعرة ـ بتبعيتها لحلب ـ تتأرجح بين بغداد والقاهرة ـ أو قل بين العباسيين والفاطميين ـ ومن ثم فإن الفاطميين رأوا أن من حقهم ـ أو من واجبهم ـ إخماد جذوة المعري المتأججة ضدهم، فعرض عليه الخليفة الفاطمي

= وكذلك انظر:

Marglioutb, D.S. ed., trans., and comp the Letters of Abu'l Ala' of Ma arrat al-Nu man.

Oxford, England, Clarenton Press, 1898, PP. XX, XXV .



المستنصر بالله أن يضع بيت المال بالمعرة تحت تصرفه، ولكن المعري رفض ذلك بإصرار[11]. فعرضوا عليه رئاسة مكتبة دار العلم بالقاهرة، فرفض هذا العرض أيضاً وآثر أن يلازم فقره[12].

وحيث لم يكن للإغراء جدوى فإن الفاطميين التجأوا إلى إسكات المعري بوسيلة أخرى، وهي استخدام نباتيته سلاحاً ضده لإظهاره لعامة الناس بأنه برهمي. وهذه الوسيلة من تدبير داعي الدعاة الفاطمي. وقبل أن ننظر في هذا الاتهام وأثره على عقيدة المعري، يحسن بنا أن نتعرف على داعي الدعاة:

إنه المؤيد في الدين أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران الشيرازي. كان ـ مثل أبيه ـ قد تقلد مناصب رفيعة في الدولة الفاطمية والتبشير لها ضد الدولة العباسية، وأصبح رئيساً للمبشرين بالمذهب الشيعي الإسماعيلي في شيراز. ثم انضم إلى ثورة البساسيري ضد الخليفة العباسي، واستطاع بعد ذلك أن يقنع أمير حلب ـ معز الدولة ـ فحوله إلى المذهب الشيعي الفاطمي. وقد كان هذا أكبر إنجاز حققه الفاطميون في حلب، وبه تحصل أبو نصر على لقب «راعي الدعاة»[13]. ونظراً لطموحه في الحصول على أكبر من هذه الرتبة، فإنه رحل إلى القاهرة عاصمة الفاطميين، واستمر في إخماد الأصوات المضادة والمعارضة للدولة الفاطمية.

وقد رأينا منذ قليل أن المعري كان معارضاً للشيعة وها قد عرفنا أن داعي الدعاة هو حامي حمى الشيعة الإسماعيلية. ونظراً لمركز الداعي لدى الدولة الفاطمية، فإنه أصبح لزماً عليه أن يأخذ على عاتقه مسؤولية الخلاص من المعري وخطره الماحق. فلنستمع إلى الداعي وهو يقول: «قد انتهى إليكم خبر الضرير الذي نبغ بمعرة النعمان، وما كان يعزى إليه من الكفر والطغيان، على كون الرجل

---

(11) كمال الدين ابن النديم «الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري» (في تعريف القدماء بأبي العلاء جمع وتصنيف لجنة ـ بإشراف طه حسين، دار الكتب المصرية/ مصر 1944، ص 565و 578).

(12) السابق، ص 577.

(13) المعري، رسائل تحقيق إحسان عباس، ص 83 ـ 84.

متقشفاً وعن كثير من المآكل متعففاً. وقد كان خبره يتوصل إلى كل صقع بما يحرك النفوس للفتك به حمية بزعمهم للدين، وغيرة على الإسلام والمسلمين. . . إن الغيرة تبيح قتله، وإنه متى بسطت له اليد على هذا السبيل اكتسب من الذكر الجميل والثناء بعد الموت ما لا حاجة بنا إليه، بل الواجب أن يجرد له من يهتك بالمناظرة والمحاجة ستره، ويكشف للناس عواره لينقص في عيونهم، وينحط من درجته من بين ظهرانيهم»[14].

ولقد كان كلام الداعي هذا تصريحاً سرياً جداً، ولم يكن الداعي لينشره بل كان من ضمن محاضراته التي كان يلقيها في مجالس دعاة الدولة الفاطمية بالقاهرة، وكان يلقيها باسم الخليفة الفاطمي. ومن هذا يتضح أن هدف الداعي ـ والدولة الفاطمية ـ هو القضاء على شعبية المعري وذلك من خلال إظهاره كافراً. ونظراً لخبرة الداعي وحنكته فإنه آثر القضاء على المعري بالمناظرة والمجادلة؛ لإظهاره خارجاً عن الدين بامتناعه عن أكل الحيوان والتزامه بالنباتية، لأن الامتناع عن الحلال ـ في نظر الداعي ـ معارضة لحكمة الخالق.

ذهب الداعي إلى حلب عام 449 هـ، وأرسل إلى المعري من هناك أولى رسائله، وقد جاء فيها ما معناه أن الامتناع عن أكل اللحم وسفك دماء الحيوان اعتراض على إرادة الخالق وحكمته؛ لأن الحيوان لو لم يكن مسخراً للإنسان لأصبح خلقه باطلاً لا معنى له، وحيث إن الله لا يخلق الباطل، فإنني أطلب منك الحجة والبرهان على حقك في عدم أكل الحيوان[15]. ورداً على هذه الرسالة كتب المعري ما ملخصه أنه كان رؤوفاً بالحيوان، وأنه كان يظن أن اقتناعه بالنبات يثبت له جميل العافية، وأنه كان فقيراً وليس في مقدوره ـ مالياً ـ أن يأكل اللحم، فاقتصر على ما تنبته الأرض[16]. وعلى رسالة المعري أجاب الداعي بأن عرض

---

(14) المؤيد في الدين هبة الله (داعي الدعاة) المجالس المؤيدية، جمع وتنصيف حاتم بن إبراهيم الحميدي (انظر تعريف القدماء بأبي العلاء، ص 387 ـ 388).

(15) انظر الرسالة في معجم ياقوت، ص 176 ـ 181.

(16) السابق، ص 181 ـ 189.

عليه جزيل العطاء ووافر النعم، ثم طلب منه أن يحضر إلى حلب ليعرف منه سبب امتناعه عن أكل اللحم[17].

ومن هذا العرض فهم المعري مما يرمي إليه الداعي، فرد عليه بما يفيد امتناعه الشديد عن قبول العطايا، واعتذر عن المجيء إلى الداعي في حلب. وقال بأن الزهد هو أن يترك الإنسان ما يجب، وضرب على ذلك أمثلة توضح أن النبي ﷺ والخلفاء والصحابة والمجتهدين من الأئمة كانوا يحبسون أنفسهم عن الشهوات، وكانوا يتنازلون عن حقهم الشرعي ابتغاء مرضاة الله وغفرانه، ثم قال: «. . . وأما ما ذكره [الداعي] من المكاتبة في توسيع الرزق عليّ فيدل على إفضال ورثه عن أب فأب، وجد في أثر جد، حتى يصل النسب إلى التراب. فالعبد الضعيف العاجز ما له رغبة في التوسع ومعاودة الأطعمة. وتركها صار له طبعاً ثانياً، وأنه ما أكل شيئاً من حيوان خمساً وأربعين سنة[18].

وعندما تيقن الداعي بأن المعري لن تجدي معه المجادلة والمناظرة، فإنه أرسل إليه رسالة جاء فيها: «. . . فأنا أعتذر عن سر له ـ أدام الله حراسته ـ أذعته[19]، ولم يرد المعري عن هذه الرسالة لأنه مات قبل وصولها إليه، أو أنها وصلت إليه قبل موته مباشرة.

وهكذا يتضح أن الداعي استطاع أن ينفذ المخطط الذي كان يرمي إليه، وهكذا يزعم الداعي أنه ـ دونما قصد أو سوء نية ـ أذاع سراً حول المعري ما كان يود إذاعته، إنه نباتية المعري التي تعني للعامة الخروج عن مبدأ إسلامي، وتعني الاعتقاد بمذهب فلسفي هندي ينكر النبوءات والرسالات والأديان السماوية وهو مذهب البرهمية. فهل كان الداعي فعلاً حريصاً على عقيدة المعري؟ بالطبع لا. إن الذي يهم الداعي ـ والفاطميين ـ هو إحراز أحد مكسبين، إما أن يسكت المعري ويقلع عن التشنيع بالشيعة، أو أن يصبح ملحداً أو كافراً أو زنديقاً في نظر

---

(17) السابق، ص 190 ـ 194.

(18) السابق، ص 200 ـ 201.

(19) السابق، ص 213.

العامة من الناس. وفي نظر تلاميذه ومريديه. وفي أي من الحالتين تصبح الدولة الفاطمية ـ الشيعة الإسماعيلية ـ في مأمن ممن شنع بهم أيما تشنيع.

مما سبق تتضح عدة أمور منها أن المعري كان نباتياً لأنه كان زاهداً في الحلال، ويتضح ـ أيضاً ـ أنه كان يناهض الشيعة وفكرة المهدي المنتظر، كما يتضح أن الفاطميين كانوا يهدفون إلى القضاء على المعري؛ لأنه كان يهدم أفكارهم وعقيدتهم، فحاولوا إغراءه ولم يوفقوا، وحاولوا تهديده فلم يخش في الحق أحداً، وبقي معارضاً للشيعة حتى وافته المنية عام 449 هـ.

وبعد أن ألقينا نظرة موجزة على نباتية المعري كما صورها هبة الله داعي الدعاة، يمكن لنا أن نتصور مدى تأثير ذلك على المؤرخين والكتاب والنقاد، الذين كتبوا حول المعري بعد وفاته، وبعد المناظرة التي تمت بينه وبين الداعي.

لقد عرفنا أن الداعي كان رجلاً مسؤولاً، وكان مقرباً إلى الخليفة الفاطمي إلى درجة أنه أصبح الناطق باسمه في المحافل الدينية الرسمية. ولما كان «التاريخ يكتبه الحاكم»، فإن الداعي بحكم مركزه السياسي الديني استطاع أن ينشر رسائله التي وجهها إلى المعري، والتي تظهر المعري ملحداً أو كافراً أو زنديقاً. ومن هنا استطاع الداعي أن يجعل العامة تعتقد كفر المعري بسبب نباتيته. وما إن ذاعت رسائل الداعي وانتشرت، حتى توارث المسلمون زندقة المعري وبرهميته. أما رسائل المعري فما كان لها أن تذاع وتنتشر إبان حياته وحياة الداعي؛ والسبب في ذلك راجع إلى أن المعري ليس حاكماً ولا مقرباً من حاكم، فلم يكن يملك من وسائل الإعلام ما كان يملكه سياسي كبير كالداعي. فالمعري فيلسوف شاعر زاهد يسكن في مدينة صغيرة تخضع سياسياً ـ ودينياً ـ للدولة الفاطمية، التي كان هبة الله الشيرازي حامي حماها وداعي دعاتها. ولذلك طمست رسائل المعري ـ في حياة الداعي ـ بينما رسائل الداعي ذاعت وتناقلها الناس والركبان، وأسس عليها المؤلفون والكتاب فكرة أن المعري أنكر أصلاً إسلامياً يوجب قتله.

لقد رأينا أن المعري امتنع عن أكل الحيوان للأسباب السابقة الذكر وأنه لم يتزوج مطلقاً، وأنه لم يغادر بيته الذي أصبح له سجناً لمدة نصف قرن، وأنه صام

ستة وخمسين عاماً لم يفطر فيها إلا يومي العيدين. والسؤال الآن لماذا لم يتهم المعري في عقيدته بسبب عدم زواجه؟ ولماذا لم يتهم في عقيدته بسبب الصوم المتواصل؟ ولماذا لم يتهم بسبب سجنه نفسه وعدم مغادرة بيته؟ ولماذا اتهم في عقيدته ودينه بسبب نباتيته؟.

الذي نراه أن المعري كان محباً للدنيا وحلالها من الطيبات، ولكنه زهد في أحب الأشياء إلى البشر وهي المال والبنون، فزهده في المال جعله قانعاً بحياة الكفاف ممتنعاً عن طيب الطعام. وزهده في البنين جعله يمتنع عن الزواج. وبذلك فضل أن يعيش ستاً وثمانين سنة وهو عزب، منها ست وخمسون سنة صائماً، وخمس وأربعون سنة نباتياً. ولكن النباتية ـ كما عرفنا ـ كانت تهمة ضد صاحبها منذ صدر الدولة الإسلامية؛ ولذلك استخدمها الفاطميون سلاحاً ضد المعري الذي رفض السكوت للمتاجرين بالدين، ورفض تصديق فكرة المهدي المنتظر، وناهض الشيعة وعارضها في كثير من مبادئها.

فزهد المعري أصبح وسيلة لتكفيره من قبل أعدائه، ولكن هذا التكفير توارثه أغلب الكتاب والأدباء ليصفوا المعري بالإلحاد والكفر والزندقة، لا لشيء إلا لأنه كان نباتياً زاهداً، ولأنه كان صادق الإيمان لا يخشى في الحق لومة لائم، ولا جور ظالم ولا صولة حاكم.

وسنرى في مقالة قادمة أثر مراسلات الداعي في آراء النقاد والكتاب، الذين وصفوا المعري بالكفر والإلحاد بسبب نباتيته.

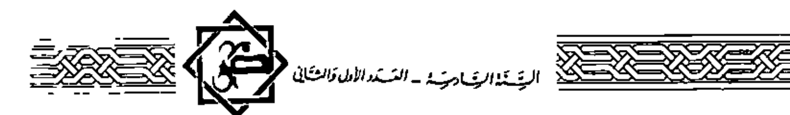

مجلة قاريونس العلمية



الطب البيطري
«نشأته وتطوره»

دكتور/ محمد محمد خلف توني
كلية الطب البيطري ـ جامعة عمر المختار
البيضاء ـ ليبيا


مجلة قاريونس العلمية


السنة الثامنة ـ العدد الأول والثاني


مجلة قاريونس العلمية



1 ـ مقدمة البحث:

قد لا يعرف البعض الكثير عن الطب البيطري، ويغيب عنهم أن لهذه المهنة تاريخاً يرجع لأقدم العصور، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطور الإنسان منذ خلقه ومحاولته استئناس الحيوان، ليس فقط للاستفادة فيه في الحصول على غذائه، أو للمحافظة على صحته من الأمراض التي قد تنتقل له من الحيوان، بل وتنقله زيادة الاحتكاك بينه وبين المجتمعات الأخرى، مما أدى لتقدم الحضارة الإنسانية.

2 ـ أهمية البحث:

الغرض من هذا البحث إلقاء الضوء على تاريخ مهنة الطب البيطري وأهميتها، وكيف تطورت علومها، وأهم المشاكل التي اعترضت تطورها، وكذلك علاقتها بالعلوم الأخرى، مبيناً دور العلماء السابقين وخاصة علماء العرب المسلمين في فترة من أهم فترات تطورها، مما ساهم بدور فعَّال في النهوض بهذه المهنة في العصر الحديث.

3 ـ الطب البيطري في العصور القديمة:

اهتم الإنسان منذ القدم بالحيوان. بتربيته وتغذيته والاهتمام بالمريض من هذه الحيوانات. وكانت مهنة علاج الحيوان موكلة لشخص معين «أي طبيب بيطري».

وفي الأساطير اليونانية القديمة، كان القائم على العلاج إله له خبرة ومعرفة كبيرة في العلاج، ومن هؤلاء الآلهة Chiron، وكان ممثلاً برجل نصفه إنسان والنصف الآخر حيوان.

وفي بلاد الهند كان الحيوان مقدساً، وكان يحظى باهتمام كبير. وكان الطب البيطري في اليونان القديمة متأثراً بالسحر كغيره، ثم بدأ ينهض واشتهر العديد من الأطباء البيطريين حينذاك. وازدهرت في هذه البلاد مهنة الطب البيطري، وكان يعيش حوالي ثلاثة وثلاثون طبيباً بيطرياً من الهندوس.

وفي عصر الملك ASOKA عام 273 قبل الميلاد، تأسست ما يشبه العيادات البيطرية، وكانت تشرف عليها الدولة وتدفع مرتبات هؤلاء الأطباء، وكان يعالج فيها الخيول والفيلة وطيور الصيد وحتى الأسماك.

وفي بلاد الصين عثر على الكثير من الكتب المتعلقة بالطب عامة، وبالطب البيطري خاصة مثل كتاب METERIA MIDICA.

وفي اليابان كانوا يقومون بإرسال بعض الأشخاص لدراسة علوم الطب البيطري.

وفي مصر القديمة تدل الوثائق على أن الطب البيطري لاقى تطوراً كبيراً حتى عرفوا نظام التفتيش على اللحوم. وكانوا يفحصون كل حيوان فحصاً دقيقاً واقفاً وراقداً، ويسحبون لسانه لمعرفة سلامته وخلوه من العلامات المرضية، فإذا كان سليماً وضعوا حول قرونه حبلاً به قطعة طين مختوم بها بما يعني أنه صالح للذبح. وعثر على ما يفيد بأن الذبائح لا تباع حتى يثبت خلوها من الأمراض. وكانوا على درجة كبيرة من الوعي وكان محظوراً ذبح إناث البقر لما يؤدي ذبحها من القضاء على الثروة الحيوانية.

واهتم المصريون القدماء بتغذية الحيوان، وعثر على ما يفيد أنهم اهتموا بالغذاء الأخضر. وعثر على منظر فيه أحد الرعاة يقطع شجيرات خضراء إلى قطع صغيرة، ويقدمها لقطيع من الماعز ذوي القرون الطويلة. وكانوا يقومون بعمل

كمية من العجين ثم يقطعونها إلى قطع صغيرة، ويجلسون أمام الحيوانات ليقدموا لها هذا الطعام.

وعثر أيضاً في كوم أوشيم بالفيوم على كسب كان يستخدم علفاً للماشية، وهو عبارة عن بقايا الزيتون بعد عصره.

ووجد على أحد جدران مقابر بني حسن بالمنيا بمصر منظر يمثل الأطباء البيطريين، وهم يقومون بعلاج الحيوانات المريضة. وكان الطبيب البيطري موضع احترام وتقدير. وكان كل فلاح يعتني بماشيته، والأمراض التي تصيبها وطرق علاجها.

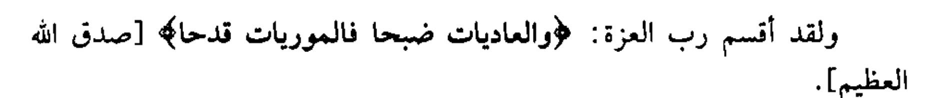
واهتم المصريون القدماء بعلوم الولادة والتهجين. وكانوا يلقحون الأبقار من أنواع مختلفة للحصول على نسل ممتاز، وتوضح بعض الرسوم ذلك، حيث يرى فحل له قرون هلالية يلقح بقرة ملتوية القرون. كما خلفوا الكثير من أدوات الجراحة، وسجلوا على جدران المعابد الكثير من العمليات الجراحية. كما عرفوا حدائق الحيوان وخصص لها أطباء بيطريون. وعثر على نقوش في المقابر تبين أقفاصاً بها حيوانات مختلفة، يظهر بينها أحد السباع في قفصه. وفي إيران القديمة كان للطب البيطري أهمية خاصة، حيث إنهم توصلوا لقوانين تحدد أجور الأطباء البيطريون.

4 ـــ الطب البيطري في عصر الحضارة العربية الإسلامية:

1.4 تمهيـــد:

لقد ورد ذكر الحيوان بكثرة في القرآن الكريم، وارتبطت قصص الحيوان بقصص إيمانية أو علاقة بنبي أو غيره مثل الكبش وإسماعيل، والبقرة وبني إسرائيل، والكلب وأهل الكهف وغيرهم.

وجابت الخيل الأرض شرقاً وغرباً في الفتوحات ومن هنا لاقت الخيل اهتماماً عظيماً.



ولقد أقسم رب العزة: ﴿**والعاديات ضبحا فالموريات قدحا**﴾ [صدق الله العظيم].

كما ورد العديد من أحاديث النبي عن الخيل. لهذا كله اهتم المسلمون بالحيوان، ولاقت مهنة الطب البيطري في عصر الحضارة الإسلامية اهتماماً كبيراً.

وورد في عبقرية عمر للعقاد أن عمر بن الخطاب نصح بالطريقة السليمة لذبح الحيوان، وكان يُدْخل يده في عقرة البعير الأدبر أي المصاب بالدبر ـ وهو مرض يصيب الدواب ـ وهو يقول: (إني لخائف أن أسأل عما بك).

لهذا كله اهتم المسلمون بالحيوان، وكان للمسلمين فضلٌ في تطور علوم الطب البيطري في العصر الحديث.

2.4 المعجزة التي حققها العرب:

لقد تم في بغداد في سنة ألف للميلاد فهرس للعلوم يضم في عشرة مجلدات أسماء جميع الكتب التي صدرت باللغة العربية في الفلسفة والرياضيات والطبيعة والكيمياء والطب.

وفي الأندلس اجتذبت قرطبة طلاب العلم من كل أنحاء الشرق والغرب، بمدارسها العليا ومكتبتها العظيمة، التي جمع لها الخليفة الحكم الثاني ـ وهو من أشهر علماء عصره ـ نصف مليون من الكتب القيمة. وفي القاهرة رتب مئات العمال والفنيين في مكتبتي الخليفة ومائتان من المجلدات.

ولقد قال جربرت فون أورياك الذي ارتقى كرس البابوية في روما عام 999 ميلادية باسم البابا سلفستروس الثاني:
(إنه لمن المعلوم تماماً أنه ليس ثمة أحد في روما له من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل بواباً لتلك المكتبة، وأنى لنا أن نعلم الناس ونحن في حاجة لمن يعلمنا. إن فاقد الشيء لا يعطيه).

وفي العام نفسه، نشر أبو القاسم مبادىء الجراحة التي ظلت شائعة لقرون عديدة. واكتشف ابن الهيثم قوانين الرؤية، وأجرى التجارب بالمرايا والعدسات

المستديرة والأسطوانية. ووقف ابن سينا وهو حينذاك فتى في العشرين ليملأ الدنيا بأنباء انتصاراته العلمية الباهرة.

إن هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء لهي ظاهرة جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني. وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة الشعوب المتحضرة في هذا العصر لفريدة في نوعها، لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها، وتدعونا هنا أن نقف متأملين هذه المعجزة.

وعندما انتشرت الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية، وزاد احتكاك العرب بالحضارات الأخرى كاليونانية والفارسية والرومانية، التي كان أهلها قد بلغوا منزلة رفيعة في مجال العلوم والآداب والفنون، بدأ العرب ينهلون من تلك الحضارات، ذرات حركة التعريب في العصر العباسي. ويحكى عن المأمون أنه كان يدفع للمعربين الرواتب السخية، ويوزع الجوائز الثمينة، وبذلك استطاع العرب بعد أقل من قرن على بداية العصر الإسلامي أن يدونوا خلاصة هذه الحضارات، بعد أن وجدوا اللغة العربية أهلاً لهذا الفضل قادرة عليه ومتمكنة فيه.

وبزيادة حركة الترجمة والاهتمام بالعلم والعلماء في تلك الفترة، حدث تطور كبير في الطب البيطري، وتناولت أبحاث ومؤلفات العلماء لعرب المسلمين العديد من مجالات الطب البيطري، وأتوا بالجديد فيها. وتعرضت أبحاثهم لأمراض الجهاز الهضمي، وأمراض الأنف والولادة، والأمراض الطفيلية. كما نقل ابن إسحق كتب الطب البيطري للغة العربية. وكان من الصعوبة المقارنة بين المؤلفين والكتاب المسلمين في مجال الطب البيطري مع أمثالهم في الدول الغربية آنذاك.

والجدير بالذكر أن الكتب العربية في مجال الطب البيطري كانت من أهم المصادر العلمية في أوروبا؛ وذلك لأن اللغة العربية حينذاك كانت على درجة كبيرة من الأهمية. وذكر البيروتي في كتبه أن اللغة العربية كانت هي لغة العلم،

وكان لزماً على المؤلف غير العربي أن يكتب باللغة العربية فقط، لأنها كانت هي اللغة المعترف بها والمتداولة بين الباحثين.

3.4 من أبرز علماء الطب البيطري في عصر الحضارة العربية الإسلامية:

1 ـ الحافظ شرف الدين الدمياطي:

ومن أشهر مؤلفاته: «كتال الخيل» وفيه يتعرض لأمراض الخيل وعلاجها.

2 ـ أبو بكر بدر الدين بن المندحر:

ومن أشهر مؤلفاته كتاب «علم تدريب الخيل» الذي شهد علماء التاريخ الغربيون بأنه أفضل بحث في مجال الطب البيطري في ذلك العصر، وكتاب «البيطرة الفنية» وفيها يشرح طرق رعاية الخيول وأمراضها، والأدوية المستعملة في العلاج.

3 ـ المجاهد على الرسول:

ومن أشهر كتبه «الأحوال الكافية والفصول في علم البيطرة» الذي ترجم للفرنسية في عام 1860 م.

4 ـ ابن يعقوب:

ومن أشهر مؤلفاته كتاب «الخيال والبيطرة»، ويشتمل على ثلاثين باباً يتعرض فيها للتسنين وتربية الخيل والحمل والولادة، وأمراض الخيول وعلاجها، وأمراض الأبقار والأغنام والجمال وعلاجها، وكذلك عن التسممات. ويقول المؤرخ BROCKELMANN: إن مؤلفات هذا العالم كانت متوفرة في جميع المكتبات وبسائر اللغات. ومن الجدير بالذكر أن البحث لم يقتصر على العلماء المتفرغين فقط، ولكن كان منهم الحكام مثل حاكم اليمن عام 1321 م الذي أدى دوراً هاماً في تطور الطب البيطري، وكانت كتبه مشهورة في مجال رعاية الحيوان، وركز البحث حول طاعون الخيول، واستفاد في تأليفه من مصادر عربية بحتة، كما اعتمد على تجاربه الشخصية الناجحة. وقد تم العثور على كتاب «الناصري» لبدر الدين البيطار، وهو من علماء الطب البيطري المشهورين، وقد عاش في مصر أيام سلطان المماليك الناصر محمد بن قلاوون من 1293 ـ 1341 م. ويذكر في كتابه

هذا أنه استفاد من الكتاب العرب واليونانيين، واعتمد على تجارب والده. ويعتبر هذا العالم أول من أشار إلى إمكانية انتقال بعض أمراض الخيول للإنسان، وأول من بحث في أمراض الحافر بداية من تشقق الحافر وحتى سرطان الحافر.

وكان ابن البيطار يشير في بعض كتبه للنواحي التاريخية للطب البيطري كما يعتبر أول من أعاد الأحشاء للبطن بعد خروجها إثر جرح كبير أو حادث.

وللأصمعي مؤلفات في اختيار الأوقات المناسبة لتلقيح الخيول. وألف لسان الدين بن الخطيب كتاب السراج الوقاد في طب الجياد. في دمشق كتب عديدة عن الطب البيطري، لم يعرف مؤلفوها حتى الآن.

وكتب داوود الأنطاكي كتابه الشهير «التذكرة عن البيطرة». وبحث إبراهيم الشاذلي في فسيولوجيا وتشريح العين في مختلف الحيوانات.

كما يوجد العديد من علماء القرن الرابع عشر الذين بحثوا في الحيوانات دون التعرض لأمراضها، وكان لهم دور في تطور الطب البيطري، وكتبوا عن تدريب وتربية الخيول مثل ابن أركان، وعن الفروسية مثل ابن القيم الجوزية، وكمال الدين الدميري وابن الجزعي.

واشتهر أيضاً في القرن الثامن الهجري أبو بكر بن المنظور فكتب «كامل الصناعتين البيطرة والزدقة» وكتاب «كاشف الويل في معرفة أمراض الخيل».

5 ـ الطب البيطري في أوروبا في العصور الوسطى:

لقد حظيت مهنة الطب البيطري في أوروبا في ذلك الوقت باهتمام بالغ، مما كان له أكبر الأثر في تطور هذه المهنة، ويرجع ذلك للحاكم فريدريك الثاني فقد كان محباً للحضارة والثقافة الإسلامية، وكان له أبحاث في تشريح الطيور.

واعتمد Ruffus في تأليف كتابه عن طب الجياد في عام 1250 م على المراجع العربية. وتناول مجال رعاية الحيوان والأمراض المختلفة المعروفة الآن مثل الحمى القلاعية، وخناق الخيل وغير ذلك من المجالات. وكان لمؤرخي

الطب البيطري رأي في كتب Ruffus أهمها أنه لم يهتم بالأمراض المعدية، ولم يأت بجديد في بعض الأمراض؛ لأنه لم يكن لديه احتكاك بالأطباء البيطريين المسلمين.

وكتب Albert في عام 1256 م عن الكثير من الأمراض المعدية، وانتقالها من حيوان لآخر معتمداً لحد كبير على مؤلفات العرب.

وكان لبعض العلماء الأوربيين مثل Rusius دور هام في انتقال الطب البيطري الإسلامي إلى الغرب، مما أدى لتطور هذه المهنة في أوروبا.

6 ــ الطب البيطري في العصر الحديث:

من المعروف أن التطور في أي مجال علمي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطور الطباعة وصناعة الورق؛ لأن هذا التطور يوفر السهولة والسرعة والرخص في الطباعة للكتب والمؤلفات، مما يحث على القراءة ويؤدي بالتأكيد لرفع مستوى العلم والثقافة. وازدهرت هذه الصناعة في القرن السادس عشر، وظهر بعض المفكرين بالرغم من عداوة الكنيسة لمن يريد أن يتزود بنور العلم، ومن هؤلاء DAVINCI الذي كان له العديد من الأبحاث الدقيقة في مجال وظائف الأعضاء، وأجرى العديد من التجارب على الخيول والأبقار والطيور، واهتم بالقلب والأوعية الدموية والتنفس، وأجرى مقارنة بين قوائم الحصان وأطراف الإنسان، وبحث كذلك في آلية الطيران عند الطيور، ورسم المشيمة عند الأبقار بطريقة جيدة.

وظهر بعد ذلك ANDREAS VESALIUS الذي ولد في بروكسل عام 1524 م، والذي انفرد في مجال تشريح جثث الحيوانات.

وكان للأسباني SERVETUS آراء حول الدورة الدموية. ولما كانت أفكاره تتعارض آنذاك مع المعتقدات الدينية فقد تعرض للاضطهاد.

واعتمد REALDO (1516 ـ 1559) في أبحاثه وتشريحه لجثث الحيوانات على أفكار علماء العرب المسلمين، وبالذات في توضيح الكثير عن الدورة

الدموية، ونشر في إيطاليا كتاباً شهيراً اسمه الطب البيطري، ويذكر المؤرخ CROMBIE إن ذلك كان عام 1598 م.

ونشر المؤلف RUINI، الذي ولد في بولونيا عام 1529، كتاباً هاماً في تشريح الحصان وأمراض اسمه: Anatomie Del Cavallo Informita el Soui Rimedii.

ويعتبر هذا المؤلف من مؤسسي الطب البيطري في أوروبا، وأول من درس تشريح حيوانات وحيدة الحافر على أسس علمية صحيحة. وقد قسم باب التشريح إلى خمسة أجزاء، تعرض في الجزء الأول لأعصاب وعضلات أوعية منطقة الرأس، وشرح أغشية المخ شرحاً وافياً.

وفي الجزء الثاني شرح عضلات الحنجرة وغضاريفها، وفي الثالث درس تشريح الكبد والطحال والكليتين والمثانة ورسم الأمعاء، وشرح كيفية تشريح الأعضاء التناسلية، ووضع الجنين داخل الرحم، ورسم الأغشية الحنينية والأوعية التابعة له. وتعرض في الجزء الخامس لتشريح القوائم. ويحوي هذا الكتاب باب الأمراض وتناول فيه أمراض الجهاز العصبي مثل الشلل والصرع، وكذلك أمراض العين واللسان والتهاب الأوعية اللمفاوية، وخصص جزءاً لأمراض القلب والكبد والأمعاء والأعضاء التناسلية. ومما يذكر أنه بالرغم من أن الأطباء العرب المسلمين أول من قاموا بعملية تقطيع الجنين، فإن المؤرخ GOLZE يزعم أن RUINI أول من أجرى هذه العملية. ويعتبر هذا العالم بحق من أكبر علماء الطب البيطري في القرن السادس عشر.

وبالرغم من أن HARVERY كان طبيباً وعضواً في كلية الطب بجامعة كمبريدج، فإنه كان معروفاً بحبه لدراسة تشريح الحيوانات. واختتم أبحاثه وتجاربه بتأليف كتاب في عام 1623 م وعنوانه:

Exericitato Anatomica de Motu Cardis et Sanguinin in Animalibus.

أي رسالة في تشريح حول حركة القلب والدم عند الحيوانات.

واستطاع العالم MALPIGHI 1624 ـ 1694 م اكتشاف أوعية دموية في

مناطق مختلفة من جسم الحيوان، وشملت أبحاثه علم الجنين.

ويتميز القرن السادس عشر بالتقدم في علم العدسات وطرق التكبير المختلفة. واشهر في هذا المجال ليوفن هوك. وصنع هذا الرجل الذي نال الشيء اليسير من التعليم أول مجهر يشهده العالم. وهو عبارة عن عدسة قوية نحتها بيده، وقام بتثبيتها على جهاز حديدي بسيط، بحيث يمكن تحريكها لأعلى وأسفل. وكانت له هواية في فحص الأشياء الصغيرة، ففحص ألياف اللحم والشعر.

وكان أول من وقعت عيناه على ما يسمى اليوم بالميكروبات، وسماها الحيوانات الصغيرة. وبدأ في صنع عدسات أقوى وفحص براز الحيوانات، ووصف بعض الطفيليات الموجودة، ويعتبر ليوفن هوك أول من شاهد الحيوان المنوي.

وفي تلك الفترة عثر على دراسات كثيرة في مجال المغص عند الخيل. وكانت أكثر الطفيليات المعوية معروفة، إلا أن الدودة الكبدية كانت قد شرحت من قِبَل ابن أخي حزام في القرن التاسع، ثم جاء الطبيب البيطري FITZ HERBERT ليوضح المزيد عنها.

ولقد ورد أن الجراحة في هذا العصر كانت متطورة أكثر من أي فرع آخر، وكانت تجري العديد من العمليات الجراحية مثل استئصال الحصاة البولية من المثانة واستئصال المبايض.

وفي عام 1664 م ظهر SOLLEYSEL الذي عمل في مدرسة الفروسية واهتم بدراسة الدورة الدموية، وكانت له مؤلفات في رعاية الخيول وعلاجها. وفي القرن السابع عشر ظهر العالم RICHARD LOWER الذي قام بإجراء تجارب خاصة بنقل الدم من حيوان لآخر.

وكان للاكتشافات العلمية أثر فعّال في تنشيط الأبحاث العلمية، وتطور العلوم في جميع المجالات في القرن الثامن عشر. ففي مجال الفسيولوجيا برز العالم هالر الذي بحث في وظائف الجهاز الهضمي والتنفسي والعصبي، وكذلك وظائف الدوران الدموي، وإطراح الجهاز البولي.



وبرز كذلك REVRUR الذي نشر أبحاثه في كتاب سماه حول الهضم عند الطيور، وبحث في عملية الهضم والتعرف على آلية مفعول العصارة المعدية. وفي القرن الثامن عشر تطورت الأبحاث التي بدأت في القرن السابع عشر في مجال التنفس وعلم الأمراض. وظهر العالم MORGAGNI الذي يعتبر مؤسس هذا العلم، وهو الذي توصل بعد فتح ما لا يقل عن سبعمائة جثة إلى أن للأعراض السريرية التي تظهر على جسم الحيوان المريض أثناء الحياة علاقة وثيقة بالتغيرات التي تظهر على الأعضاء الداخلية.

وفي مجال التشريح تخصص العالم MONRO في علم التشريح، وقام بدراسة الفروق التشريحية بين أنواع الحيوانات المختلفة. وكان أول ما تناوله الأعضاء الداخلية. وأصبح ابنه أستاذاً في التشريح. وقد ساهم HUNTEX مساهمة فعالة في افتتاح مدرسة الطب البيطري في لندن عام 1791. وبالنسبة لتطور علم الوبائيات في القرن الثامن عشر، فقد شهد هذا القرن دراسة أمراض الحيوان الوبائية بشكل جيد ودقيق وإجراء محاولات للوقاية أو التحصن ضد هذه الأمراض. وظهر العالم JENNER الذي اكتشف لقاحاً ضد الجدري عند الأبقار. ومن أهم التطورات التي ظهرت على ساحة الطب البيطري في القرن الثامن عشر هو افتتاح المدارس العالية لتدريس الطب البيطري، ومما يذكر أن التعليم البيطري بدأ من مرتبة Lyon، ثم توالى افتتاح المدارس البيطرية بالقرب من باريس وطولسوس. وكانت الأقسام الرئيسة في المدرسة الأخيرة: قسم أمراض الأبقار وقسم لأمراض الغنم. وكانت تتوزع إجازات التخرج على الطلاب بعد إنهاء التعليم البيطري خلال اربع سنوات.

ويرجع الفضل في وضع أسس التعليم الطبي البيطري إلى العالم BOURGLOT، وبعد وفاته لاقت المدارس البيطرية في فرنسا بعض الضعف. وقد انتشرت فكرة افتتاح المدارس البيطرية في جميع أنحاء أوروبا، حتى وصل عدد المدارس إلى ما يقرب من ثلاثين مدرسة في اثنتي عشرة دولة أوروبية في عام 1825 م.

وفي القرن التاسع عشر كثرت الاكتشافات التي يصعب حصرها، وتقدم الطب البيطري تقدماً كبيراً. ففي مجال الفسيولوجيا عمل العالم JOHANNES

في مجال فسيولوجيا الجهاز العصبي. واكتشف العالم برنارد وظائف الأعضاء المحركة للأوعية الدموية، والكثير من وظائف العصارة البنكرياسية. واكتشف Graaf جريبات متنوعة في مبيض الإناث.

وتركزت الأبحاث على بنية وظائف الغدد الصماء. وقد أطلق العالم STARLING على مفرزات هذه الغدد اسم هرمون. ومن علماء الفسيولوجيا الذي عاشوا في القرن التاسع عشر: Pavlov و Ludwig و Praut. وقد بحث كل من Robert Broun و Muller و Heule في الخلية والبنية النسيجية للحيوان.

وبعد استكمال البحث حول الخلية، بدأ التطور في علم الأنسجة والأجنة. وبدأ جميع علماء التشريح المرضى التميز في نشاطهم العلمي مع مطلع القرن التاسع عشر، وأيضاً حدث تطور ملحوظ في علم الجراحة والتخدير والتطهير الجراحي، وعلم الأدوية والعقاقير.

وتم اكتشاف مرض الجمرة الخبيثة الذي يصيب الماشية، وأوجد باستور اللقاح المناسب لداء الكلب، وكذلك سجلت في هذا القرن العديد من الاكتشافات في جميع العلوم.

7 ـــ المخطوطات وتطور الطب البيطري:

يوجد في معظم مكتبات العالم العديد من المخطوطات التي تتحدث عن الطب البيطري وتتخذه موضوعاً لها. ومن أهم المكتبات العربية التي تحوي كتباً ومخطوطات مكتبة المتحف العراقي ببغداد، والمكتبة التابعة لمتحف الكويت الوطني، والخزانة الملكية بالرباط. وأهم ما ترك كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها، وكتاب الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وكتاب المخصص لابن سيده، ويعتبر أول كتاب منهجي في طب الحيوان، وكتاب البيطرة لابن الأحنف، وكتاب السراج الوقاد في طب الجياد، والعديد من المخطوطات الأخرى التي تناولت علاج الخيول وطب الطيور.

والتراث مليء بالمؤلفات في طبائع الحيوان، وذلك لشدة ملاحظة القوم

وكياستهم واتعاظهم في الحيوان من آيات الإعجاز. وهنا بعض من هذه الملاحظات يقولون إن:

ذو الزهو ثلاث : الفرس ـ الديك ـ الطاووس.

ذو حدة البصر ثلاث: العقاب ـ الظبي ـ البائق.

محبة الظلمة ثلاث : البوم ـ الخفاش ـ الخلد.

ويقول ابن سينا: بعض الحيوانات هادىء الطبع، قليل الغضب مثل البقرة، وبعضها شديد الجهل حاد الغضب كالخنزير البري، وبعضها حليم وجزوع مثل البعير، وبعضها جريء قوي شهم ومع ذلك كريم النفس كالأسد، والبعض مفاخر بجماله كالطاووس.

وهكذا يوجد ما في هذه المخطوطات ما يفيد أن الطب البيطري قد مرَّ بفترات ازدهار، وأن تطوره قد لاقى العديد من الصعوبات، وأنه لولا العرب المسلمون في هذا المجال الذي هبوا للتفكير العلمي الحديث لتأخر سير النهضة الأوروبية لبضعة قرون.

8 ـ النتيجة والتوصيات:

يتبين لنا ارتباط نشأة الطب البيطري بوجود الإنسان وعلاقته بالحيوان. وهي مهنة قديمة، وقد مرت بمراحل عديدة في طريق تطورها عبر العصور. وقد شارك الأطباء البيطريون العرب المسلمون بدور فعّال في هذا التطور، حتى أصبحت علوم الطب البيطري من العلوم الهامة، وبالذات لاحتياج الإنسان لتأمين غذائه والوقاية من الأمراض التي تصيبه من الحيوان.

ونأمل أن يستطيع العرب المسلمون إعادة العصر الذهبي لهم في جميع العلوم، وبالذات في علوم الطب البيطري، وأن يساهموا مساهمة فعّالة في تطورها في العصر الحديث.

ومن استعراض هذا البحث نوصي بما يلي:

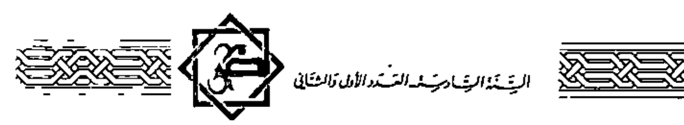
1 ــ تدريس مادة تاريخ العلوم لطلاب المدارس والجامعات، وتدريس تاريخ الطب البيطري لطلاب الطب البيطري.

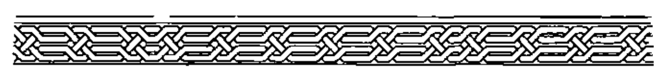
2 ــ تشجيع ونشر البحوث العلمية التي تتناول دور العرب المسلمين في تطور العلوم الحديثة ومنها علوم الطب البيطري.

3 ــ الاهتمام بالتراث والكتب التاريخية والمخطوطات القديمة التي تتحدث عن العلوم، والتي توضح دور العرب وفضلهم على الحضارة الغربية الحديثة.

4 ــ التركيز على الاعتزاز بعلماء العرب في جميع مجالات العلم والمعرفة، وفضح أكاذيب الغرب في محاولاته إنكار فضل هؤلاء العلماء، وذلك بعمل الندوات وإصدار المجلات التي توضح ذلك.

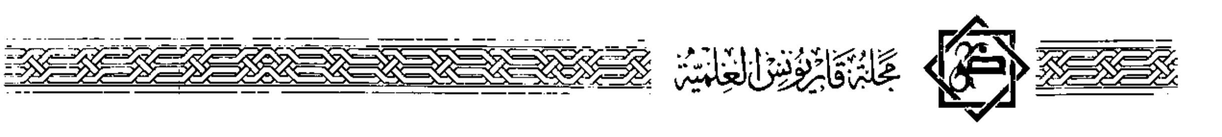
5 ــ الاهتمام بالمواهب العلمية وتشجيع الابتكار في مدارسنا وجامعاتنا، وبعث الثقة بالنفس في أننا سيكون كما كان لنا دوراً في الحضارة الحديثة.

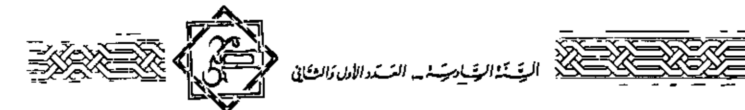




9 ـــ مراجـــع البحـــث

1 ـــ أحمد، عادل السيد: الإسلام والطب البيطري، 1986.
2 ـــ أحمد، عادل السيد: الطب البيطري عند الفراعنة.
3 ـــ الهيثمي، عبد القادر رحيم: التعريب مفهومه وأطواره عبر الزمن، مؤتمر التعريب ـ جامعة قاريونس 1993.
4 ـــ توني، محمد خلف: استخدام اللغة العربية لتدريس علوم الطب البيطري، مؤتمر التعريب ـ جامعة قاريونس 1993.
5 ـــ هونكه، زيغريد: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة كمال دسوقي وفاروق بيضون، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1991.
6 ـــ طوقان، قدري حافظ: العلوم عند العرب، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة ـ الأردن.
7 ـــ عبد الرحمن، عدنان: تاريخ الطب البيطري ـ منشورات جامعة حلب ـ سوريا 1992.
8 ـــ كمال، حسن: الطب المصري القديم.


مجلة قاريونس العلمية

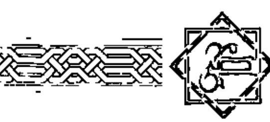


القيمة العلمية
لمصادر تفسير القرآن وتأويله

د. عبد السلام محمد الشريف

كلية القانون/ قسم الشريعة


مجلة قاريونس العلمية



القرآن الكريم أصل الشريعة ودستور المسلمين، وعماد الدين للإنسانية قاطبة.

والقرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، وهو أم الدلائل فيه بيان لجميع الأحكام قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[1].

وقال: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾[2].

وهو خطاب الله تعالى للإنسانية جمعاء في كل عصر وحين، وهو منزل بلسان عربي مبين يفهمه كل من يعتنى به ويتدبره فلا وجه لقصر فهمه على فئة معينة زماناً ومكاناً.

وبما أن القصد العام من نزول القرآن هداية الخلق، وإصلاح البشرية، وعمارة الأرض، وجميع ذلك يتوقف على الفهم الدقيق لمعاني القرآن الكريم ومعرفة أسراره، وعلى العمل بما جاء به القرآن الكريم تتوقف سعادة الأمة ورقيها.

ومما لا شك فيه عدم استواء الناس جميعاً في فهم ألفاظ القرآن وعباراته رغم وضوح بيانه وتفصيل آياته.

فالعام غير المتعلم لا يدرك من المعاني إلا ظاهرها، ومن الآيات إلا مجملها فقط بينما المثقف الواعي المتعلم باستطاعته إدراك المعاني الدقيقة

(1) سورة الأنعام، الآية رقم 38.

(2) سورة النحل، الآية رقم 89.

الرائعة، واستخراج الأحكام، واستنباط الحلول، واستخلاص العبر، وبين هذا وذاك تفاوت مراحل ومراتب عند الناس في الفهم والإدراك، لذلك فلا غرو أن يجد القرآن الكريم من أبناء أمته اهتماماً بالغاً بدراسته لتفسير غريب أو بيان مجمل، أو تأويل تركيب.

ولهذا رأيت من المناسب التحدث عن التفسير قصد التعريف به، وبيان أنواعه وأهم مصادره وقيمته العلمية حتى يتمكن الباحث والدارس من أخذ فكرة على كيفية التعامل مع هذه المصادر، وأخذ الحيطة والحذر عند استخدامها، ولا شك أن القراءة الواعية والفهم الواعي يخلق الإنسان الواعي الذي هو جوهر اهتمامنا وموضع تقديرنا.

تعريف التفسير والتأويل:

التفسير في اللغة معناه: البيان والكشف والإظهار.

وفي الاصطلاح: توضيح بمعنى الآية وشأنها، والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة.

وهناك تعريفات أخرى، تنحو كل منها ناحية خاصة بعلم من العلوم آثرت عدم ذكرها خوفاً من الإطالة.

أما التأويل لغة فهو مأخوذ من الأول وهو الرجوع إلى الأصل.

وفي الاصطلاح تأويل الكلام: تفسيره وبيان معناه.

والتفسير والتأويل عند المتخصصين في هذا المجال بمعنى واحد.

وقد استخدم ابن جرير الطبري مصطلح التفسير والتأويل على سبيل التبادل يقول:

القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا. . . .

ويقول: اختلف أهل التأويل في هذه الآية ومراده التفسير.

هذا هو معنى التأويل عند علماء السلف. أما عند علماء الخلف وخاصة في العصر الحديث فقد وقع اختلاف كبير في الفرق بين التفسير والتأويل، وهو موضوع شائك وطويل، وليس في تتبعه كبير فائدة.

الحاجة إلى التفسير:

من المعلوم أن بعض ألفاظ القرآن الكريم من قبيل الوجيز المشتمل على كثير من المعاني الدقيقة التي تحتاج إلى توضيح وكشف عند كثير من الناس.

وقد شاءت حكمة الله تعالى أن يجعل في ألفاظ القرآن الكريم مجالاً لعباده في البحث والدراسة بأن يمعنوا الفكر ويستنبطوا ويفصلوا ليؤجروا ويفوزوا في الدنيا والآخرة.

وإذا كان الصحابة وهم أفصح العرب، وأعلم الناس بلغة القرآن، قد جهلوا بعض دقائقه فسألوا رسول الله ﷺ فشرح لهم وفسر.

وبما أن صحابة رسول الله ﷺ قد احتاجوا إلى التفسير وهم الذين عرفوا البلاغة العربية وفهموا أسرارها وخبروا تراكيبها فنحن اليوم وقد جهلنا القواعد الأولية للغة وانحرف لساننا عن النطق بها أحوج ما نكون إلى تفسير القرآن وبيانه.

وهذه بعض الأمثلة من الآيات القرآنية التي توقف الصحابة في فهمها. وسألوا الرسول ﷺ عنها ففسر لهم معناها وبين المراد منها.

1 ـ لما نزل قوله تعالى: **﴿والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾**[1].

فهم الصحابة من الظلم أنه ظلم فسألوا رسول الله ﷺ، وقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ ففسر النبي ﷺ الظلم بالشرك واستدل عليه بقوله تعالى: **﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾**[2].

---

(1) سورة الأنعام، الآية رقم 82.

(2) سورة لقمان، الآية رقم 13.

2 ـ قصة عدي بن حاتم لما نزل قوله تعالى: ﴿**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**﴾[1].

وعدي هذا لم يلحظ فائدة قوله تعالى: ﴿**من الفجر**﴾ فوضع من الليل تحت رأسه عقالاً أبيض وعقالاً أسود ليرقب متى يميز الضوء بينهما فنظر إليهما قرب الصباح وبعد الفجر فلم يتبين له الأبيض من الأسود فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال له النبي ﷺ: «إنك لعريض القفا إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل».

فقد وصفه الرسول بقلة الفهم وعدم بذل الجهد ولكنه اجتهد وأخطأ وقد صوب الرسول ﷺ اجتهاده في تفسير الآية.

3 ـ عمر بن الخطاب يقرأ قوله تعالى: ﴿**وفاكهة وأباً**﴾[2].

فيقول هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟.

4 ـ ابن عباس ترجمان القرآن لا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿**فاطر السماوات والأرض**﴾[3] حتى يأتيه أعرابيان يختصمان في بئر فيقول أحدهما: أنا مطرتها أي ابتدأتها. ومن هناك ندرك أهمية التفسير وحاجة الناس إليه من لدن عهد الصحابة إلى يوم الناس هذا.

ولا نبعد عن الحقيقة أن قلنا: إن تفسير القرآن وبيانه للأمة من مهمة الرسالة المحمدية بالدرجة الأولى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾[4].

---

(1) سورة البقرة، الآية رقم 186.

(2) سورة عبس، الآية رقم 31.

(3) سورة فاطر، الآية رقم 1. وكذلك في سورة الأنعام، الآية رقم 14، ويوسف الآية رقم 101، وإبراهيم الآية رقم 10، والزمر الآية رقم 46، والشورى الآية رقم 11.

(4) سورة النحل، الآية رقم 44.

أقسام التفسير:

إذا أردنا الحديث عن أقسام التفسير ينبغي أن نذكر بالمصادر الأساسية للتفسير وهي:

1 ـ تفسير القرآن بالقرآن لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً.
2 ـ تفسير القرآن بالسنة التي لا يمكن أن تفسر القرآن بما يناقضه لأنه لا تعارض ألبتة بين القرآن والسنة الصحيحة.
3 ـ تفسير القرآن بالاجتهاد المبني على فهم وتدبير من عالم محقق مدقق موفق من عنده تعالى **﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً﴾**[1]. والحكمة كما فسرها ابن عباس «هي المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه». ويشترط في هذا الاجتهاد أن يكون موافقاً لمدلول اللغة ومقاصد القرآن، وروح الإسلام.

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم التفسير إلى قسمين هما:

ـ التفسير بالمأثور.
ـ التفسير بالرأي.

أولاً ـ التفسير بالمأثور:

لا شك أن التفسير هو أول العلوم الإسلامية ظهوراً، وأول من صنف في هذا العلم عبد الملك بن جريج ت 139 من وفاة الرسول ﷺ، وقد باشر الرسول ﷺ تفسير القرآن وأذن للصحابة في مباشرة هذه المهمة ودعا عليه الصلاة والسلام لابن العباس بقوله: «اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل».

وبذلك فإن أشرف عمل يتعاطاه الإنسان تفسير القرآن فهو من أجلّ الأعمال وأرفعها قدراً وأشرفها موضوعاً وغرضاً وحاجة بيان ذلك من جهة الموضوع فلأن

(1) سورة البقرة، الآية رقم 269.

موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.

وأما من جهة الفرض فلأن الفرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى.

وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي لا بد أن يكون موافقاً للشرع، وموافقته للشرع تتوقف على العلم بكتاب الله[1].

مناهج التفسير بالمأثور:

يعتمد التفسير بالمأثور على الصحيح المنقول من تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير القرآن بالسنة لأنها جاءت مبينة لكتاب الله فهي بمثابة المذكرة التفسيرية، أو مما روى عن الصحابة لأنهم أعلم الناس بكتاب الله، أو بما قاله كبار التابعين لأنهم تلقوا ذلك في الغالب عن الصحابة، ولا ينبغي أن يكون كل ما نقله الصحابة في التفسير مسموعاً عن الرسول ﷺ بل ذكر ابن عطية عن عائشة ما كان يفسر من القرآن بضع آيات.

وهذه حقيقة أرادت تأكيدها هنا حتى تنسب جميع النقول عن الصحابة إلى رسول الله ﷺ.

وقد استخدم علماء التفسير هذا المنهج، واعتمده الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره بقوله: «إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعمل الصالح»[2].

مصادر التفسير بالمأثور:

هناك عدة مصادر للتفسير بالمأثور أهمها:

1 ـ جامع البيان لتفسير القرآن، لابن جرير الطبري الذي يوشك المفسرون جميعاً من بعده أن يكونوا عالة عليه.

---

(1) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، جـ 2 ص 175.
(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم جـ 1 ص 3 طبعة عيسى الحلبي.

ومن خصائصه:

أ ـ عرض أقوال الصحابة والتابعين.
ب ـ تحرير الأسانيد وترجيح بعضها عن بعض.
جـ ـ استنباط الأحكام.

2 ــ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير.

ومن خصائصه:

أ ـ الدقة في الإسناد.
ب ـ بساطة العبارة.
جـ ـ الوضوح في الفكرة.
د ـ ترجيح الأقوال والروايات وتصحيحها.
هـ ـ التنبيه على ما في التفسير بالمأثور من منكرات وإسرائيليات.
و ـ يتعرض للمسائل الفقهية مع ذكر الأدلة.

وقد استفاد من منهج ابن كثير السيوطي عندما ألف كتابه القيم «الدر المنثور في التفسير بالمأثور».

ومن خصائصه: اعتماده على الأخبار الصحيحة المأثورة التي تجعله أقرب إلى الفكرة الإسلامية منه إلى الشروح الإنسانية[1].

3 ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي.

ومن خصائصه:

أ ـ سهولة العبارة.
ب ـ كثرة الاستشهاد بالشعر العربي.
جـ ـ العناية بالشواهد العربية في الأدب العربي.
د ـ الاهتمام بالصناعة النحوية.

وهو أهم من تفسير الزمخشري وأصح منه نقلاً وأبعد عن البدع، وقد

(1) الدكتور صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ص 291.

رجحه بعض العلماء على غيره من التفاسير بالمأثور[1].

القيمة العلمية للتفسير بالمأثور:

ليس خافياً على أحد أن التفسير بالمأثور معرض في الكثير الغالب للنقد الشديد في عصرنا الحاضر، والسبب في ذلك أن الصحيح من الروايات قد يختلط بغير الصحيح وذلك بسبب التوسع في النقل والإكثار منه بدون تمييز بين الصحيح والضعيف، ودون تحر لصحة الإسناد فكان من وراء ما نقلوا كثرة الإسرائيليات وكثرة من الأحاديث الموضوعة، وكثرة الدخيل من هنا وهناك.

وقد ترتب على ذلك الدس الرخيص على الإسلام، وتشويه تعاليمه من قبل الزنادقة واليهود والفرس، واستغل ضعف الرواية والنقل دون تمحيص أصحاب المذاهب الهدامة كالأحزاب السياسية التي اتخذت الدين ستاراً لإخفاء أهدافها الحقيقية، وكذلك التشيع والغرق في الترويج لمعتقداتهم المذهبية، وذلك بجمع معاني القرآن وتنزيلها وفق هواهم.

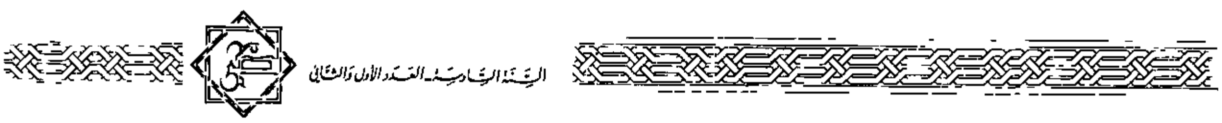
فكان على المفسر بالمأثور في عصرنا الحاضر أن يدقق في تعبيره، وأن يقرأ قراءة واعية ويفهم الفهم الصحيح، وأن يحترس في روايته ويحتاط لنفسه كثيراً في ذكر الأسانيد.

كما ينبغي على القارىء العادي غير الباحث لكتب التفسير أن يمعن النظر فلا يغتر بالنقل إلا بعد تمحيص وتدقيق.

ومهما يكن فإن التفسير بالمأثور في الجملة يعتبر ثروة علمية ضخمة كانت ولا تزال مصدراً هاماً، وموردا فياضاً لكل دارس أو باحث أو قارىء للتفسير، وهو الأساس الذي بني عليه التفسير بالرأي، وهو المنبع الأول لبيان معاني القرآن الكريم.

---

(1) الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان في كتابة البحث العلمية ومصادر الدراسات الإسلامية ص 180.



ثانياً ــ التفسير بالرأي:

هو التفسير بالاجتهاد، وقد اختلف العلماء قديماً في جوازه، وذهب البعض منهم إلى تحريمه.

والذي عليه جمهور العلماء أن التفسير بالرأي نوعان:

النوع الأول: جائز مقبول لأنه محمود.

النوع الثاني: غير جائز مردود لأنه مذموم.

فالنوع الجائز المحمود ما كان مستنداً على فهم صحيح موافقاً لمدلول اللغة ومقاصد القرآن وروح الإسلام ومتطلبات العصر بعيداً عن الجهالة والضلالة.

وفق هذا المنهج لا مانع عند العلماء من محاولة التفسير بالرأي والتفسير على هذا النحو لا يعد تفسيراً بالرأي بل هو رأي في التفسير لا مبرر لعدم جوازه.

ولسنا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن القرآن نفسه يدعو إلى هذا النوع من الاجتهاد وذلك بتفسير آيات القرآن، وفهم تعاليمه إقرأ إن شئت قوله تعالى: **﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾**[1]، وكذلك قوله تعالى: **﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليتدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾**[2].

ولو كان تفسير القرآن بالرأي غير جائز لما كان الاجتهاد جائز أصلاً، ولتعطلت بذلك كثير من أحكام الشريعة مع أن المجتهد مأجور، إن أخطأ فله أجر واحد وإن أصاب فله أجران.

وأما غير الجائز المذموم فهو ما كان صادراً عن جهالة أو عن بدعة وضلالة.

من ذلك الجزم بأن مراد الله تعالى من قوله كذا... كذا وكذا من غير برهان ولا دليل.

---

(1) سورة محمد، الآية رقم 24.
(2) سورة صٓ، الآية رقم 29.

ومن هذا القبيل محاولة تفسير القرآن مع جهل المفسر بمناهج التفسير، وعدم علمه بقواعد اللغة وأصول الشرع أو بما نسميه اليوم علوم الوسائل، وكذلك محاولة المفسر تأييد بعض الأهواء والبدع والاتجاهات الهدامة بآيات من القرآن الكريم زوراً وبهتاناً.

وعلى هذا النوع تحمل أقوال العلماء المانعين للتفسير بالرأي ومنها حديث: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».

وكان أبو بكر يقول: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم».

ولهذا السبب أحجم بعض الصحابة عن ولوج باب التفسير، وكذلك بعض التابعين وتابع التابعين وغيرهم، والقصد هو الاحتياط والورع والخوف من الوقوع في الخطأ والزلل لعدم التمكن من وسائل التفسير التي يحتاج إليها المفسر فأمسكوا عن التفسير بالرأي.

مصادر التفسير بالرأي:

من أهم مصادر التفسير بالرأي:

1 ـ مفاتيح الغيب، للفخر الرازي.

يعد هذا التفسير من أشهر التفاسير بالرأي الجائز.

ومن خصائصه:

أ ـ الاهتمام ببيان مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

ب ـ الدفاع عن منهج أهل السنة والجماعة، حامل على أهل الزيغ والضلال.

ويؤخذ عليه استرساله في شرح شبه المعتزلة قبل الرد عليهم، وأياً ما كان فإن تفسير الفخر الرازي موسوعة علمية في الفقه وعلم الكلام والأصول، والنحو والبلاغة وغير ذلك من أقوال العلماء والفلاسفة.

2 ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي.

ومن خصائصه:

أ ـ الاهتمام بتقرير الأدلة على أصول منهج أهل السنة والجماعة، ولا يفوته التنبيه على قواعد اللغة.

ومما يؤخذ على تفسير البيضاوي عدم التثبت فيما يرويه من الأحاديث في فضائل السور فأكثر مروياته فيها غير صحيح.

وإذا ما تجاوزنا هذا المأخذ فإن تفسير البيضاوي عار عن الانحراف والضلال، وهو يعتبر من أمهات كتب التفسير التي لا يستغني عنها.

3 ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود.

ومن خصائصه:

أ ـ الاعتناء ببيان المباحث المتعلقة بإعجاز القرآن.

ب ـ التذوق السليم للبلاغة القرآنية.

4 ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي.

ومن خصائصه:

أ ـ الدفاع عن وجهة نظر أهل السنة والجماعة.

ب ـ الرد على أهل البدع والأهواء.

جـ ـ الاعتناء بوجوه الإعراب والقراءات.

هذه هي أهم مصادر التفسير بالرأي قديماً فماذا عن التفسير بالرأي في عصرنا الحاضر؟.

هناك تفاسير لبعض العلماء في العصر الحديث فيها محاولات للتجديد، وقد نال البعض منها قسطاً من النجاح وجانب البعض الآخر الرضا والقبول، وأقل هذه التفاسير نجاحاً تفسير «الجواهر في تفسير القرآن» لطنطاوي جوهري، ففي هذا التفسير كل شيء ما عدا التفسير.

أما تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، فإنه نمط خاص في تأويل كلام الله يرجع به مؤلفه غالباً إلى آثار السلف محاولاً التوفيق بين هذه الآراء وبين مقتضيات

العصر الحاضر ومتطلباته، وقد حالفه النجاح في أكثر هذه المحاولات.

ويؤخذ عليه تمسكه أحياناً ببعض الآراء الضعيفة فيتنصر لها ويدافع عنها بقوة.

ومهما يكن فإن قيمة هذا التفسير ومكانته العلمية تقلل من أهمية المأخذ ويؤكد ذلك ويقويه المنهج الذي استخدمه المؤلف وتمسك به يدل على تعمقه في منهج الأسلوب القرآني ودراسته له على أنه للهداية والإعجاز.

وفي تفسير السيد قطب «في ظلال القرآن» لمحات دقيقة في فهم أسلوب القرآن في التعبير والتصوير.

ولعل القصد من تأليفه هو تبسيط المبادىء القرآنية للنشىء فهو إلى التوجيه أقرب منه إلى التعليم.

القيمة العلمية للتفسير بالرأي:

التفسير بالرأي على الرغم من استيفائه جميع الشروط التي تجعله جائزاً محموداً غير مذموم لا مبرر له إذا عارضه التفسير بالمأثور الذي ثبت لنا بالنص القطعي لأن التفسير بالرأي اجتهاد ولا اجتهاد مع النص.

أما إذا لم يكن هناك تعارض بينهما فيكون مقبولاً في هذه الحالة لأن كل منهما يؤيد الآخر ويثبته.

ولكن ماذا عن التفسير الإشاري؟.

التفسير الإشاري هو تفسير آيات القرآن بغير ظواهرها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك على حد زعم الصوفية والتفسير الإشاري إذا تعمق في الإشارات الخفية صار ضرباً من التجهيل، والذين يقولون بهذا النوع من التفسير هم الصوفية، وهذا التفسير لا يعد مقبولاً إلا ما كان منه استنباطاً حسناً يوافق مقتضى ظاهر اللغة العربية، وكان له شاهد يشهد لصحته من غير معارض.

ولقد ذكر بعض العلماء اتجاهات التفسير عند الناس وحصروها في ثلاثة هي:

أ ـ تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون.
ب ـ تفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف.
جـ ـ وتفسير على الإشارة وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم وهذا الأخير مقيد بشروط أربعة هي:

أ ـ ألا يتناقض مع المعنى العام للآية.
ب ـ أن يكون المعنى صحيحاً في نفسه.
جـ ـ أن يكون في اللفظ إشعار به.
د ـ أن يكون بينه وبين معنى الآية ترابط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الشروط الأربعة كان استنباطاً حسناً[1]، والمراد باستحسانه عدم رفضه لا وجوب الأخذ به.

الفقهاء والتفسير:

مما يتصل بأقسام التفسير وأنواعه التفسير الفقهي، ولعل من المفيد التذكير بنشأته وتطوره وأهم مصادره.

وهذا النوع من التفسير يجمع خصائص التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ويختص بتفسير آيات الأحكام.

النشأة والتطور:

ظهر هذا اللون من التفسير مع ظهور الخلاف الفقهي في فهم الآيات القرآنية بعد وفاة الرسول ﷺ وتولي فقهاء الصحابة تصريف شؤون الأمة الإسلامية وذلك عندما ظهرت قضايا جديدة فكان المرجع الأول لاستنباط الأحكام المتعلقة بهذه القضايا القرآن الكريم، والسنة الصحيحة.

والمثال على ذلك اختلاف الصحابة في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أهي وضع الحمل أم مضى أربعة أشهر أم أبعد الأجلين منهما؟.

(1) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص 357 ـ 358.

حيث قال الله تعالى: ﴿**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً**﴾[1].

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿**وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن**﴾[2].

فكانت هذه الحالة وغيرها من الحالات بداية الاختلاف الفقهي في فهم آيات الأحكام.

ومع كثرة الأحداث وتشعب المسائل ازدادت وجوه الاختلاف في فهم بعض الآيات القرآنية لتفاوت وجوه الدلالة فيها دون تعصب لمذهب بل استمساكاً بما يرى الفقيه أنه الحق، ولا يجد غضاضة إذا عرف الحق لدى غيره أن يرجع إليه.

وعندما جاء عصر الفقهاء المجتهدين أسسوا القواعد العامة لاستنباط الأحكام ووضعوا الضوابط لذلك، واستمر الأمر على هذا الحال حتى جاء عصر التقليد والتعصب المذهبي فتنوع التفسير الفقهي بتنوع المذاهب.

والذي يعنينا هنا هو أخذ فكرة عن مصادر التفسير الفقهي الشائعة والمتداولة بين الناس في هذا المجال.

مصادر التفسير الفقهي:

اعتنى العلماء قديماً وحديثاً بتفسير آيات الأحكام وأهمها:

1 ـ أحكام القرآن، للجصاصي.

يعتبر من أهم كتب التفسير عند الأحناف.

ومنهجه في التفسير يقوم على أساس تفسير الآيات المتعلقة بالأحكام الفقهية حسب ترتيبها في المصحف، وهو كثير الاستطراد لفروع المسائل.

---

(1) سورة البقرة، الآية رقم 234.

(2) سورة الطلاق، الآية رقم 4.

ومن خصائصه: تفسير آيات الأحكام على أسس أصولية وقواعد فقهية، ويروى الخلاف بين الفقهاء مع استيفاء القول فيه باستخدام الدليل، والذي يؤخذ على الجصاص ميله الشديد للفكر الفقهي.

2 ـ أحكام القرآن للكيا الهرامسي.

وهو يعد من أهم مصادر التفسير الفقهي عند الشافعية.

يتناول فيه مؤلفه آيات الأحكام فقط في جميع السور.

3 ـ أحكام القرآن، للقرطبي.

هو من أهم التفاسير في المجال الفقهي وأعظمها نفعاً.

ابتعد فيه مؤلفه عن ذكر القصص والتواريخ، واغتنى بأحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب، والناسخ والمنسوخ.

4 ـ أحكام القرآن، لابن العربي.

يعتبر من أهم كتب التفسير الفقهي عند المالكية بعد تفسير القرطبي.

ومن خصائصه: بيان أسرار القرآن وطرق استنباط الأحكام.

ومنهجه في ذلك البدء بعرض آيات الأحكام مرتبة على حسب ورودها في السور مع التعقيب على كل آية بما يستخلص منها من أحكام.

5 ـ تفسير آيات الأحكام، للشيخ محمد علي السايس من علماء الأزهر في العصر الحاضر.

ومن خصائص هذا التفسير سهولة العبارة، والتركيز على مسائل الخلاف، وحشد الأدلة، والترجيح بين الأقوال في الغالب.

ولا يتضمن هذا التفسير جميع آيات الأحكام وإنما يقوم على أساس اختيار آيات وشرحها وفق منهج الدراسة المقرر على طلاب كلية الشريعة بالأزهر.

خلاصـــة:

نقد المصادر من المسائل الهامة جداً في عصرنا الحاضر لمعرفة منهجها وطرق التآليف فيها، وبيان قيمتها العلمية ليزداد الواقف عليها ثقة بها إذا كانت رفيعة المستوى وذات قيمة علمية عالية أو يتعامل معها بحذر إذا كانت تشتمل على ما يفيد وما لا يفيد، وبذلك يتنبه الباحث إلى كيفية التعامل معها فلا يغتر بقدمها أو شهرة مؤلفيها وكثرة تداولها بين الناس وينقل منها دون نظر أو تمحيص.

والباحث في أحكام القرآن والراغب في معرفة أسراره لا يستغني بحال عن الرجوع إلى المصادر والمراجع القديمة ليتمكن من اكتشاف الثروة الفقهية والتشريعية في القرآن الكريم، وبيان مدة حاجة الإنسان في مختلف العصور والبقاع والأزمان إلى القرآن الكريم بما اشتمل عليه من قواعد عامة، ومبادىء إنسانية خالدة. وهذه الدراسة الموجهة لنقد المصادر المعول عليها في تفسير القرآن قد سلطت الضوء على القيمة العلمية ونبهت عن المثالب والمحاذير المتعلقة بالنص والمنهج ليتجاوزها القارىء والباحث فلا يتأثر بها ومنها على سبيل المثال طريقة تفصيل الكلام من البدع والشبه للرد عليها.

وأنا لست من المجيدين لقراءة هذا النوع من الكتب، ولا أشجع غير المتخصصين على قراءتها لإسهابها في تقرير مثل هذه المسائل التي تشكل أكبر خطر على العامة، وقد تؤدي إلى فساد عقيدتهم.

وما أحسن ما قاله أحمد بن حنبل عندما هجر الحارث بن أسد المحاسبي وامتنع عن مجالسته بسبب تصنيفه في علم الكلام على طريقة أصحابه لمناصرة السنة قال له مستنكراً: ألست تذكر البدعة وشبهة البدعة. وأنا أعتبر الفخر الرازي متورطاً في مثل ذلك فالناظر في تفسيره يجده في تقرير الشبهة أشد منها في الانفصال عنها وفي هذا من الخطر ما لا يخفى.

ولم تسلم بقية كتب التفسير بالمأثور من التورط في هذه القضايا. وفي التفسير بالرأي يحاول بعض المفسرين تنزيل الآيات القرآنية على حسب مقتضيات

مذاهبهم، والإغراق في تأويلها لتناسب اتجاههم، وتخدم أغراضهم فيها إلى التوجيه لفكر معين أقرب منها إلى التعليم والتكوين الصحيح.

والحق أن القرآن خطاب الله للإنسانية قاطبة فلا وجه لقصر فهم معانيه وأحكامه على قول قائل أو تفسير مفسر بل يجب على كل إنسان الاعتناء بعلوم الوسائل التي تعين على فهم نصوص القرآن وتيسير الاستفادة منه في مجال الهداية والتشريع.

ثبت بعض المراجع المستخدمة في البحث

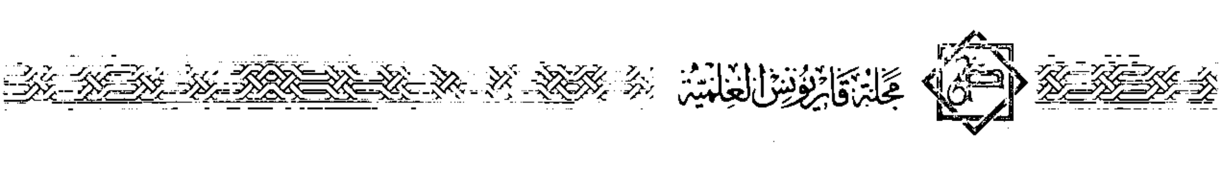
1 ـ الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي.
2 ـ تفسير القرآن الكريم، لابن كثير.
3 ـ مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح.
4 ـ كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان.
5 ـ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان.

التغيرات الهيكلية وأثرها على وضع وتنفيذ السياسات العامة في ليبيا

إعداد: الدكتور/ محمد زاهي المغيربي

أستاذ العلوم السياسية

كلية الاقتصاد ـ جامعة قاريونس


مجلة قاريونس العلمية

تمثل هذه الورقة محاولة أولية لتحديد بعض المؤشرات المبدئية والانطباعات العامة، حول تأثير التغيرات الهيكلية المختلفة في ليبيا على وضع السياسات العامة في مختلف المجالات والقطاعات وتنفيذها وكفاءتها.

أولاً ـ أهمية تحليل السياسة العامة:

لقد برز مدخل السياسة العامة المقارنة رد فعل على تركيز المدخل التنموي في حقل السياسة المقارنة على جانب المدخلات، ولم يكن مدخل السياسة العامة يسعر فقط إلى التأكيد على عملية اتخاذ القرارات في الدولة، وعلى جانب المخرجات والسياسات العامة، ولكنه كان يسعى أيضاً إلى تبيان أن هذه السياسات العامة لها تأثير عكسي (من خلال عملية الاسترجاع والتغذية العكسية) على الرأي العام، وعلى تنافس الجماعات المصلحية، وعلى المطالب والمدخلات التي تدخل إلى النظام السياسي. وعليه فإن تحليل السياسة العامة يغلق دائرة العملية السياسية، فمن المدخلات، إلى صنع القرارات، إلى السياسة العامة، إلى عملية الاسترجاع والتغذية العكسية، فإلى المدخلات من جديد.

وفي واقع الأمر، فإن مدخل السياسة العامة كان استجابة وتعبيراً عن وجهة النظر القائلة بأن الدولة ـ في البلدان النامية والمتقدمة على حد سواء ـ ليست مجرد انعكاس للمجتمع من جانب المدخلات، ولكنها تقوم بتوفير وتقديم البرامج الفعالة والخدمات والسياسات العامة، التي تساعد على تشكيل المجتمع وتغييره، وبالتالي تؤثر على مطالبه ومدخلاته إلى النظام السياسي.

ولقد شهدت أواخر السبعينيات اهتماماً متزايداً بالدراسة المقارنة للسياسة العامة بين مختلف الدول والنظم السياسية، وأصبح حقل السياسة العامة المقارنة حقلاً فرعياً متنامياً في إطار السياسة المقارنة، ويمكن إرجاع هذا الاهتمام المتزايد إلى مجموعة من العوامل[1]:

1 ــ تطور أساليب تحليل البيانات التي تعتمد على الحاسب الآلي، مما سمح بالدراسات المقارنة الواسعة النطاق. وفي معظم الحالات تعاملت هذه الدراسات مع الجوانب الأكثر قابلية للقياس الكمي مثل تحليل الميزانيات والإنفاق العام.

2 ــ رد الفعل القوي ضد تركيز التيار السلوكي في السياسة المقارنة على جانب المدخلات، مع إهماله وتجاهله لجانب المخرجات.

3 ــ الإحساس الذي ساد بين العديد من العلماء بأن علم السياسة لم يحقق إحدى أهم وظائفه التقليدية، وبالتحديد التعامل مع القضايا والمشاكل الرئيسية التي تواجه العالم، وأن علم السياسة يجب أن يكون على صلة وثيقة بما يجري في أرض الواقع السياسي، وأن يساهم في حل القضايا والمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية المختلفة.

4 ــ لعل أهم عامل ساعد على التركيز على السياسة العامة هو تزايد دور الحكومة في حياة الأفراد والجماعات في جميع دول العالم. فالحكومات تقوم الآن بتنظيم عدد أكبر من النشاطات، وتوفر أعداداً كثيرة ومتباينة من السلع والخدمات، وتقوم بتوظيف نسبة كبيرة من القوة العاملة. ويبرز ذلك كله من خلال الإنفاق العام كنسبة من الدخل القومي الإجمالي لمعظم الدول.

---

(1) Howard Leichter. «Comparative Public Policy: Problems and Prospects». In Louis J. Cantori and Andrew H. Ziegler, Jr. (eds.) **Comparative Politics in the Post-Behavioral Era.** (Boulder: Lynne Rienner Publishers, 1988), PP. 338-339.

وتتسم أدبيات السياسة العامة المقارنة باحتوائها على الأقل على أربعة عناصر رئيسية[2]:

أ ــ الاهتمام بالعملية السياسية.

ب ــ إدراك تعقد وتشابك السياسة العامة، مع إدراك الحاجة إلى تركيز البحث على قطاعات مختلفة من السياسة العامة.

جـ ــ الاتجاه نحو دراسة مقارنة فعلية بين مختلف الدول والنظم السياسية، مصحوبة بتحديد أكثر دقة لمجالات السياسة العامة.

د ــ دمج الإدارة العامة في دراسة السياسة العامة، وذلك من خلال إعادة اكتشاف مركزية الدولة، وأهمية الجهاز الحكومي كمتغير حاسم وأساسي في دراسات السياسة العامة في الدول المختلفة.

ومن أهم القضايا المثارة في تحليل السياسة العامة المقارنة هي قضية تحديد أثر خصائص النظام السياسي على طبيعة السياسات العامة ونوعيتها وفعاليتها. ومن خلال الدراسات الأولية حول السياسة العامة، توصل العديد من الباحثين إلى أن العوامل السياسية وطبيعة النظام السياسي هي متغيرات غير مهمة في تحديد السياسات العامة. كذلك فإن دراسات السياسة العامة المقارنة في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات اعتمدت على تحليل البيانات التجميعية (Aggregate Data)، وتوصلت إلى أن خصائص نظام الحكم لا تفسر الاختلافات المختلفة الملحوظة في السياسات العامة للدول المختلفة، وأن المتغيرات الأخرى، وبالذات الخصائص الاجتماعية والاقتصادية، هي الأكثر قدرة على تفسير هذه الاختلافات في أنماط السياسة العامة[3].

---

(2) Lawrence S. Graham, «Public Policy and Administration in Comparative Prespective», in Howard J. Wiarda, (ed.) **New Directions in Comparative Politics,** Revised Editkion (Boulder: Westview Press, 1991), P. 171.

(3) Jan-Erik Lane and Svante Ersson, «Comparative Politics; from Political Sociology to Comparative Public Policy». in Andrain Leftwich, (ed.) **New Developments in Political Science.** (England; Edward Elger, 1990), P. 73.

ولكن الاهتمام المتزايد بجانب المخرجات في علم السياسة بصفة عامة. وفي حقل السياسة المقارنة بصفة خاصة، أدى إلى محاولة فهم وتحليل الاختلافات بين السياسات العامة للدول المختلفة. ولقد أدى ذلك إلى إعادة النظر في النتائج الأولية التي لم تعط لخصائص النظام السياسي أيَ دور في تفسير اختلافات السياسة العامة. بعبارة أخرى، هل الاختلافات البنيوية بين الدول المختلفة، فيما يتعلق بالبنى الحكومية وحقوق المواطنين ونشاطات الأحزاب السياسية والجماعات المصلحية، لها صلة باختلاف وتباين سياسات التخصيص والتوزيع وغيرها من السياسات العامة في تلك الدول. وللإجابة على هذه التساؤلات اهتمت دراسات السياسة العامة المقارنة بمناقشة موضوع تأثير خصائص النظام السياسي على السياسات العامة ونواتجها، أي البحث في العلاقة بين طبيعة النظام السياسي وبين مخرجات ونواتج السياسة العامة[4].

وفي إطار مختلف، ركز بعض الباحثين على الأسس والمعايير والمبادىء العامة التي يجب الاستناد عليها عند تقييم السياسات العامة للنظم السياسية المختلفة، بغض النظر عن طبيعتها وخصائصها، لمعرفة مدى قدرتها على توفير مجموعة من القيم الأساسية التي تهدف إلى الرفع من مستوى الأفراد والجماعات في جميع المجالات الإنسانية والاقتصادية والثقافية والسياسية، التي تؤدي إلى ضمان وتأمين الحقوق الإنسانية الأساسية في المجتمع. ومن أهم المعايير العامة لتقييم السياسات العامة ما يلي[5]:

1 ـــ مدى صدور هذه السياسات العامة من السلطات الشرعية المخولة باتخاذ هذه السياسات العامة.

2 ـــ مدى تحقيق هذه السياسات العامة لمبدأ العدالة بين الأفراد والجماعات المختلفة.

3 ـــ مدى كفاءة هذه السياسات العامة في تحقيق الأهداف المنشودة.

---

(4) Ibid., P. 74.

(5) Charles W. Anderson, «The Place of Principles in Policy Analysis», **American Political Science Review**. Vol. 73, No. 3, (September 1979), PP. 711-723.

ويلاحظ هنا أن مبدأ الكفاءة يستند على توافر المبدأين الآخرين، بمعنى أن كفاءة السياسة العامة لا تغني عن ضرورة عدالتها مثلاً. وفي الوقت نفسه، فإنه يمكن افتراض وجود سياسة عامة عادلة، ولكنها أقل كفاءة من غيرها.

من ناحية أخرى، يرتبط تقييم السياسات العامة بمدى استقرار وثبات البنى والهياكل والمؤسسات السياسية والإدارية التي تقوم بوضع وتنفيذ السياسة العامة للمجتمع في مختلف المجالات والقطاعات، حيث إن ثبات واستقرار هذه المؤسسات يؤثر بصورة مباشرة على مدى كفاءة وضع السياسات العامة المختلفة وتنفيذها.

ثانياً ــ أثر التغيرات الهيكلية على السياسة العامة في ليبيا[6]:

يتضح مما سبق أن من أهم المؤثرات التي تحد من كفاءة السياسات العامة هي مدى استقرار وثبات الهياكل السياسية والإدارية المختصة بوضع وتنفيذ ومتابعة هذه السياسات. وعند مناقشة وضع وتنفيذ السياسة العامة في ليبيا يبرز بوضوح كيف أن التغيرات الهيكلية المستمرة خلال الثمانينيات أثرت وستؤثر بالضرورة على كفاءة وفعالية السياسات العامة في مختلف المجالات؛ وذلك نظراً لأن هذه التغيرات لمست مختلف المستويات الإدارية والتنفيذية، ويتضح ذلك من خلال استعراض التغيرات المختلفة في هيكلية البلديات، واللجنة الشعبية العامة واللجان الشعبية العامة النوعية.

1 ــ البلديات والفروع البلدية:

في عام 1977، وبعد إعلان سلطة الشعب، كانت ليبيا مقسمة إلى عشر محافظات تتكون من مجموعة من البلديات يبلغ عددها 46 بلدية. وفي عام 1979 تم إلغاء المحافظات وتم تقسيم ليبيا إلى 46 بلدية، وتم تقسيم كل بلدية

(6) بيانات هذا القسم من الدراسة مأخوذة من أعداد متفرقة من الجريدة الرسمية التي تصدرها اللجنة الشعبية العامة للعدل.

إلى مجموعة من الفروع البلدية بلغ مجموعها 174 فرعاً بلدياً. وفي عام 1980 تم إعادة تنظيم البلديات إلى 25 بلدية و 173 فرعاً بلدياً. وفي عام 1986 تم تخفيض البلديات إلى 13 بلدية وعدد الفروع البلدية إلى 53 فرعاً بلدياً. ومرة أخرى تم تخفيض البلديات إلى 7 بلديات والفروع البلدية إلى 40 فرعاً بلدياً عام 1990. وفي نهاية عام 1992 تم إلغاء نظام البلديات والفروع البلدية بالكامل.

إن هذه التغيرات لا بد أن تؤثر على هيكلية وكفاءة أداء اللجان الشعبية النوعية، وذلك نظراً لأن عدد أعضاء اللجان الشعبية النوعية يرتبط بعدد البلديات. وباستعمال اللجنة الشعبية العامة للتعليم كمثال، فإن الجدول رقم (1) يبين مدى تأثر حجم اللجنة الشعبية العامة للتعليم بهذه التغيرات، وما يصاحب ذلك من تغيرات إدارية وإعادة توزيع للحدود والاختصاصات الإدارية والتنفيذية، مما سيؤثر بالضرورة على استقرار اللجان الشعبية النوعية وكفاءة أدائها.

جـــدول رقـــم (1)

تغير هيكلية البلديات وأثرها
على حجم اللجنة الشعبية العامة للتعليم

	1979	1980	1986	1990	نهاية 1992	1993
عدد البلديات	46	25	13	7	—	—
عدد الفروع البلدية	174	173	53	40	—	—
عدد أعضاء اللجنة الشعبية العامة للتعليم	46	25	13	7	1500 تقريباً	425 تقريباً

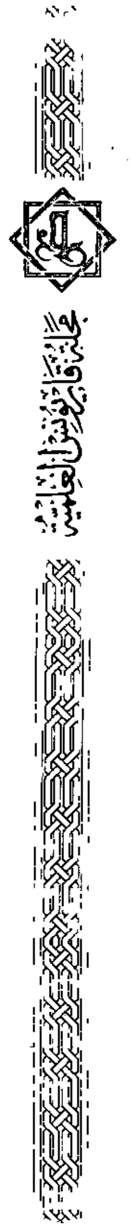
2 ـ اللجنة الشعبية العامة:

شهدت اللجنة الشعبية العامة هي الأخرى العديد من التغيرات، سواء من حيث هيكليتها ومدتها التي تجعل من الصعب وضع وتنفيذ سياسات عامة مستقرة ومتسقة. ولقد تم تصعيد أول لجنة شعبية عامة من قبل مؤتمر الشعب العام في مارس 1977، وحتى نوفمبر 1992 تم تعديلها 13 مرة بمتوسط 15 شهراً لكل لجنة شعبية عامة. وتولى أمانة اللجنة الشعبية العامة خلال هذه الفترة (1977 ـ 1992) خمسة أمناء، تراوحت مدة خدمتهم ما بين سنتين وست سنوات.

ومن ناحية أخرى تعرضت تركيبة اللجنة الشعبية العامة وحجمها (عدد الأمانات النوعية) إلى العديد من التغيرات، فلقد تغير حجم اللجنة الشعبية العامة عدة مرات خلال نفس الفترة من 26 أمانة كحد أقصى إلى 11 أمانة كحد أدنى كما يتبين من الشكل رقم (1). وهذا يعني إلغاء أمانات ودمج أمانات وإضافة أمانات جديدة. وليس من الصعب إدراك مدى تأثير ذلك على تخطيط إدارة السياسات العامة والقرارات المختلفة وتنفيذها.

3 ـ اللجان الشعبية النوعية:

وتتضح أهمية هذه التغيرات وتأثيرها على مختلف السياسات العامة من خلال مناقشة التغيرات الهيكلية، وعمليات الفصل والدمج والإلغاء التي شهدتها بعض الأمانات المهمة والأساسية، مثل أمانات اسناع الاقتصادي (جدول رقم 2) وأمانات القطاع التعليم (جدول رقم 3). إن عمليات الدمج والفصل والإلغاء والإضافة التي تعرضت لها هذه الأمانات تجعل من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، إتباع سياسات وبرامج واضحة ومستقرة في هذه القطاعات، مما يؤثر بالضرورة على كفاءة وفعالية عملية التنمية الاقتصادية ومستوى الخدمات التعليمية.



شكـــل رقـــم (1)

تغير حجم اللجنة الشعبية العامة (1977 ـ 1992)

عدد الأمانات

30
25
20
15
10
5
0

26 26 21 21 22 19 19 20 20 11 11 14 19 22 22 13

77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92

السنـــة



جـدول رقـم (2)
تغيرات أمانات القطاع الاقتصادي

السنـــة	الأمـــانـــات	العـــدد
1977، 1978	أمانة التجارة، أمانة الخزانة، أمانة التخطيط	3
1979، 1980، 1981	أمانة الاقتصاد، أمانة الخزانة، أمانة التخطيط	3
1982، 1983، 1984	أمانة الاقتصاد والصناعات الخفيفة، أمانة الخزانة، أمانة التخطيط	3
1985	أمانة التخطيط والاقتصاد، أمانة الخزانة	2
1986، 1987، 1988، 1989	أمانة الاقتصاد والتجارة الخارجية، أمانة التخطيط، أمانة الخزانة	3
1990، 1991، 1992	أمانة تخطيط الاقتصاد، أمانة الخزانة	2
نوفمبر 1992	أمانة التخطيط والتجارة والمالية	1

جـدول رقـم (3)
تغيرات أمانات قطاع التعليم

السنـــة	الأمـــانـــات	العـــدد
1977ـ 1983	أمانة التعليم	1
1984	أمانة التعليم، أمانة الجامعات	2
1985	أمانة التعليم، أمانة الجامعات، أمانة البحث العلمي	3
1986 ـ 1987	أمانة التعليم والبحث العلمي	1
1988 ـ 1989	أمانة التعليم والبحث العلمي، أمانة التكوين والتدريب المهني	2
1990 ـ 1992	أمانة التعليم، أمانة التعليم العالي، أمانة البحث العلمي، أمانة الشباب والرياضة، أمانة التكوين والتدريب المهني	5
نوفمبر 1992	أمانة التعليم والشباب والبحث العلمي والتكوين المهني	1

وإذا أخذنا قطاع التعليم، وبالذات التعليم الجامعي كنموذج لهذه التغيرات، فإنه يمكن ملاحظة الآتي:

1 ـ تعدد اللوائح والقرارات التي تنظم وتعيد تنظيم اللجنة الشعبية العامة للتعليم والتعليم والعالي والبحث العلمي، والتي تم من خلالها دمج وفصل الإدارات والأقسام المختلفة، مما أثر على استقرار هذه الإدارات والأقسام. وبالتالي صعوبة وضع خطط وسياسات تعليمية واضحة ومحددة.

2 ـ تعدد اللوائح والقرارات المنظمة للدراسة والامتحانات سواء على مستوى الدراسات الجامعية أو الدراسات العليا، مما أصبح معه من الصعب تحديد أي اللوائح والقرارات سارية المفعول، ومما أدى إلى اختلاف الجامعات والكليات داخل الجامعة الواحدة في تفسير هذه اللوائح والقرارات وتطبيقها.

3 ـ من أهم النتائج المترتبة على هذه التغيرات والتعديلات المتواصلة تأثر قدرة أمانة التعليم وكفاءتها على وضع سياسات واضحة ومستقرة، فيما يتعلق على سبيل المثال بالتنسيب إلى الجامعات ومدى كفاءة وعدالة عملية التنسيب، ويتضح ذلك مما يلي:

أ ـ عمليات إعادة التنسيب المتكررة التي تحدث كل عام دراسي، وكذلك الاستثناءات المتعددة من النسب المقررة التي تمنح للعديد من الطلبة استناداً على معايير غير واضحة وغير محددة مثل معيار المناطق النائية وغيره من المعايير، التي يساء استخدامها وتأويلها، والتي تخل بمبدأ عدالة وكفاءة التنسيب.

ب ـ تغير نسب الحد الأدنى للقبول في الكليات المختلفة من سنة لأخرى، وبين الدول الأول والدور الثاني في السنة الواحدة بصورة اعتباطية، ودون وجود خطة واضحة ومدروسة بهذا الخصوص.

جـ ـ عدم وجود أي ارتباط بين عدد الطلبة الذين يتم تنسيبهم للكليات المختلفة وبين عدد الطلبة المقبولين فعلياً في تلك الكليات، مما يعكس، من جانب، عدم فعالية سياسة التنسيب، ومما يدل، من

جانب آخر، على عدم قدرة أمانة التعليم والتعليم العالي على فرض سياسة محددة وواضحة للتنسيب وتنفيذها.

وتنطبق هذه الملاحظات على مختلف القضايا والتباينات المتعلقة بالعملية التعليمية، مما يؤثر سلباً بالضرورة على سياسة التعليم بصفة عامة والتعليم الجامعي بصفة خاصة. الأمر الذي ينعكس بصورة مباشرة على أداء وكفاءة النظام التعليمي.

ولقد تأثر القطاع الاقتصادي كذلك بهذه التغيرات الهيكلية بصورة واضحة، مما أدى إلى عدم وضوح السياسات الاقتصادية المتبعة في الدولة وعدم استقرارها. ويبرز ذلك من خلال الأمثلة التالية:

1 ـ تعدد اللوائح والقرارات التي تنظم وتعيد تنظيم اللجان الشعبية النوعية المتعلقة بالقطاع الاقتصادي (جدول رقم 2).

2 ـ تعدد وتضارب اللوائح والقرارات المنظمة للتجارة الداخلية والخارجية على سبيل المثال. فمن قصر التجارة الداخلية والخارجية على الشركات العامة التابعة للدولة، إلى السماح بمزاولة النشاطات الاقتصادية المختلفة للأفراد والجماعات بطريقة غير منظمة، والسماح بالاستيراد بدون تحويل عملة بصورة رسمية. مما أدى إلى انتشار الفوضى في النشاط الاقتصادي، وإلى بروز السوق السوداء، وإلى سيطرة النشاط الطفيلي غير المنتج، وانخفاض قيمة الدينار الليبي وغير ذلك.

3 ـ كذلك، لم يعد بإمكان أمانات القطاع الاقتصادي متابعة قراراتها وسياساتها العامة المختلفة، سواء المتعلق منها بتحديد أوجه الإنفاق والسيطرة على الأسعار، أو توزيع السلع والخدمات وما إلى ذلك.

4 ـ من ناحية أخرى، فإن هذه التغيرات أثرت بصورة مباشرة على قدرة هذه الأمانات، على جميع وتوفير البيانات والمؤشرات الاقتصادية الأساسية واللازمة لاتخاذ سياسات اقتصادية واضحة وسليمة. فمن الملاحظ عدم توفر بيانات حول مستوى التضخم ومؤشرات التجارة الداخلية والخارجية، وأنماط الاستهلاك ومستويات الدخل وغيرها من المتغيرات، مما أدى إلى تخطيط السياسات الاقتصادية المختلفة وتضاربها.

ملاحظـــات ختـاميـــة:

من خلال الأمثلة السابقة المتعلقة بقطاع التعليم وقطاع الاقتصاد يتضح أن أهم أسباب المشاكل والاختناقات والأزمات التي تعرض لها هذان القطاعان تتمحور حول عدم استقرار هذين القطاعين، وبالتالي عدم وجود رؤية واضحة وثابتة حول طبيعة السياسات العامة واتجاهها.

ولقد كان من أهم نتائج هذه المشاكل الاختناقات هي محاولة الدولة التخلي عن الكثير من السياسات الاقتصادية والتعليمية التي تم وضعها في أوائل الثمانينيات، والتي جعلت الدولة المحتكر الوحيد للنشاط الاقتصادي والموظف الرئيسي في المجتمع، وذلك من خلال السماح بمزاولة الأنشطة الاقتصادية الفردية، وتخلي الدولة عن التزامها بتوظيف الخريجين في القطاعات المختلفة، إلى جانب الدعوة إلى إلغاء مجانية التعليم. وفي هذا الإطار يمكن ملاحظة الآتي:

أولاً: إن الدولة لا تستطيع ولا يجب أن تتخلى عن دورها ومسؤوليتها في مجال توفير بعض الخدمات الأساسية والضرورية مثل التعليم والصحة، وإن إعادة الهيكلة لا تعني تخلي الدولة عن هذا الدور. بل إن الأمر يتطلب ضرورة وضع السياسات العامة الفعالة والناجحة وتنفيذها. ولن يتأتى ذلك إلا باستقرار وثبات المؤسسات السياسية والإدارية المختصة بوضع وتنفيذ هذه السياسات العامة.

ثانياً: إن الدولة لا يمكن لها أن تتخلى فجأة وبدون مقدمات عن مسؤوليتها في قطاع التوظيف والعمالة؛ وذلك لأن السياسات والتدابير الاقتصادية في أوائل الثمانينيات قضت بصورة شبه نهائية على مقدرة القطاع الخاص على استيعاب الأعداد المتزايدة من قوة العمل الليبية.

وعليه، فإن إعادة الهيكلة يجب أن تتم بصورة منظمة وواضحة، تفسح المجال للقطاع الخاص للمشاركة المنظمة والفعالة في جميع المجالات الاقتصادية، وليس بالصورة الحالية التي تتسم بالتخطيط وعدم الوضوح، والتي لا توفر الإمكانات الضرورية لهذا القطاع، ولا تسمح بتوافر الثقة في جدية واستقرار هذه السياسات الاقتصادية، لدى الأفراد والجماعات المختلفة.


مجلة قاريونس العلمية

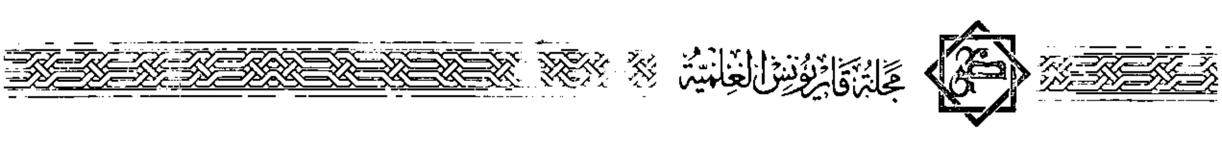
الاختلافات في الأداء أو التحصيل العلمي لطلبة جامعة قاريونس حسب الكليات

إعـــداد

د. كشاب شندرا بويان   د. محمد نور الزمان

أ. ياسمينة أبو زيد الفقيه

كلية العلوم


مجلة قاريونس العلمية

الـملــخــص

في هذه الورقة البحثية تم دراسة الاختلافات في الأداء أو التحصيل العلمي، والعوامل التي تؤدي إلى ظهور هذه الاختلافات لطلبة مختلف الكليات في جامعة قاريونس، حيث يقاس أداء الطلبة أو تحصيلهم العلمي بالمعدل العام للطلبة (G.P.A.). متوسطات المعدل العام للطلبة في مختلف الكليات كان يختلف معنوياً، وأعلى متوسط للمعدل العام كان لطلبة كلية الاقتصاد.

في هذه الدراسة تم إنشاء خمسة خطوط انحدار منفصلة عن بعضها البعض لطلاب خمس كليات حيث كان المعدل العام للطلبة (G.P.A.) متغيراً تابعاً، وكانت خطوط الانحدار الخمسة متجانسة بالنسبة للجزء المحصور بين المستقيمين والميل.

1 ـ المقـدمــة:

جامعة قاريونس تمنح درجة البكالوريوس والماجستير للطلبة الليبيين وغير الليبيين المسجلين في مختلف الأقسام التابعة للكليات الخمس، وهذه الكليات هي كلية الآداب والتربية، كلية الاقتصاد، كلية الهندسة، كلية القانون، كلية العلوم.

هناك افتراض عام بأن الطالب الجيد في الدراسة الثانوية الذي له نسبة نجاح أعلى يفضل التسجيل في كلية الهندسة، وتأتي بعدها كلية العلوم ثم الاقتصاد ثم الكليات الأخرى.

ونتيجة لأداء الطلبة في مختلف الكليات سوف يختلف مستوى أحدهم عن الآخر، وبالتالي يختلف المعدل العام للطلبة (.G.P.A) الذي يفترض أنه يتأثر بالحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة.

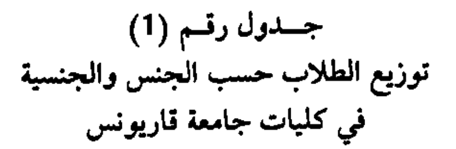
وفي دراسة أخرى سنة 1993 م للأستاذين الباحثين بويان ونور الزمان وجدا أن متوسط الأداء أو التحصيل العلمي للطالب يختلف باختلاف الجنسية في مختلف الكليات، وهدف الدراسة الحالية هو بحث الأسباب التي تؤدي إلى تجانس معدلات الطلبة في مختلف الكليات.

2 ـ الطـريقـة:

تم تجميع بيانات هذه الدراسة من 462 طالباً من جامعة قاريونس خلال فصل الخريف للعام الجامعي 1992 ـ 1993 م وبلغ عدد الطلبة 18875 طالباً في جامعة قاريونس خلال هذا الفصل. تم اختيار 462 منهم لغرض الدراسة عن طريق مجموعة من طلبة قسم الإحصاء. ونظراً لعدم توفر المعلومات حول بعض الطلاب أصبح عدد الخاضعين لهذه الدراسة 420 طالباً فقط منهم 205 طالب في كلية العلوم، 75 طالباً في كلية الآداب والتربية، 54 طالباً في كلية الهندسة، 61 طالباً في كلية الاقتصاد، 25 طالباً في كلية القانون.

تم تصنيف هؤلاء الطلاب حسب الجنسية والجنس، وهذا التصنيف مبين بالجدول الآتي:





جـدول رقـم (1)
توزيع الطلاب حسب الجنس والجنسية
في كليات جامعة قاريونس

الكليـة	الجنسيـة						المجمـوع	
	لِيبيين			غيـر ليبيين				
	ذكور	إناث	م جزئي	ذكور	إناث	م جزئي		%
الآداب والتربية	24	41	65	6	4	10	75	17.9
الاقتصاد	33	19	52	3	6	9	61	14.5
الهندسة	31	14	45	8	1	9	54	12.9
القانون	11	14	25	0	0	0	25	5.9
العلوم	93	76	169	23	13	36	205	48.8
المجموع	192	164	356	40	24	64	420	100

تم تجميع هذه البيانات من خلال استبيان مصمم، تم توزيعه على الطلاب موضوع الدراسة عن طريق مجموعة من طلاب قسم الإحصاء.

ويحتوي هذا الاستبيان على:

المتوسط العام لدرجات الطالب أو المعدل العام (G.P.A.) ويشار إليه بالمتغير Y، الجنس (X_1)، الفصل الدراسي (X_2)، ومستوى الأب الدراسي (X_3)، وظيفة الأب (X_4)، عمر الأب (X_5)، دخل الأب (X_6)، مستوى الأم التعليمي (X_7)، وظيفة الأم (X_8)، عمر الأم (X_9)، والجنسية (X_{10}).

حيث قيست بصفر (0) للطلبة الليبيين و (1) لغير الليبيين، كما أشير إلى مصاريف الدراسة بالرمز (X_{11})، والاتفاق الشهري للعائلة بالرمز (X_{12}).

التحصيل العلمي أو الأداء لطلاب كلية الآداب والتربية وكلية القانون حدد له الأرقام الآتية: 3، 2، 1 حيث تشير (1) إلى الطلاب الناجحين بتقدير مقبول، (2) للطلاب الناجحين بتقدير جيد، والرقم (3) يشير إلى الناجحين بتقدير جيد جداً.

طبقاً لهدف الدراسة كنا مهتمين بإنشاء خمسة نماذج انحدار مبينة في (1):

$$Y_{ij} = \beta_0 + \beta_1 X_{1ij} + \beta_2 X_{2ij} + \beta_3 X_{3ij} + \beta_4 X_{4ij} + \beta_5 X_{5ij} + \beta_6 X_{6ij} \quad [1]$$
$$+ \beta_7 X_{7ij} + \beta_8 X_{8ij} + \beta_9 X_{9ij} + \beta_{10} X_{10ij} + \beta_{11} X_{11ij} + \beta_{12} X_{12ij} + e_{ij}$$

حيث إن:

$$j = 1, 2, 3, 4, 5, \qquad \& \qquad i = 1, 2, 3, \ldots\ldots, ni$$

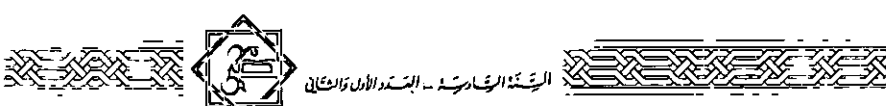
وتشير مجموعة β إلى معاملات الانحدار في النموذج، أما Y_{ij} فيشير إلى المعدل العام (G.P.A.) للطالب j في الكلية i.

كما تشير X_{kij} إلى قيمة المتغير K مقاسة من الطالب j في الكلية i.

حيث إن: $K = 1, 2, \ldots\ldots, 12$.

$$n_1 = 75 \;,\; n_2 = 61 \;,\; n_3 = 54 \;,\; n_4 = 25 \;,\; n_5 = 205$$

هدفنا هنا اختبار تجانس نماذج الانحدار الخمسة المبينة في (1)، حيث لاحظنا خلال إنشاء هذه النماذج أن بعض المتغيرات المستقلة مرتبطة مع بعضها



البعض وعليه فقد استبعدت المتغيرات التي بها (small eigen value) من النموذج، وبعد استبعاد هذه المتغيرات أصبح النوذج:

$$Y_{ij} = \beta_0 + \beta_1 X_{1ij} + \beta_2 X_{2ij} + \beta_3 X_{3ij} + \beta_6 X_{6ij} + \beta_7 X_{7ij} + \beta_{10} X_{10ij} + e_{ij} \quad [2]$$

باستخدام نظام المصفوفات يمكن كتابة النموذج السابق (2) كالآتي:

$$Y_i = X_i \beta + \varepsilon_i \quad [3]$$

$$i = 1, 2, 3, 4, 5$$

وباستخدام طريقة المربعات الصغرى العادية (O.L.S.) يمكن تقدير β حيث:

$$\hat{\beta} = (X_i' X_i) - 1 X_i'Y_i$$

حيث:

$$Y_i = [\, y_{i1} \; y_{i2} \text{———} \; y_{ini} \,]'$$

$$\beta = [\; \beta_0 \quad \beta_1 \quad \beta_2 \quad \beta_3 \quad \beta_6 \quad \beta_7 \quad \beta_{10} \;]$$

$$X_i = \begin{bmatrix} 1 & X_{1i1} & X_{2i1} \cdots\cdots & X_{10i1} \\ 1 & X_{1i2} & X_{2i2} \cdots\cdots & X_{10i2} \\ \vdots & \vdots & \vdots & \vdots \\ 1 & X_{1ini} & X_{2ini} \cdots\cdots & X_{10ini} \end{bmatrix}$$

وهنا $(K' = 7)$

من [3]

$$S_i^2 = Y_i'Y_i - \hat{\beta}'X_i'Y_i$$

(S_i^2) تتوزع توزيع كاي تربيع بدرجات حرية $(n_i - K')$

إذا كانت النماذج المبينة في [3] غير متجانسة، يمكن أن يكون هناك تغيرات في معاملات الجزء المحصور بين المستقيمين ومعاملات الميل. وهنا نفترض أن هناك تغيراً في الجزء المحصور، وبذلك يمكن كتابة [3] على الصورة التالية:

$$Y = Z\ \Theta + \varepsilon \quad [4]$$

حيث:

$Y = [\, y_1\ y_2\ y_3\ y_4\ y_5 \,]'$ &

$Z = [\, A\ X \,]$ & $\Theta = [\, \alpha\, \beta \,]'$

$\alpha = [\, \alpha_2\ \alpha_3\ \alpha_4\ \alpha_5]$ & $X = [\, X_1\ X_2\ X_3\ X_4\ X_5 \quad]$ &

$$A = \begin{bmatrix} O_{n1} & O_{n1} & O_{n1} & O_{n1} \\ I_{n2} & I_{n2} & I_{n2} & I_{n2} \\ O_{n3} & I_{n3} & O_{n3} & O_{n3} \\ O_{n4} & O_{n4} & I_{n4} & O_{n4} \\ O_{n5} & O_{n5} & O_{n5} & I_{n5} \end{bmatrix}_{n * 4}$$

&

$$O_{ni} = \begin{bmatrix} O \\ O \\ \vdots \\ O \end{bmatrix}_{ni * 1} \quad \& \quad I_{ni} = \begin{bmatrix} 1 \\ 1 \\ \vdots \\ 1 \end{bmatrix}_{ni * 1}$$

من [4] يمكن حساب $(S_i 2)$ حيث:

$$S^2 = Y'\,Y - \hat{\Theta}'\,Z'\,Y$$

S^2 تتوزع توزيع كاي تربيع بدرجات حرية $(n - k' - 4)$ حيث $(n = \Sigma\, ni)$.

مرة أخرى يمكن كتابة النموذج رقم [3] على النحو التالي:

$$Y = X\beta + \varepsilon \qquad [5]$$

من [5] لدينا:

$$S_1^2 = Y'Y - \hat{\beta}'X'Y$$

حيث (S_1^2) تتوزع توزيع كاي تربيع بدرجات حرية $(n - k')$ بذلك يكون مجموع المربعات الناتج من التفاضل بالنسبة للجزء المحصور بين المستقيمين كالآتي:

$$S_2^2 = S_1^2 - S^2$$

حيث (S_2^2) تتوزع توزيع كاي تربيع بدرجات حرية 4.

ولاختبار تجانس الأجزاء المحصورة في النماذج السابقة نستخدم اختبار F حيث:

$$F_1 = \frac{S_2^2 / 4}{S_1^2 / (n - k' - 4)}$$

إذا كان هناك تغيرات في معامل الميل للنماذج المبينة في [3] يمكن كتابة:

$$Y_i = X_i S_i + \varepsilon_i \qquad [6]$$

حيث:

$$S_i = [\, \beta_{oi} + \beta_{1i} + \beta_{2i} + \dots\dots \beta_{10i} \,]'$$

النماذج المبينة في [6] يمكن أن تكتب على الصورة التالية:

$$Y = M S + \varepsilon \qquad [7]$$

حيث:

$$M = \begin{bmatrix} X_1 & 0 & 0 & 0 & 0 \\ 0 & X_2 & 0 & 0 & 0 \\ 0 & 0 & X_3 & 0 & 0 \\ 0 & 0 & 0 & X_4 & 0 \\ 0 & 0 & 0 & 0 & X_5 \end{bmatrix}$$

مجموع مربعات الأخطاء في النموذج [7] يمكن إهماله ولكن مجموع S_i^2 مثلاً:

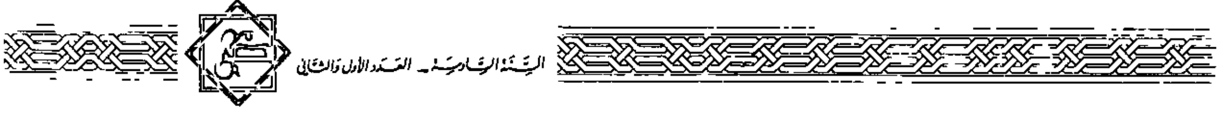
$$S_3^{\,2} = \varepsilon^5 S_i^{\,2}$$

حيث $S^2{}_3$ تتوزع توزيع كاي تربيع بدرجات حرية $(n - 5k')$ وعليه مجوع المربعات الراجع إلى الاختلافات في الميل يكون:

$$S_4^{\,2} = S^2 - S_3^{\,2}$$

$(S_4^{\,2})$ تتوزيع توزيع كاي تربيع بدرجات حرية $4\,(k - 1)$، وبالتالي لاختبار تجانس معاملات الميل نستخدم الاختبار التالي:

$$F_2 = \frac{S_4^{\,2} / 4\,(k' - 1)}{S_3^{\,2} / (n - 5\,k')}$$



ولاختبار تجانس النماذج الموجودة في [3] نستخدم الاختبار التالي:

$$F_3 = \frac{(S_4^2 + S_2^2) / 4k'}{S_3^2 / (n - 5k')}$$

التحليل السابق ممكن إذا كان S_i^2 متجانسة.

هذا الأسلوب التحليلي تابع لما قام به (Jhonston) سنة 1972 م.

3 ـ نتائج ومناقشة:

من التحاليل السابقة لاحظنا أن متوسط معدل النجاح العام (G.P.A.) لطلبة كلية الآداب والتربية وكلية الاقتصاد وكلية الهندسة وكلية القانون وكلية العلوم كان على التوالي كالآتي: 1.72، 2.30، 2.27، 1.52، 1.92. وكانت هذه متوسطات المعدل العام للطلبة حسب الكلية والجنسية والجنس، مبينة في الجدول رقم (2) كالآتي:



جـــدول رقـــم (2)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري
للمعدل العام (G.P.A.)
لطلبة الكليات المختلفة حسب الجنس والجنسية

الكليـــــــــة		الجنسيـــــــــــــــــة						المجمـوع
		ليبيـــن			غيـر ليبيـن			
		ذكور	إناث	م جزئي	ذكور	إناث	م جزئي	
الآداب والتربية	$\bar{X}$	1.75	1.70	1.73	2.00	1.80	1.90	1.72
	S.D.	0.67	0.56	0.61	0.76	0.41	0.62	0.61
الاقتصاد	$\bar{X}$	2.22	2.41	2.28	2.57	0.25	2.39	2.30
	S.D.	0.36	0.81	0.87	0.25	0.25	0.27	0.80
الهندسة	$\bar{X}$	2.27	2.34	2.29	2.38	1.00	2.23	2.27
	S.D.	0.27	0.71	0.45	0.32	0	0.42	0.44
القانون	$\bar{X}$	1.64	1.43	1.52	0	0	0	1.52
	S.D.	0.51	0.51	0.51	0	0	0	0.51
العلوم	$\bar{X}$	1.82	1.87	1.85	2.39	2.21	2.32	1.91
	S.D.	0.48	0.49	0.49	0.40	0.60	0.57	0.53
المجموع	$\bar{X}$	**1.92**	**1.86**	**1.90**	**2.30**	**2.10**	**2.23**	**1.95**
	S.D.	**0.53**	**0.72**	**0.62**	**0.60**	**0.45**	**0.57**	**0.63**
5	3	3	3	2.6	3	2.6	2.6	3

المتوسط العام الكلي لمعدل الطلبة العام في الخمس كليات كان 1.95، حيث كانت متوسطات طلبة كلية الاقتصاد والهندسة متجانسة، وهذا حسب اختبار (Duncan) للمدى المتعدد (DMRT) حيث كانت قيمة هذا الاختبار الإحصائي:

$$D_2 = 0.14 , D_3 = 0.20 , D_4 = 0.20 , D_5 = 0.21$$

المعدل العام (.G.P.A) لطلبة الكليات الأخرى يختلف اختلافاً معنوياً:

أعلى متوسط للمعدل العام (.G.O.A) لوحظ بين طلبة كلية الاقتصاد، ثم طلبة كلية الهندسة. كما لوحظ أقل معدل عام (.G.P.A) بين طلبة كلية القانون.

متوسط المعدل العام للطلبة غير الليبيين كان 2.3، وهذا معنوياً يمثل أعلى من المتوسط العام بالنسبة للطلبة الليبيين.

ولاحظنا من خلال الدراسة كانت ($D = 0.13$) لمتوسطات المعدل العام لطلبة كلية العلوم حيث كان معنوياً مختلفاً.

كما لوحظ عن طريق نفس الاختبارات ($D_2 = 0.18$) أن متوسط المعدل العام لكل من الطلبة الليبيين وغير الليبيين في الكليات الأخرى كان متجانساً، وكانت قيم الاختبار لكليات الآداب والتربية، والاقتصاد والهندسة على التوالي كالآتي: 0.29، 0.37، 0.37.

وحيث إنه كانت هناك اختلافات في متوسط المعدل العام للطلبة باختلاف الكليات، عليه فقد تم تصحيح خطوط انحدار منفصلة مستخدمين نماذج مبينة في رقم (2).

نتائج تحليل الانحدار مبينة كما يلي في الجدول رقم (3).

جـدول رقـم (3)

نتائج تحليل الانحدار حسب النماذج المبينة في الجدول رقم (2) لطلبة مختلف الكليات

الكلية	العلاقات المقـدرة							متوسط مربع الخطأ	قيمة F
	β_0	β_1	β_2	β_3	β_6	β_7	β_{10}		
الآداب والتربية	1.80* (0.27)	−0.34 (0.21)	−0.04 (0.04)	0.01 (0.02)	0.00 (0.00)	0.04 (0.02)	−0.08 (0.22)	0.32296	1.66
الاقتصاد	2.09* (0.20)	0.14 (0.13)	0.00 (0.03)	0.00 (0.01)	0.00 (0.00)	0.01 (0.01)	−0.02 (0.21)	0.19453	0.56
الهندسة	2.47* (0.26)	0.05 (0.14)	−0.01 (0.03)	0.00 (0.01)	−0.00 (0.00)	0.01 (0.01)	−0.19 (0.18)	0.16467	0.79
القانون	2.57* (0.69)	−0.33 (0.25)	−0.08 (0.07)	0.02 (0.02)	−0.00 (0.00)	−0.02 (0.03)	— —	0.30646	1.52
العلوم	1.58* (0.10)	0.05 (0.07)	0.03* (0.01)	0.00 (0.01)	0.00 (0.00)	0.01 (0.01)	0.28* (0.09)	0.23182	3.98
المجموع	1.84* (0.08)	0.11* (0.05)	0.01 (0.01)	0.01 (0.01)	−0.00 (0.00)	0.02* (0.00)	0.13 (0.08)	0.28405	4.60

(*) معنوي

هذه النماذج تبين أن متوسط مربعات الأخطاء وجد متجانساً طبقاً لاختبار (Bartlett) 1937 م، حيث إن قيمة كاي مربع (8.02) بدرجات حرية (4)؛ وعلى ذلك فإن طريقة المربعات الصغرى الاعتيادية (.O.L.S) تم تطبيقها للحصول على النموذج رقم 5. في هذا النموذج مجموعة مربعات الأخطاء (S^2_1) حيث ($S^2 = 117.312$).

(S^2_1) تتوزع توزيع كاي المربع بدرجات حرية 419.

في نموذج رقم 4 قيمة مجموعة مربعات الأخطاء (S^2) حيث ($S^2=98.514$) و (S^2) لها درجات حرية 415.

مجموعة مربعات الأخطاء الناتج بالتفاضل بالنسبة للجزء المحصور الواقع بين الخطين كان:

$$S^2_2 = S^2_1 - S^2 = 18.798$$

هنا (S^2_2) له درجة حرية 4.

وعلى ذلك لاختبار فرضية التجانس للأجزاء المحصورة بين خطوط الانحدار المبينة في نموذج رقم (2)، استخدم الاختبار الإحصائي F حيث وجدنا $F_1 = 19.80$، وهذا الاختبار يوضح أن الأجزاء المحصورة في النماذج المبينة في رقم (2) متغايرة.

قيمة مجموعة مربعات الأخطاء في النماذج المبينة في رقم (2) كان ($S_3{}^2=89.9081$)، وهذه القيمة لها درجات حرية 24، وعلى ذلك بعد اختبار التجانس لهذه النماذج التي بيناها في رقم (2) وجد أنها أيضاً كانت متغايرة. وأخيراً إن الاختبار الإحصائي F_3 وجد أنه ($420F_3=$)، مما يشير إلى وجود اختلافات مهمة في نماذج الانحدار في متوسط المعدل العام لطلبة مختلف الكليات.

من تحليل جدول رقم (3) وجدنا أن التأثير السلبي للجنس يشير إلى أن معدل الأداء للطالبات معنوياً منخفض بالمقارنة مع أداء الطلاب الذكور، أي

يرتبط المعدل العام للطالب بالجنس، وعليه تأثير الجنس على الرغم من أنه غير فعلي ولكن لوحظ بين طلاب مختلف الكليات.

التقدير الفعلي لكل الطلاب يشير إلى أن الزيادة في المعدل العام للطلبة يتأثر بمستوى الأم التعليمي.

β_2 لطلبة كلية العلوم يشير إلى أن المتوسط العام للمعدل يزداد معنوياً مع مرور الوقت، كذلك β_{10} لطلبة كلية العلوم يشير إلى أن الطلبة غير الليبيين معدل أدائهم يفوق أداء الطلبة الليبيين.

4 ـ الخـــلاصـــة:

في هذه الورقة محاولة لدراسة الاختلافات في الأداء والتحصيل العلمي للطلبة المقبولين في مختلف الكليات في جامعة قاريونس في مدينة بنغازي، حيث تم قياس أداء الطلبة بالمعدل العام للطلبة (G.P.A.).

متوسط المعدل العام لطلبة جامعة قاريونس كان 1.95 بمدى:

1.95 ± 0.63

أعلى معدل عام لوحظ بين طلبة كلية الاقتصاد حيث كان المدى:

2.30 ± 0.80

وعليه هناك اختلافات معنوية في المعدل العام لطلبة الكليات المختلفة، ومع ذلك وجدت متجانسة بين طلاب كلية الاقتصاد وطلبة كلية الهندسة.

متوسط المعدل العام للطلبة غير الليبيين كان أكبر من متوسط المعدل العام للطلبة الليبيين، حيث كان المدى للطلبة غير الليبيين:

223 ± 0.57

وللطلبة الليبيين:

1.90 ± 0.62

من تحليل الانحدار لاحظنا أن الطلبة الذكور أحسن تحصيلاً من الطالبات.



وفي كلية العلوم كان الطلبة يتحسن أداؤهم أو يتحسن تحصيلهم العلمي بمرور الوقت.

نماذج الانحدار التي أنشئت وكان المعدل العام (G.P.A.) لطلبة مختلف الكليات كمتغير تابع كلها متجانسة بالنسبة للجزء المحصور بين المستقيمين (الثابت) ومعامل الميل.

المــــراجـــع

- Bartlett, M.S. (1937): Propertise of sufficiency and statistical tests. Proe. Ray. Soe. Ser. A., 160, 268-282.
- Bhuyan, K.C. and.Nuruzzaman, M. (1993): Unbalanced Four-Stage Nested Classification. Department of statistics, Garyounis' University, Libya.
- Johnston, J. (1972): Econometric Methods, Second Edition, Mc. Graw-Hill Book company, New York.

